



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجليلي اليابس - سيدي بلعباس -
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها



رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي موسومة بـ:

الصورات العربية القصيرة دراسة صوتية نحوية دلالية

إشراف:

• أ.د. محمد مذبوحى

إعداد الطالب:

عيسى طاهري

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة سيدي بلعباس	أ.د. أمينة طيبي
مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس	أ.د. محمد مذبوحى
مناقشا	جامعة سعيدة	أ.د. محمد رويسات
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أ.د. مصطفى غربي
مناقشا	جامعة سعيدة	أ.د. أحمد طيبي
مناقشا	جامعة عين تموشنت	أ.د. الشيخ الهامل

السنة الجامعية:

1443-1442 هـ
2020-2021 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء:

إلى والديّ اللّديميّ... سبب الوجود... وجرّ العطاء والجرود...
حفظهما الله ورعاهما...

إلى روح الجدّي: الحاج عليّ والحاجة... طيّب الله ثراهما...

إلى كلّ من بذل جهدا... أو أبقى رأيا... أو أسدى نصحا أو
تصويبا...

إلى كلّ من رافقتني آراؤهم... دعواتهم... مؤازراتهم...
كلمات تشجيعهم...

إلى كلّ من أحبّني في الله وأحبّته فيه...

عيسى طاهري

شكر و عرفان:

الحمد لله أولاً وآخراً، وله الشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فبذكرة تدوم النعم، وبشكره تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» فإنه من واجب الاعتراف بالفضل أن أتوجه بالشكر والتقدير لمشرفي الأستاذ الدكتور "محمد مذبوحى" الذي تعهدني بالإرشاد والتوجيه، ولم يبخل علي برأيه ونصحه ووقته، منذ أن كان البحث فكرة حتى اكتمل، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له الثواب والأجر في الدنيا والآخرة.

ويقودني شرف الوفاء والعرفان بالجميل أن أتقدم بخالص الشكر لكل من قدم لهذا البحث يداً، أو ييسر مصدراً، أو أسدى نصحاً أو تصويباً. والشكر الموصول للأستاذ "عده شعيب" الذي رافقني في مراجعة هذه الرسالة وتعديلها.

فالله أسأل أن يجازي الجميع خير الجزاء.
والحمد لله رب العالمين

عيسى طاهري

مقدمة:

بسم الله، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أفصح العرب محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد: فإنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، ووسيلة رئيسة يستخدمها الإنسان في عملية التواصل البشري، والتعبير عن كلّ ما يجيش في خواطره من أحاسيس ومشاعر، وما يدور في ذهنه من معان وأفكار، وكلّ ما يحتاج إليه في حياته من متطلبات ذاتية واجتماعية، لهذا اعتبرت اللغة - ولا تزال - الوعاء التاريخي الذي يصبّ فيه الإنسان خلاصة تجاربه في الحياة، ويجسّد فيه أسمى ما يصل إليه من معلومات ومعارف وخبرات ومكتسبات.

واللغة العربية من أكثر اللغات البشرية فصاحة وبلاغة، وأجملها لفظاً، وأغزرها معنى وامتلاء بالمعاني القويّة المحكّمة، والصور الجميلة، لذا أنزل الله عزّ وجلّ بها قرآنه الكريم، وحفظها بحفظه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾¹، كما جعلها سبحانه وتعالى لساناً لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا دليل قاطع على ما لها من منزلة شريفة؛ وما تختص به من قابليات لا توجد في سواها من اللغات الأخرى.

وتعدّ الأصوات اللغوية الجانب العملي لأية لغة، فهي الوسيلة الأساسية والجوهرية التي يعتمد عليها المرء في بناء الصّرح اللغوي العام، ولذا اعتبر البحث اللغوي عامة، والبحث الصّوتي على وجه الخصوص من أقدم الدّراسات التي شغلت الإنسان ونالت منه قسطاً وافراً من العناية والاهتمام، فوضع علماء العربيّة القدامى دراسة الأصوات نصب أعينهم، حيث عكفوا

¹ سورة يوسف: الآية 1-2 .

على تحليلها ووصفها، وإجادة النطق بها خدمة للقرآن الكريم وصونه من اللحن؛ الذي يؤدي إلى سوء الفهم لمعانيه ومقاصد الشريعة الإسلامية، وبالتالي مجانبة الصواب في استنباط كثير من الأحكام التي تنظم حياة الإنسان بصفة عامة، والمسلم بصفة خاصة، معتمدين على ملاحظاتهم الذاتية فقط؛ وما يملكونه من حس مرهف وذوق سليم.

وتتكون اللغة العربية - على غرار لغات العالم - من نسيج متكامل من الأصوات الصامتة والصائتة؛ حيث تسجل هذه الأخيرة حضوراً متميزاً في كافة المباني الصوتية، فلا يكاد يخلو أيّ منطوق بشري منها، ورغم ذلك لاحظت أنّ التأليف فيها كان قليلاً عند القدماء، مقارنة بالصّوامت، باستثناء ما ورد متناثراً في ثنايا الأبواب والفصول أثناء معالجتهم للقضايا الصّرفية والتّحوية.

وقد سبق لي أن عالجت موضوع الصّوائت العربية بين الفصحى وعاميتها في دراسة سابقة في مرحلة الماجستير؛ حيث بدا لي أنّ الصّوائت العربية القصيرة بحاجة إلى دراسة مستفيضة من مختلف جوانبها الصّوتية والتّحوية والصّرفية والدّلالية، فكان ذلك دافعا لي لخوض غمار هذا الموضوع، وبعد استشارة لأستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور محمد مذبوحى، وبموافقة منه ارتأيت أن يكون موضوع رسالتي بعنوان: الصّوائت العربية القصيرة - دراسة صوتية نحوية

دلالية -

كما تعود أسباب اختياري لهذا الموضوع لعدة دوافع أخرى منها:

- محاولة اكتشاف الوظائف الصّوتية التي تؤديها الصّوائت العربية القصيرة على مستوى الأفراد والتركيب.

- بيان أثر الصّوائت القصيرة في تحديد الوظائف الإعرابية لمختلف المباني على مستوى التركيب.

- دور الصّوائت العربيّة القصيرة في توليد مختلف المباني الفعلية والاسمية من خلال الدّراسة الصّرفية، وكذا أثرها في توليد المباني اللّغوية من خلال الدّراسة الدّلالية والمعجمية. وقد استدعت طبيعة الموضوع أن تطرح الإشكالية التالية:

كيف نظر الدّارسون اللّغويون للصّنف الثاني من الأصوات اللّغوية "الصوائت"؟

ما هو أثر الصّوائت العربيّة القصيرة على المستوى الصّوتي والتّحوي والصّرفي؟

ما هو أثر الصّوائت العربيّة القصيرة في توليد مفردات اللّغة العربيّة؟

واقترضت طبيعة البحث أن تجيب عن هذه الإشكاليات وفق الخطة التالية: مقدمة يتلوها مدخل متبوع بثلاثة فصول ثم خاتمة تحمل أهمّ النتائج المتوصل إليها.

أمّا المقدمة: فقد تمّ فيها تحديد الموضوع ودوافع اختياره وعرض خطة دراسته.

المدخل: تطرقت فيه إلى مفهوم الصّوت العام والصّوت اللّغوي بصفة خاصة، مع ذكر قسميه الثنائيين (الأصوات الصّامتة، الأصوات الصّائتة) عند القدماء والمحدثين، ثم مميّزات الصّوائت، دون التغافل عن إشكالية مصطلح الصّوائت، حيث حاولنا حصر أغلب المصطلحات المتشعبة للصّوائت والصّوائت عبر جميع الدّراسات القديمة والحديثة التي وقفنا عليها، ونشير إلى أنّنا آثرنا استخدام مصطلح الصّوائت الذي يقابله مصطلح الصّوائت، باعتبارهما المصطلحان الأكثر استعمالاً وشيوعاً في الدّراسات الصّوتية الحديثة.

أمّا الفصل الأوّل فخصصته للدّراسة التاريخية للصّوائت العربيّة موزعاً على أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: تحدثت فيه عن الصّوائت عند أقطاب الدّراسات اللّغوية من علماء العربيّة

القدماء، بدايةً بأبي الأسود الدؤلي ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه ثم ابن جني.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن الصّوائت عند جهايزة علماء التجويد الذين أولوا هذا الصّنف من الأصوات عناية خاصة، لما له من علاقة وطيدة بأحكام قراءة القرآن الكريم وتجويده.

المبحث الثالث: وفيه أبرزت جهود الفلاسفة المسلمين وآراءهم القيّمة التي أثارت انتباه علماء الدّراسات الصّوتية الحديثة ونذكر منهم: الفارابي، وابن سينا والفخر الرازي.

المبحث الرابع: رصدت فيه أفكار الدّارسين المحدثين والتي ارتكزت في مجملها على ما سبق علماء العربية بالإشارة إليه، وتأثرها الكبير بالدّراسات الغربية خاصة بالقواعد التي أسسها العالم دانيال جونز (daniel jones) ومنهم: إبراهيم أنيس، كمال بشر، وأحمد مختار عمر.

أمّا الفصل الثاني: وفيه تحدثت عن الدّراسة الصّوتية للصّوائت العربيّة القصيرة من جانبيّن أساسيين موزعا على مبحثين:

المبحث الأوّل: وفيه تطرقت إلى الصّوائت العربيّة على مستوى الأفراد؛ وذلك من حيث مخرجها وعلاقة اللّسان والشفّتين بإنتاجها، مع الإشارة إلى العلاقة التي تربط الصّوائت الطويلة بالقصيرة، وتصنيف هذه الأخيرة - الصّوائت - من حيث الخفة والثقل.

أمّا المبحث الثاني: فخصصته لدراسة الصّوائت القصيرة على مستوى التركيب؛ وذلك من حيث موقعية الصّوت الصّائت من الصّامت، وكذا التغيّرات النوعيّة التي تلحق الصّوائت القصيرة على مستوى التركيب؛ من تفخيم وترقيق وفتح وإمالة من خلال حصر أسبابها، كما حصرت أهمّ الظواهر الكميّة التي تلحق الصّوائت القصيرة والتي تشمل: الإشباع والرّوم والإشمام والاختلاس والإخفاء، كما أشرت إلى المقطع الصّوتي وتصنيف الدّارسين لأنواع المقاطع الصّوتية دون الإغفال ظاهريّ النبر والتنغيم.

أمّا الفصل الثالث: ففيه تناولت الدراسة النحوية والصرفية والدلالية للصّوائت العربيّة القصيرة موزعا على ثلاث مباحث رئيسة:

المبحث الأوّل: وفيه تصدر الحديث عن الإعراب وأقسامه، ثم تحدثت عن الوظيفة النحوية للفتحة، حيث حصرت المنصوبات التي اتّفق عليها أغلب النحاة؛ مثل المفعول به والمفعول المطلق والتمييز والحال... ثم تحدثت عن الوظيفة النحوية للضمّة؛ فحصرت أيضا المرفوعات المتّفق عليها عند النحاة نحو: الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ أو الخبر، اسم كان وخبر إنّ وأخواتهما...

وعالجت فيما بعد الوظيفة النحوية للكسرة؛ حيث أشرت إلى المجرورات بأشكالها؛ سواء بحروف الجرّ أو التبعية أو بالإضافة.

أمّا المبحث الثاني: فخصّصته للحديث عن الدراسة الصرفية للصّوائت العربيّة القصيرة، فبعد أن تصدّر الحديث فيه عن مفهوم الصرف، ركّزت على دور الصّوائت القصيرة في تشكيل المباني الصرفية بنوعيتها - الفعلية والإسمية - مع الإشارة إلى دورها في تعليل أو تفسير بعض المسائل الصرفية من خلال تعاملها -الصّوائت- فيما بينها، ومن أهمّ هاته المسائل الإعلال والإبدال وختمت هذا المبحث بالحديث عن الاشتقاق وأثره في توليد الصيغ الصرفية؛ حيث قمت بذكر المشتقات الصرفية التي وردت في كتب الصرف، فمن الأسماء نحو: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّهة، وصيغ المبالغة... ومن الأفعال ما اشتق تبعا للأزمنة الثلاثة (الماضي والمضارع والأمر)، وكذلك من إسناد الفعل إلى الضمائر المنفصلة.

أمّا المبحث الثالث: فهو خاص بالدراسة الدلالية للصّوائت العربيّة القصيرة؛ مُوطّئا لذلك بالحديث عن مفهوم علم الدلالة وموضوعاته؛ وأثر الصّوائت القصيرة في التمييز بين دلالة المفردات، ثم تناولت الوظيفة الدلالية للصّوائت القصيرة من جانبين أساسيين:

الأول: على مستوى الدلالة اللغوية؛ وفيه عاجلت دراسة المثلث اللغوي وقسميه الرئيسين: المثلث المتفق المعاني والمثلث المختلف المعاني، مع إبراز صور تغييره وتعدد دلالاته وأثر الصّوائت القصيرة في تلوين معانيه، وإبراز أثرها أيضا في تعدد دلالة الأفعال المثلثة من جانبين:

— اتفاق صورة الماضي وتعدد صور المضارع مع اختلاف المعنى.

— تعدد صور الماضي واتفاق صورة المضارع مع اختلاف المعنى.

الثاني: على مستوى الدلالة الاجتماعية؛ حيث أشرت إلى الوظيفة الأساسية والبارزة التي تؤديها الصّوائت في التمييز بين مختلف اللهجات، وما نشأ عنها من ظواهر في بيئات متعددة من خلال القراءات القرآنية منها؛ التثنية والوكم والوهم، وهي في مجملها تلونات صائتية ظهرت في فترة زمنية متقدمة من تاريخ اللغة العربية، وبقيت لها امتدادات في الأداء النقطي لبعض اللهجات الحديثة.

وكانت الخاتمة كحوصلة لأهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، بالإضافة إلى بعض التوصيات المتمثلة في ضرورة إثراء هذا الموضوع لتجلية كثير من الإشكالات التي أثارها الدراسة.

إنّ اختياري لهذه الدراسة لا يعني أنّها غير موجودة تماما في الدراسات الصوتية، ولكنّها ارتكزت في مجملها على القسم الثاني من الأصوات - الصّوائت - مقابل الإشارة العابرة للقسم الأكثر أهمية - الصّوائت - عدا بعض المؤلفات التي عاجلت الموضوع مباشرة ونذكر منها:

- في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد - لغالبا فاضل المطلي.
- الحركات في اللغة العربية، لزيد خليل القرالة.
- الصوائت والمعنى في اللغة العربية لمحمد داود.

ولما كان هذا البحث يرتبط بدراسة صوتية ونحوية وصرفية ودلالية تشعبت فيها الآراء وتباينت أحيانا، خاصة فيما يتعلق بالظواهر الأدائية الصوتية، هذا ما أوجب علينا الرجوع إلى مصادر ومراجع ما ألف علماء العربية القدماء والمحدثين على حد السواء؛ من علوم اللغة والنحو والصرف والقراءات القرآنية والمعاجم العربية، وكذا مؤلفات الدراسات الصوتية الحديثة، وغير ذلك مما جمعته في ثبث مكتبة البحث.

أما بالنسبة للمنهج الذي اقتفيته في هذا البحث فوصفي تحليلي تاريخي؛ تاريخي يتمثل في تتبع دراسة الصوائت العربية عبر المراحل التاريخية للدراسات اللغوية، ووصفي تحليلي اهتديت به إلى تحديد صفات الصوائت ومخارجها، وتحليل ما يطرأ عليها من تغييرات صوتية أو ظواهر لهجية، وكذلك ما تؤديه من وظائف نحوية وصرفية ودلالية، مع البحث في أسبابها ومظاهرها وتعليلها والتمثيل لها من مختلف وجوه القراءات القرآنية أو الشواهد العربية.

وما من دراسة علمية إلا وتعترضها صعوبات، لاسيما وأن الموضوع متعدد من ناحية المستويات اللغوية المدروسة، من نحو وصرف وصوتيات ودلالة ومعجم، إضافة إلى قلة المراجع التي تخدم الموضوع مباشرة، خاصة وأن دراسة موضوع الصوائت في أمهات الكتب العربية متناثر في ثنايا الأبواب النحوية والصرفية.

وختاما فإنني لا أدعي بلوغ الكمال في هذا البحث، وأني وقفت على كل ما يتصل بدراسة الصوائت العربية القصيرة من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية، وحسبي أنني بذلت قصارى جهدي في محاولة لتسليط الضوء عن التقسيم الثاني والأهم من الأصوات اللغوية العربية - الصوائت - أملا أن تكون لبنة في صرح الدراسات اللغوية؛ قصد إثراء جامعاتنا الجزائرية بمثل هذه الدراسات، خاصة وأن الكثير من الباحثين في دراسة التقسيم الثنائي للأصوات يصبون اهتمامهم بالصوامت مقابل الإشارة العابرة إلى التقسيم الثاني والأهم - الصوائت - سواء

كانت هذه الدراسة لغوية أو لهجية، فما كان من توفيق فمن المولى عز وجل، وما كان من خطأ ونقص فمن نفسي وتقصيري، والله المستعان.

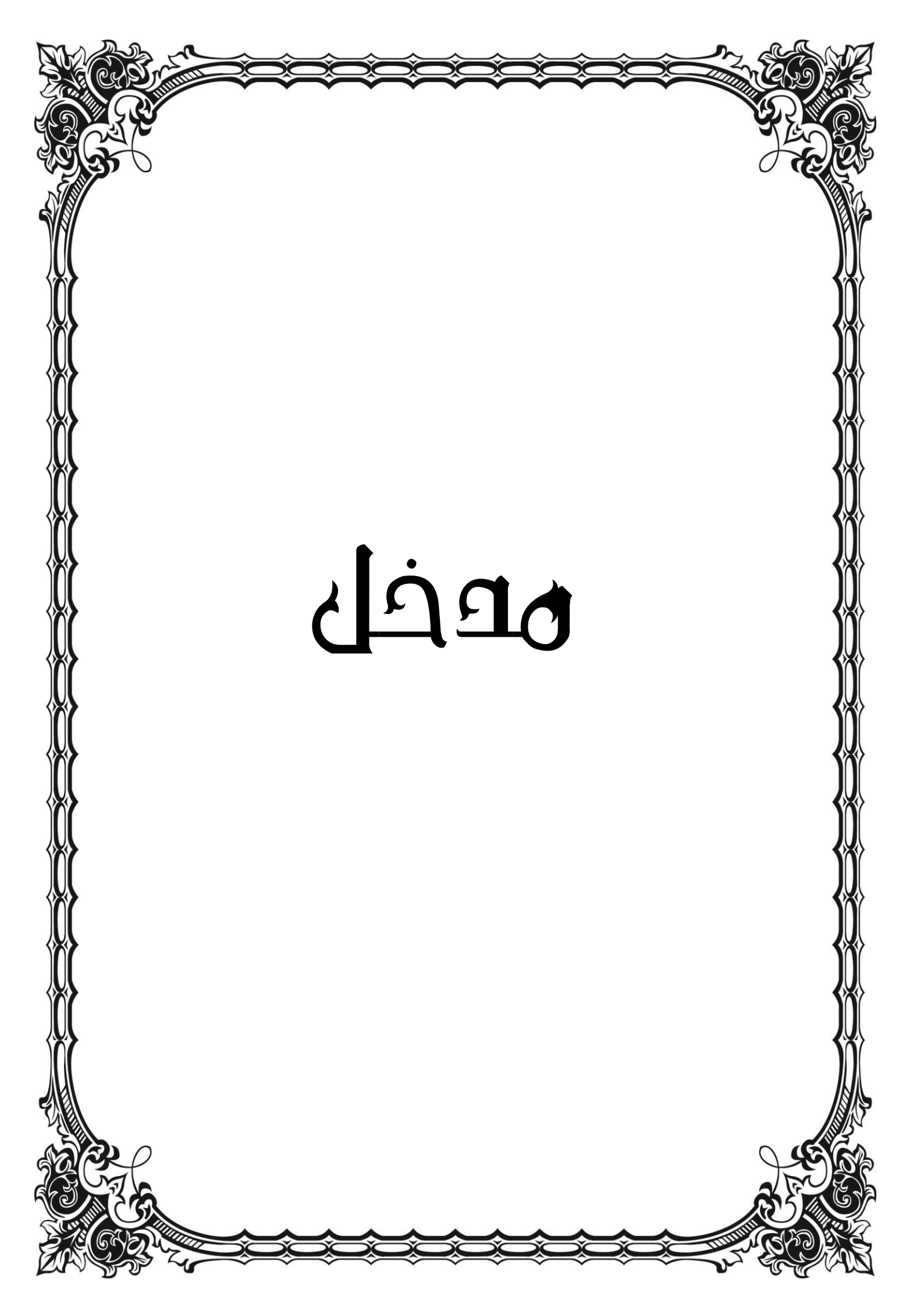
وفي ختام هذه المقدمة أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور محمد مذبوحى الذي أجدني عاجزا عن شكره؛ على ما وجدته منه من تسديد عجز وإكمال ناقص، وصدق في التوجيهات، وفائدة في التوصيات، فلطالما كان خير معين لي بعد الله عز وجل في شرح وتقريب ما التبس علي في هذا البحث، فله مني جزيل الشكر، ومن المولى عز وجل الثواب على صنيعه.

وأختتم شكري الخالص إلى أعضاء اللجنة الموقرة على تحملهم عناء وأعباء قراءة هذه الرسالة وتقييمها وتقويمها، فمن خلال ملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة وتصويباتهم سينال هذا البحث القبول والوصول إلى المبتغى من خلال هذه الدراسة.

والحمد لله أولاً وأخيراً

عيسى طاهري

سعيدة يوم: 15 شعبان 1440 هـ الموافق لـ 21 أبريل 2019 م.

A decorative border with ornate floral and geometric patterns surrounds the text. The border features intricate scrollwork at the corners and a repeating diamond-like motif along the sides.

പുസ്തകം

تمهيد:

اهتم علماء العربية القدامى بدراسة أصوات اللغة البشرية منذ أمد بعيد، باعتبارها موضوع علم الأصوات اللغوية، فكانت جهودهم بذلك ثمينة تستحق كل الإكبار؛ وإن كان منهمجهم مبني على ملاحظاتهم الذاتية فقط، وليس على أساس علمي دقيق ومحدد، ومع هذا فقد اتسمت دراساتهم بالدقة والجدية، بفضل ما يملكونه من فطرة الذوق والحس المرهف.

ويعود لعلماء العربية القدامى فضل السبق في مجال الدراسات الصوتية؛ من خلال إثارهم للكثير من القضايا الصوتية والفصل في أدق جوانبها، وهذا في ثنايا الأبواب والفصول التحوية والصرفية واللغوية، والتي شكّلت فيما بعد مواضيع لمؤلفات الدارسين المحدثين؛ الذين طوروا هذه المعطيات وتأكدوا من صحتها بمختلف الآليات والبرامج الإلكترونية الحديثة.

ولا يخفى على أي دارس لغوي أنّ الدافع من وراء هذه الدراسات اللغوية وجدّيتها، هو دافع ديني قرآني، هدفه صوت هذه اللغة الشريفة من اللحن، وبخاصة عندما انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، حيث خشي علماء العربية من انحراف أصوات العربية بسبب تأثرها بأصوات اللغات المجاورة وتفشي ظاهرة اللحن على ألسنة العامة، وهو ما يؤدي حتما إلى سوء الفهم للنص القرآني ومعانيه ومراميه، فعكف لذلك فريق من علماء العربية على دراسة أصوات اللغة العربية بسليقتهم الميينة على الملاحظة والتجربة فقط، ومن هنا ظهرت بوادر الاهتمام بدراسة الصوت اللغوي باعتباره أهم مكونات اللغة البشرية.

واللغة العربية كغيرها من لغات العالم تتكوّن أصواتها من قسمين رئيسيين : الأصوات الصامتة «consonnes» والأصوات الصائتة «voyeles» وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى صوائت طويلة وصوائت قصيرة ؛ التي هي موضوع بحثنا.

وقبلولوج في هذه الدراسة يحسن بنا أن نحدد أهم المفاهيم الأساسية التي تعد مفاتيح هذا البحث.

(١) تعريف الصّوت:

• الصوت في اللّغة: الجرس والجمع أصوات، جاء في اللّسان: « قال ابن السكيت: الصّوت صوت الإنسان وغيره، والصّائت الصائح... وفي الحديث: كان العباس رجلا صيّا، أي شديد الصّوت، عاليه »¹.

❖ أمّا اصطلاحاً:

فقد اهتم العلماء بدراسة الصّوت منذ أمد بعيد؛ وهذا من حيث مصدره وسببه وخصائصه، قال ابن سينا [ت428هـ]: « الصّوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوّة من أيّ سبب كان »².

وأكد ابن سينا أنّ الصّوت يحدث لسببين اثنين وهما: القرع والقلع وذلك: «أنّ القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له، لمزاحمته تقريبا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها ، ومقابل هذا تباعد جرم عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر ؛ تبعيدا ينقلع عن مماسّته انقلعا عنيفا لسرعة حركة التباعد، وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع »³.

يتضح من خلال قول ابن سينا أنّ ظاهرتي القرع والقلع وصف للحركة المسببة الحدوث الأصوات في الطبيعة، والتي تتبع تبعا لحركتي التماس وانفصال بين الأجسام.

¹ ابن منظور (جمال الدين ابن محمد): لسان العرب، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دت، المجلد 4، ص: 2521.

² ابن سينا أبو علي الحسن بن عبد الله: رسالة أسباب حدوث الحروف ، تحقيق محمد حسن الطيّان و يحيى مير علم مراجعة و تقديم شاکر الفخام ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق سوريا، دط، ص:56.

³ المصدر نفسه: ص: 57.

ولا يتعد مفهوم الصّوت عند ابن سينا عن التعريف الفيزيائي للصّوت باعتباره: «اضطراب مادي في الهواء؛ يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج، ثم في ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي».¹

ويبدو من خلال هذا التعريف أنّ ظاهرة حدوث الصّوت في الطبيعة تقتضي حضور ثلاثة عناصر وهي:

- 1- جسم يتذبذب .
 - 2- وسط تنتقل فيه الذبذبة الحاصلة عن الجسم المتذبذب.
 - 3- جسم يتلقى هذه الذبذبات² .
- ومهما يكن السبب في حدوث الصّوت أو مصدره، فإنّه يتشكل نتيجة اضطراب في الهواء، سواء كان ضغط الهواء قويا أو ضعيفا .

(٢) الصوت اللّغوي:

مهد علماء العربية منذ زمن مبكر البحث في ماهية الصّوت اللّغوي وحقيقته، فأسهموا إسهاما حقيقيا في إدراك الأصوات اللّغوية وإرساء ركائزها الأولى، وفي هذا أمارة واضحة لما سبق به العلامة أبو الفتح عثمان ابن جني بتحديد مفهوم الصّوت اللّغوي بقوله: « اعلم أنّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلا متّصلا، حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا».³

¹ خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، العراق، د ط، 1983م، ص:06.

² ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص6، و ينظر أيضا: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط، 1418هـ، 1997م، ص: 20.

³ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص:06.

وقال في كتابه الخصائص مشيراً إلى مفهوم اللّغة بأنّها «أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم».¹

ومن هذين القولين تتضح البوادر الأولى للبحث عن الصّوت اللّغوي، ودور أعضاء الجهاز النطقي في إنتاج الأصوات اللّغوية منذ زمن مبكر، لهذا اعتبر ابن جني أوّل من أرسى دعائم الدرس الصّوتي، وهو ما أثبتته بقوله: «ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني به علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم».²

ولم يتعد الدّارسون المحدثون عما سبق علماء العربيّة بالإشارة إليه في تحديد مفهوم الصّوت اللّغوي، قال كمال بشر: «الصّوت اللّغوي أثر رجعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق، والملاحظ أنّ هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وملائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة، ويتطلب الصّوت اللّغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معيّنة محدّدة، أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معيّنة محدّدة أيضاً».³

وربط خليل إبراهيم العطية تعريف الصّوت اللّغوي بالتعريف السابق للصّوت العام فقال: «الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها اسم جهاز النطق، وهو تمثيل للعناصر الثلاثة التي ألمعنا إليها، فأعضاء النطق تمثل العنصر الأوّل، والأثر السمعي المتعلق بالصّوت من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني، أمّا أذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات فإنّها تشكل العنصر الثالث».⁴

بناءً على ما تقدم يبدو أنّ الصوت اللّغوي يستدعي حضور العناصر الثلاثة التي يتطلبها الصّوت العام – السالفة الذكر – على الشكل التالي:

¹ ابن جني: الخصائص، ج1، ص: 33.

² ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 09.

³ كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، د ط، 2000م، ص: 119.

⁴ خليل إبراهيم العطية: في البحث الصوتي عند العرب، ص: 06.

- جسم يتذبذب يقابله في الصّوت اللّغوي الجانب النطقي أو العضوي الفيزيولوجي، من حيث أوضاع النطق وحرّكاتها.
- وسط تتنقل فيه الذبذبة الحاصلة عن الجسم المتذبذب؛ ويقابله في الصّوت اللّغوي الجانب الأكوستيكي أو الفيزيائي، ويتعلق بالأثار التي تنتشر في الهواء في صورة ذبذبات صوتية.
- جسم يتلقى هذه الذبذبات؛ ويقابله الجانب السمعي الذي يتعلق بأعضاء السمع وما يحدث من أثر يتبع إدراك السامع للأصوات¹.

٣ أقسام الصوت اللغوي:

لقد كان لعلماء العربيّة فضل السبق في دراسة أصوات اللّغة، بفضل ما اتّسموا به من دقة الملاحظة، وسلامة الحس الفطري في تذوقهم الأصوات اللّغوية، فقسّموا أصوات العربيّة إلى صنفين رئيسين: الأصوات الصّامتة والأصوات الصّائتة، كما صنّفوها ببراعة فائقة، تبعاً لمخارجها وصفاتها، وهذا بناء على ملاحظاتهم الذاتية فقط.

أ) الأصوات الصامتة:

وتسمى أيضاً بالصّوامت، وأطلق عليها علماء العربيّة مصطلح الحروف أو الحروف الأصول؛ باعتبارها الأصل الذي يتكوّن منه جذر الكلمة. والحرف لغة: «قال الليث: الحرف من حروف الهجاء... وكل كلمة بُنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني فاسمها: حرف، وإن كان بناؤها بحرفين أو فوق ذلك، مثل: حتى وهل وبل و لعلّ، وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفاً»².

¹ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 119، وينظر أيضاً: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص: 06.

² الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): معجم تهذيب اللّغة، تحقيق رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص788.

وأطلق الخليل بن أحمد الفراهيدي « ت 175 هـ » على الحروف مصطلح الصحاح حيث قال: « في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومدارج »¹.

ولم يغب مصطلح الحرف عند القدماء؛ وهو ما أشار إليه ابن جني من خلال تعريفه السالف الذكر للصوت اللغوي بقوله: « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والقم مقاطع تثنيه عند امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً »².

وقال موضع آخر: « وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً، لأن الحركة تعلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: إك، إق، إج، وكذلك سائر الحروف »³.

بناء على ما سبق ذكره يبدو أن ابن جني قد تنبّه إلى دور أعضاء النطق المختلفة في تحويل النفس إلى حروف متباينة المخارج والصفات، ومبرزا الطريقة التي تسهّل عملية التمييز بين مختلف الحروف.

أمّا عند المحدثين : فالصوت الصامت هو: « الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق في مجرى الهواء، وقد يكون هذا الاعتراض كاملاً فيحدث قبل النطق به انحباس (انسداد) في الهواء، ويليه انفجار، ويسمى الصامت بذلك انسدادياً أو انفجارياً، وقد

¹ الخليل: (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السمرائي، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج 1، ص: 57.

² ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 06.

³ المصدر نفسه، ص: 06-07.

يكون الاعتراض جزئيا بحيث يمر الهواء من الموضع الضيق، ولكن بحيث ينتج احتكاك مسموع ويسمى الصامت بذلك احتكاكيا»¹.

وقال محمود السعران محمدا مفهوم الصوت الصامت: «بأنه الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه بأن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا (كما في حالة الباء)، أو اعتراضا جزئيا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع (كما في حالة التاء والفاء مثلا)»².

يتضح من خلال القولين السابقين أن الصوت الصامت عند المحدثين هو ما حصل أثناء النطق به اعتراض كلي لمجرى الهواء؛ محدثا بذلك صوتا انفجاريا مثل صوت الباء أو القاف أو الدال، وما حصل فيه اعتراض جزئي لمجرى الهواء فينتج عنه صوت صامت مهموس مثل: الثاء أو الفاء أو السين أو الشين .

ويتفق الكثير من الدارسين المحدثين مع هذا التعريف منهم كمال بشر و إبراهيم أنيس الذي قال: «الأصوات الساكنة إما ينحس معها الهواء انقباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصغير أو الحفيف»³.

ب- الأصوات الصائتة:

1- عند القدماء:

لقد كان اهتمام علماء العربية القدامى منصبا على دراسة الصوامت (الحروف)، وهذا أثناء دراستهم لأصوات اللغة، ومع ذلك فإنهم لم يغفلوا عن الإشارة للقسم الثاني من هذه الأصوات

¹ بسام بركة: علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 107.

² محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 149.

³ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 3، د ت، ص: 26، و ينظر: كمال بشر: علم الأصوات، ص: 151.

— الصّوائت — والتي اصطلاحوا على تسميتها بـ «الحروف الهوائية»¹، أو «حروف المد واللين»².

ويعدّ ابن جني من الأوائل الذين سبقوا بهذه الإشارة حينما قال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وكان متقدمو التحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة»³.

وقال في موضع آخر: «ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنّك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين «عَمَر» فإنّك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف، فقلت: عامر، وكذلك كسرة عين «عِنَب» إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك: عِينب، وكذلك ضمة عين «عُمَر» لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة، وذلك قولك: عُوَمَر، فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها، ولا كانت تابعة لها»⁴.

يبدو من هذا الطرح أنّ ابن جني قد اصطلاح على تسمية الصّوائت القصيرة بالحركات، والصّوائت الطويلة بحروف المد واللين، كما تنبه إلى وجود علاقة كمية تجمع بين الصّوائت القصيرة ونظيرتها الطويلة، فالفارق بينهما يحكمه تفاوت كمي في النطق، فالألف عبارة عن فتحة ممدودة، والواو ضمة ممدودة، والياء كسرة ممدودة، وهذا ما يسمى بظاهرة الإشباع.

¹ ينظر: الخليل بن أحمد، معجم العين، ج 1، ص: 57.

² ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 17.

³ ابن جني: المصدر نفسه، ص: 17.

⁴ ابن جني: المصدر نفسه، ص: 18.

2 - الصوائت عند المحدثين:

تمثل الصوائت عند الدارسين اللغويين المحدثين القسيم الثاني لأصوات اللغة العربية، حيث اهتموا بدراستها لما لها من أهمية في الأداء النطقي باعتبارها أكثر شيوعاً في اللغة.

وتتعدد تعاريف الصوائت عند علماء اللغة المحدثين، إلا أنها تصب في مفهوم واحد جامع لها في المعنى، حدده العالم اللغوي "دانيال جونز" « **daniel Jones** » بقوله: «أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يعترض لتدخل الأعضاء الصوتية، تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً»¹.

وقال إبراهيم أنيس لما تحدث عن أساس تقسيم الأصوات اللغوية إلى القسمين الرئيسين (الساكنة وأصوات اللين) مبرزاً مفهوم الصوائت بأنها: «عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه، فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الشديدة، فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم، وخلو مجراه من حوائل وموانع»².

يتضح من خلال القولين السابقين أن النطق بالأصوات الصائتة يحصل أثناء مرور الهواء بصورة مستمرة من خلال الحلق والفم؛ دون أن يكون ثمة عائق يعيق مجراه بصفة كلية أو جزئية، بخلاف ما يحدث مع الأصوات الصامتة، وهذا ما يشكل أساساً تقسيم الأصوات اللغوية إلى التصنيف الثنائي (الصوامت والصوائت).

أمّا السبب في تمايز الصوائت العربية الثلاثة فمرده إلى الأشكال المختلفة التي يتخذها ممر الهواء بواسطة اللسان والشفيتين، باعتبارهما العضوين الأساسيين اللذين يتحكمان في تغيير شكل الممر الهوائي في حالة الصوائت³.

¹ Daniel Jones . An outline of English phonetics K P:97.

² إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 27.

³ ينظر: محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص: 183، وينظر: أحمد زرقعة، أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 1993م، ص: 35.

٤) مميزات الصوائت:

- للصوائت صفات متعددة تميّزها عن الصنف الثاني من الأصوات (الصوامت)، فإضافة إلى الميزة النطقية التي ذكرناها سابقا، تختص الصوائت بما يلي :
- تميّز الصوائت بصفة الجهر والذي يسببه التذبذب الحاصل في الحلبين الصوتين¹، وهذا بخلاف الصوامت التي منها ماهو مجهور ومنها ما هو مهموس، كما أنّ كل صوت مهموس فهو صوت صامت.
 - أنّها تميّز بنطق مفتوح، «فلا يصادف الهواء المزفور لدى نطقها أيّ عائق يحدث ضجة احتكاك أو انفجار»²، وهذا بخلاف الأصوات الصامتة.
 - ومن مميزات الصوائت أيضا الوضوح في السمع إذا قيست بالأصوات الساكنة (الصوامت)؛ حيث إنّ أيّ انحراف في نطق الصوائت أيقن في السمع، ناييا في الأذن، يبعد بالمتكلم عن النطق الصحيح للغة، أو الكلام المألوف في لهجة ما.
 - نسبة ورود الصوائت وشيوعها في الكلام البشري كبيرة جدا، تبرز خطأها وتجسمه³.
 - تعد الصوائت معيارا أساسيا للتمييز بين مختلف اللهجات التي تنتمي إلى اللغة الواحدة، فهي «لا تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين، بل أنّ لهجات اللغة الواحدة لتختلف فيها اختلافا يميّز كل لهجة من هذه اللهجات»⁴. ولهذا يلاحظ الكثير من التعثر عند الناطق أو المتعلم المبتدئ بلغة غير لغته، وغالبا ما يتجلى هذا التعثر في النطق بالصوائت.

¹ ينظر: أحمد زرقة، أسرار الحروف، ص: 35 .

² المرجع نفسه، ص: 35.

³ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 31، و ينظر أيضا: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 217-218، وينظر: محمود السعرا، علم اللغة، ص: 150.

⁴ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 31.

ه) إشكالية المصطلح:

وردت في مؤلفات علماء العربية والدارسين اللغويين المحدثين مصطلحات متعددة ومتنوعة للصنف الثاني من الأصوات اللغوية (الصوائت)، ولكل دارس تعليقه الخاص لسبب التسمية التي أطلقها.

فالصوائت القصيرة عند ابن جني هي الحركات، وقد علل سبب تسميتها بقوله: «وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجتذبه نحو الياء، والضممة تجتذبه نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ مداها تكملت الحركات حروفاً، أعني ألفاً وياً وواواً»¹.

يكشف لنا هذا النص أن ابن جني قد استخدم مصطلح الحركات للدلالة على الصوائت العربية القصيرة الثلاث (فتحة وضممة وكسرة)، كما وصفها بالناقصة لقابليتها للمد؛ بحيث تتغير صورتها الصوتية نحو الصوت الصامت التي هي من جنسه، وهو ما يؤثر في تغيير الصورة الصوتية للحرف الصامت الذي تلحق به.

ومن المحدثين نجد أحمد مختار عمر في كتابه (دراسة الصوت اللغوي) يطلق على الحركات مصطلح العلل أو الصوائت «vowels»، فهو يرى أن «العلّة تتميز بنطق مفتوح، وغياب أي عائق»²، وقال في موضع آخر: «ويعتمد كل من العلل والسواكن على الآخر، فالسواكن تفصل العلل، والعلل تمكن أجهزة النطق من الانتقال من وضع ساكن للذي يليه، وأكثر من هذا فنحن نعتمد على العلل - إلى حد ما - لنسمع السواكن»³.

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 26-27.

² أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 135.

³ المرجع نفسه، ص: 136.

يتضح من هذا القول أنّ العلاقة بين الصوامت والصوائت هي علاقة تكاملية، فكلاهما يستدعي حضور الآخر في تأليف الأصوات اللغوية أو المباني الصوتية، ولعلّ السبب الرئيسي في تسمية أحمد مختار عمر بالصنف الثاني من الأصوات «الحركات» بالعلل؛ لأنّها العلة أو السبب في تمكين أجهزة النطق من الانتقال من صوت لغوي لآخر يليه أثناء الأداء أو الكلام، وفيما يلي عرض لأبرز المصطلحات المتشعبة للصوائت عبر التراث، وما يقابلها من نظيرتها «الصوامت»:

- الحركات ويقابله الحروف، وهذان المصطلحات الشائعان عند الكثير من الدارسين اللغويين من قدماء ومحدثين .
- المصوتات ويقابله الأصوات الصامتة أو الصوامت، قال غالب فاضل المطليبي: «استعملت طائفة من العلماء العرب كبشر بن يونس القنائي، وابن النديم، والفخر الرازي مصطلح المصوتات للدلالة على أصوات المد والحركات جميعاً»¹.
- أصوات اللين مقابل الأصوات الساكنة، واستخدمهما إبراهيم أنيس في كتابه «الأصوات اللغوية»²، وإبراهيم خليل العطية في كتابه «في البحث الصوتي عند العرب»³.
- العلل أو أصوات العلة مقابل السواكن أو الأصوات الساكنة، واستخدمهما أحمد مختار عمر، في كتابه «دراسة الصوت اللغوي»⁴، ورمضان عبد التواب في كتابه «المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي»⁵.

¹ غالب فاضل المطليبي: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، الجمهورية العراقية، د ط، 1984م، ص:17.

² ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 27.

³ ينظر: إبراهيم خليل العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص:47.

⁴ ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 135. وينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط08، 1419هـ، 1998م، ص 46.

⁵ ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص:91.

- العلل مقابل مصطلح الصحاح، واستخدمهما تمام حسان في كتابيه: «مناهج البحث في اللّغة»¹، و«اللّغة العربية معناها ومبناها»².
- الحركات مقابل مصطلح السواكن، استخدمهما عبد الرحمن أيوب في كتابه: «أصوات اللّغة»³، وعبد الصبور شاهين في كتابه: «أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»⁴.
- الحركات مقابل مصطلح الصوامت و الأصوات الصامتة، استخدمهما كمال بشر في كتابه «علم اللّغة العام، قسم الأصوات»⁵، ورمضان عبد التواب في كتابه «التطور النّحوي»⁶، وسعد عبد العزيز مصلوح في كتابه «دراسة السمع والكلام»⁷.
- مصطلح الطليقات ويقابله مصطلح الحبيسات أو الأصوات الحبيسة، استخدمهما محمّد الأنطاكي في كتابه «دراسات في فقه اللّغة»⁸.
- الأصوات الذائبة أو الذوائب مقابل مصطلح الأصوات الجامدة أو الجوامد، واستخدمهما علماء التجويد مثل أبو عمر الداني (ت 444 هـ) في كتابه «التحديد في الاتقان

¹ ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص: 120-121.

² ينظر: تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 68.

³ ينظر: عبد الرحمن أيوب، أصوات اللّغة، ص: 156-177.

⁴ ينظر: عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1408 هـ، 1987 م، ص: 376 وص: 409.

⁵ ينظر: كمال بشر، علم اللّغة العام - قسم الأصوات -، ص: 217.

⁶ ينظر: رمضان عبد التواب، التطور النحوي للّغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1414 هـ، 1994 م، ص: 53.

⁷ ينظر: سعد عبد العزيز مصلوح - دراسة السمع و الكلام-، صوتيات اللّغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 1426 هـ، 2005 م، ص: 193.

⁸ ينظر: محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللّغة، ص: 130.

والتجويد»¹، وتبعهم من المحدثين غانم قدوري الحمد في كتابه «الدراسات الصوتية عند علماء التجويد»².

• الأصوات الصائتة أو الصوائت مقابل الأصوات الصامتة أو الصوامت، واستخدمهما محمود السعران في كتابه «علم اللّغة»³، وعبد الرّاجحي في كتابه «اللّهجات العربية في القراءات القرآنية»⁴، وبسام بركة في كتابه «علم الأصوات العام، أصوات اللّغة العربية»⁵. ونخلص مما سبق ذكره أنّ الصّوائت في الدّراسات الصّوتية العربيّة عند القدامى والمحدثين عُرفت بمصطلحات شتى ومتباينة، وقد تعددت وجهات نظرهم لها من حيث الاصطلاح والدّراسة، فكان لكلّ من اللّغويين وعلماء التّجويد وأهل التّفسير والفلاسفة المسلمين إسهام في ذلك، ولكلّ طائفة من هؤلاء دافع من وراء تسميتهم ومعالجتهم لهذا الصّنف من الأصوات.

ولقد آثرت استخدام مصطلح الصّوائت في هذا البحث باعتباره المصطلح الأكثر شيوعاً وتداولاً في الدّراسات الصّوتية الحديثة مقابل نظيره (الصّوامت).

¹ ينظر: الداني «أبو عمر عثمان ابن سعيد»، التحديد في الاتقان والتجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ، 2000م، ص: 107.

² ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1428هـ، 2007م، ص: 135.

³ ينظر: محمود السعران، علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي، ص: 89.

⁴ ينظر: عبد الرّاجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1996م، ص: 95.

⁵ ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللّغة العربية، ص: 111.

الفصل الأول

الفصل الأول: الدرّاسة التاريخية للصّوائت العربيّة

المبحث الأول: الصوائت عند اللّغويين القدامى



المبحث الثاني: الصوائت عند علماء التجويد



المبحث الثالث: الصوائت عند الفلاسفة المسلمين



المبحث الرابع: الصوائت عند علماء الأصوات المحدثين



تمهيد:

لقد اهتم العلماء العرب بدراسة أصوات اللغة العربية اهتماما منقطع النظير؛ حيث تميّزت دراستهم لذلك بالدقة والتميز حرصا على سلامة لغة القرآن الكريم ونقائها؛ خاصة بعد انتشار الإسلام في بقاع الأرض مشرقا ومغربا، وتأثر أسماع العرب بلغات غير العرب وأصواتها؛ وخشية العلماء من انحراف أصوات هذه اللغة الشريفة؛ لغة القرآن الكريم بتأثرها بأصوات تلك اللغات.¹


ولما تواصلت الفتوحات الإسلامية، وبلغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، ودخل في الإسلام من ليس بعربي، بدأ فشو ظاهرة اللحن في كلام العرب، ولم يقتصر على ذلك بل امتد إلى القرآن الكريم من خلال التلاوة وأحكامها.


لهذه الأسباب المجلدة اهتم العلماء العرب بالحركات لحل هذه المشكلة أو التقليل منها، فظهر اهتمام منقطع النظير عند القدامى من خلال أبحاثهم المتناثرة هنا وهناك، أمثال أبو الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد... وغيرهم، فحاولوا تأصيل بعض الأصول والإشارة إلى بعض القواعد الضابطة لذلك، فكان صون اللغة العربية وحماتها من اللحن خاصة القرآن الكريم، الباعث للاهتمام بالصوائت العربية، وهذا ما جعل أئمة الدراسات القرآنية واللغوية يعنون بذلك من خلال مؤلفاتهم، أو من خلال مباحثهم التي انتظمتها كثير من الأبواب والفصول.

ومن هنا سأحاول من خلال تضامين هذا الفصل تسليط الضوء على بعض الإشارات الثمينة؛ التي بادر بها نخبة من أجلء العربية، والتي رسمت من أول إشارة لها البداية الفعلية لاهتمامهم بهذا القسم الثاني لأصوات اللغة العربية.

¹ ينظر: حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص:21.

المبحث الأول: الصوائت عند اللغويين القدامى :

المطلب الأول: أبو الأسود الدؤلي (69هـ) 

المطلب الثاني: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) 

المطلب الثالث: سيبويه (ت 180 هـ) 

المطلب الرابع: ابن جني (ت 392هـ) 

المطلع على مؤلفات علماء العربية القدامى يجد أنّهم قد اتفقوا على تسمية الصوائت بالحركات، واستدل ابن جني على تسميتها بذلك؛ لأنّ « الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه».¹

وبالتالي فسبب تسمية الصوائت بالحركات مرده الخاصية النطقية التي تمتاز بها، كونها - الحركات - تساهم في تغيير موضع الحرف بصورة كلية نحو الحرف الذي تُشكل بعضاً منه.

ويعود الاهتمام بالصوائت لدى علماء اللغة القدامى إلى ظهور اللّحن على ألسنة العامة، حيث كانت الصوائت تستنتج استنتاجاً من سياق الكلام، ولم تعط أهمية كغيرها من الصوائت، « فاللّحن على ألسنة بعض الناطقين بالعربية كان الدافع الأوّل لظهور الحركات رسماً وبحثاً، فهي من الناحية النطقية والصوتية موجودة كغيرها من أصوات اللغة ».²

وهذا ما يدل على أنّ انتشار ظاهرة اللّحن وشيوعها على ألسنة العرب بعد مجيء الإسلام؛ كانت سبباً رئيسياً للاهتمام بالصوائت من أجل الحد من هذه الظاهرة التي راحت تفسد الكلام العربي وتخل بضوابطه وقواعده.

وعليه سأحاول في هذا المبحث أن أرصد أهم آراء بعض علماء العربية حول الصوائت:

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص:19-20.

² زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية -دراسة في التشكيل الصوتي-، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004م، ص:04.

المطلب الأول: أبو الأسود الدؤلي (69هـ)

إذا كانت الصوائت هي القسيم الثاني الرئيسي لأصوات آية لغة، فهي تمثل عنصراً أساسياً في تأليف الصيغ المتفرعة عن هذه الأصوات، بل يمكن القول إنّ « الحركات أهم من الحروف في بناء الكلمات، ولكن العلماء العرب اهتموا بالحروف، وصنعوا لها رموزاً مستقلة، في حين ظلت الحركات بدون رموز إلى أن وضع أبو الأسود الدؤلي نقط الإعراب».¹

انطلاقاً من هذا الاستدلال يبدو أنّ البداية الفعلية لدراسة الصوائت - باعتبارها علامات بناء (التركيب) - كانت على يد اللغوي - أبو الأسود الدؤلي* - ذي الذوق الرفيع والحس القوي؛ في وضع هذا النظام الجديد الخاص برموز الحركات، إذ يُعدّ صنيعه بداية اهتمام العلماء العرب بالحركات وتبهمهم إلى دورها وقيمتها في إحكام اللغة وضبطها، كما يُعدّ إدراكاً منه بدور الشفتين وأحوالهما من فتح وضم وكسر في التمييز بينها، حيث اختار كاتباً فطناً من بني عبد القيس، استعان به في نقط المصحف الشريف، وقال له: « إذا رأيتني لفظت بالحرف، فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين».²

¹ حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ص: 37.

* أشهر تلاميذ أبي الأسود الدؤلي: عنيسة الفيل، وميمون الأقرع، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ويحيى بن يعمر العدواني، وعبد الله بن إسحاق الحضرمي، ونصر بن عاصم الليثي، وعطاء بن أبي الأسود...، وقد برعوا جميعاً في علم النحو (الذي كانوا يسمونه "علم العربية") وقراءة القرآن وفنون الأدب. ينظر: حفي ناصف: حياة اللغة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى: 1423هـ، 2002م، ص 84.

² أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ، 1997م، ص: 6-7، وينظر: ابن النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد بن علي، مكتبة الأسد، طهران، د.ط، 1971م، ص: 40.

يبدو أن أبا الأسود الدؤلي من خلال توجيهه لكاتبه في تحديد الحركات قد ميّز بينها في مواضع رسمها تبعا لحركة الأعضاء ووضعيتها النطقية، كما اعتمد في تحديدها على الملاحظة بالعين، كي لا يُلبس الأمر على كاتبه، واستخدم لتمييز الحركات رسما خاصا يتمثل في النقط، وهذا تبعا لأربع جمل شرطية:

- 1- "إذا رأيتني ضممت شفّي فاجعل نقطة أمام الحرف"، والانضمام يعني استدارة الشفتين متقابلتين غير متصلتين، فيتولد عن هذه الوضعية صوت يسمى "الضمة".
- 2- "إذا رأيتني كسرت شفّي فاجعل أسفل الحرف نقطة"، وانكسار الشفتين يعني انحسارها إلى الوراء في شكل ابتسامة، فينشأ عن ذلك صوت يسمى "الكسرة".
- 3- "إذا رأيتني قد فتحت شفّي فاجعل على الحرف نقطة"، ويُقصد بالانفتاح هنا ابتعاد الشفتين عن بعضهما متوازيتين، ويتولد عن هذا الانفتاح صوت يسمى "الفتحة".
- 4- أما قوله: "إذا ضممت شفّي بغنة فاجعل نقطتين"، أو "إذا كسرت شفّي بغنة فاجعل نقطتين"، أو "إذا فتحت شفّي بغنة فاجعل نقطتين"، فهذا يدخل ضمن ما سمّاه لاحقوه بالتنوين¹.

وما يمكن الإشارة إليه من خلال كلام أبي الأسود الدؤلي هو أن اختلاف أوضاع الشفتين أثناء إصدار الحركات؛ يعدّ أول إشارة عربية في مجال الحديث عن الصنف الثاني من الأصوات اللغوية -الصوائت-، وهاته النظرة الجادة من أبي الأسود الدؤلي للصوائت تُنم عن دقة ملاحظته وعمق تفكيره اللغوي، معتمدا في ذلك على التجربة الذاتية والحس اللغوي للحركات القصيرة، ومن هنا كانت البوادر الأولى لتسمية الحركات الثلاث المعروفة [الفتحة والضمة والكسرة]، ولهذا يعدّ أبو الأسود رائد الدراسات اللغوية، إذ له فضل السبق في التعييد اللغوي، ولذا يعدّ صنيعة من الخطوات الأولى للاهتمام بالصوائت العربية القصيرة رسما ونطقا.

¹ ينظر: مكي درار، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص: 66.

المطلب الثاني: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)

من المعروف أن الصوائت عند علماء العربية القدامى لم تنل اهتماما واضحا كالصوامت، وبالرغم من أن مصطلح الحركات لم يظهر بوصفه مصطلحا صوتيا يُدرس دراسة مفردة مفصلة وخاصة في المراحل الأولى، بل جاء عرضه ضمن الحديث عن الجوانب النحوية، في ثنايا مؤلفاتهم، ومع ذلك فإنّ للخليل ملاحظات جليّة بخصوص الصوائت، تستحق كل الثمين، وقد وردت هذه الملاحظات في ثنايا مقدمة كتابه (العين).

حيث إنّ الخليل قد أشار فقط إلى الحركات الطويلة، ورد في معجم العين: «قال الليث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاح، ولها أحياز ومخارج، وأربعة هوائية وهي الهمزة والواو والياء والألف اللينة»¹.

يتضح من خلال قول الخليل أنّه نسب الصّوائت الطويلة من الجانب النطقي أنّها هوائية، وهذا ما يثبت أنّ الواو والياء والألف لا مخرج أو حيز لها، بخلاف الصّوامت، ولذا كان يسميها بالحروف الضعيفة ونسبها للهواء، وفي المقابل أهمل الإشارة إلى الصّوائت القصيرة، ولم يرد ذكرها أثناء الحديث عن هذا الصنف من الأصوات.

إنّ محاولة الخليل لدراسة الحركات بالطريقة التي كان يدرس بها الأصوات الصّامتة، جعلته يدرك بأنّ الصّوائت الطويلة ذات طبيعة خاصة تفرقها عن الصّوامت، «غير أنّ ارتباط الصّوائت

¹ الخليل بن أحمد (أبو عبد الرحمن): معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السمراي، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص: 64.

بالتوترين الصوتيين، اللذين لم يكن الخليل يعرف عنهما شيئاً جعلته يكتفي بنسبتها إلى الهواء، أو أنّها في الهواء كما قال»¹.

وبالتالي فالخليل استطاع بفضل ذكائه وملاحظاته الدقيقة فقط أن يهتدي إلى خاصية هامة من خواص الحركات والمتمثلة في مرور الهواء حال النطق بها، دون أدنى اعتراض لمجراه.

ويضيف الخليل توضيح فكرة الهوائية لهذه الأصوات حيث يقول: « إنّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلّا الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة»².

ومن هنا تتضح بشكل جلي فكرة التفريق بين صنفَي الأصوات الرئيسيين عند الخليل، والمستندة أساساً على مسار تيار الهواء وما يعترضه من عوارض، ولم يكن ثمة أي اعتراض أو توقف أو تضيق للهواء أثناء إنتاج الصوائت الطويلة، لذا عبر عنها بمصطلح "الهوائية"³.

أمّا اهتمام الخليل بالحركات الطويلة دون القصيرة فمرجعه إلى التقدير الخاطيء لوظيفة الحركات القصيرة في بنية الكلمة العربية، قال سيبويه: «زعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليتوصل إلى التكلم به»⁴.

ويرى حلمي خليل، أنّ الخليل بن أحمد قد لجأ إلى هذا الاعتقاد « انطلاقا من طريقة الكتابة العربية أو التعبير الخاطيء عن هذه الحركات بوضعها فوق الحرف لا في بنية الكلمة، ولذلك عدّها الخليل من الزوائد»⁵.

¹ حلمي خليل: التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988م، ص: 57.

² الخليل: معجم العين، ج1، ص: 57.

³ المصدر نفسه، ص: 57.

⁴ سيبويه، (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ، 1988م، ج4 ص: 241.

⁵ حلمي خليل: التفكير الصوتي عند الخليل، ص: 58.

يتّضح من خلال القولين السابقين أنّ سبب إهمال الخليل للصوائت القصيرة هو كونها لواحق بالصوامت، ولا تشكل موقعا أساسيا في بنية الكلمة؛ لذلك توضع فوق الحرف (مثل الفتحة أو الضمة) أو أسفله مثل (الكسرة)، فهي إذن بنظره رموز إضافية تلحق أواخر الكلم.

هذا وقد عاب بعض الدارسين المحدثين أمثال حلمي الخليل إهمال الخليل بن أحمد للحركات القصيرة ووظائفها في النطق والدلالة، رغم أنّه قد أشار إلى أنّهن يلحقن الحرف ليتوصل إلى التكلم به، واكتفى بذكر الحركات الطويلة، وهذه إحدى الملاحظات التي أوردها ابن جني على الخليل¹ عندما توسع في هذه المسألة، واعتبر أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين وإشباع أي حركة قصيرة يؤدي إلى ظهور حركة طويلة.²

بينما يرى غالب فاضل المطلي أنّ وصف الخليل للحركات بـ "الزوائد" ليس تقليلا من أهميتها في النظام الصوتي العربي، بل أنّه أراد بهذا الوصف أنّها لا تدخل ضمن مجموعة الأصوات الأصول (الصوامت) التي تكون جذر الكلمة في العربية، ولعل ما يثبت ذلك اهتمامه الشّديد واجتهاده في وضع رموز الصوائت القصيرة في نظام الكتابة العربية من حيث الشكل أو الصورة الكتابية.³

لذا فالفضل كلّه يرجع للخليل الذي خطا خطوة بارعة في الاستغناء عن نقاط الشكل التي أتى بها أبو الأسود الدؤلي، حيث إنّه لما رأى الخليل أنّ الخط العربي أصبح مثقلا بعدد كبير من النقط - سواء الخاص بالحروف (الصوامت) أو الحركات - الأمر الذي عسر القراءة وعقدها، فأدخل على الخط العربي ما سمّاه ابن جني بـ "أبعاض حروف المدّ واللين"⁴، وقد ورد في مفاتيح العلوم للخوارزمي، أنّ الخليل اقتطع من الألف بعضها وجعله رمزا للفتحة، واقتطع

¹ ينظر: حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص: 59.

² ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 33.

³ ينظر: غالب فاضل المطلي، الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية -، ص: 73.

⁴ ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 33.

بعض الياء و جعله رمزا للكسرة، وصغر الواو وجعلها رمزا للضمّة، فهو بذلك قلل من عدد النقط في الخط العربي الخاصة بالشكل، واستعاضها برموز يسهل تمييزها¹، فاستبدلها بنقاط الشكل تلك العلامات المعروفة لنا الآن (َ) .

أمّا قصة وصوله إلى تحقيق هذا الإنجاز اللّغوي «فهي قصة تنبئ عن عمق الفكر الصوتي والموسيقي عند هذا العبقرى الكبير؛ الذي أدرك بحسه اللّغوي العميق وإدراكه الرائع لطبائع الأصوات أنّ هناك علاقة الجزئية والكلية بين ما يعرف بالحركات القصار وحروف المد، أو ما نسميها الآن بالحركات الطوال، فالفتحة نصف ألف المد نطقاً، والكسرة نصف الياء والضمّة نصف الواو، وبما أنّ هذه الحركات نصف هذه الحروف (حروف المد) نطقاً، وجب أن تكون نصفها كُتَباً² .»

ما يمكن استخلاصه من خلال هذا النص أنّ الخليل استطاع بفضل عبقريته أن يُقلّص من عدد النقط في الخط العربي الخاصة بالحركات، والتي تزامت مع نقاط الإعجام - الحروف - مستعيراً إيّاها برموز يسهل تمييزها، ومدركاً العلاقة بين الصوائت الطويلة والقصيرة (من حيث الطول والقصير) Duration، وهذا ما أثبتته التجارب العلمية في العصر الحديث بكل تأكيد³، ومدركاً كذلك وظيفتها اللّغوية والدلالية المهمة لما قال: «أنّهن يلحقن الحرف ليتوصل إلى التكلّم به»⁴ .

¹ ينظر: الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف): مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2: 1409هـ-1989م، ص: 44.

² كمال بشر: علم الأصوات، ص: 421.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 422.

⁴ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 241.

المطلب الثالث: سيبويه (ت 180 هـ)

يُعدّ سيبويه من أشهر علماء العربيّة القدامى الذين أخذوا غزير المادة اللّغوية عن الخليل، كما أنّه استطاع أن يتوسع في كثير من قضايا العربيّة المستقاة من آراء أستاذه، فكانت بذلك ملاحظاته معتبرة ومستحقة بأن تقدر وتثمن، وهذا فيما يتعلق بالأصوات الصّائتة (أو المدّ و اللّين).

وقد اعتمد سيبويه أثناء دراسته للأصوات الصّائتة على معيار تحكم جهاز النطق في الهواء الخارج من الفم، وما يصادفه من عوائق أو تضيق في مجراه، لذا قال أثناء تفصيله بين أنواع الأصوات الصّائتة الطويلة (المد): « ومنها الهاوي، وهو حرف اتسع لهواء الصّوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك»¹.

والظاهر من خلال القول أنّ سيبويه اعتمد في تصنيفه لأصوات المد في اللّغة العربيّة على الطبيعة الفيزيائية التي تتعلق بالوضوح السمعي، لهذا يعدّ سيبويه أوّل من عقد مقارنة فيزيولوجية وفيزيائية للصوائت الثلاثة: الألف [الفتحة الطويلة]، والواو [الضمة الطويلة]، والياء [الكسرة الطويلة]، ولم يُعثر على مثل هذه المقارنة عند أستاذه الخليل.²

كما ميّز سيبويه الصوائت عن باقي الأصوات الأصول (الصامتة) بصفة اللّين بقوله: «ومنها (اللين)*، وهي الواو والياء لأنّ مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرهما كقولك: وأي، والواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت»³.

¹ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 436.

² ينظر: قاسم البرسيم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص: 215.

* يطلق على أصوات المد و اللين (حروف العلة)؛ نظرا لما تتعرض له هذه الأصوات من تغيير بتأثير التحول من قالب صرفي إلى آخر، مثل: قال، باع، دعا، فالألف محولة من أصل لها، يعرف من المضارع: يقول، يبيع، يدعو.

³ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 435.

وفي هذا إشارة إلى السهولة في إخراج الصوت الصائت بلا احتباس أو تضيق، نظرا لحرية مرور الهواء في أثناء نطقها¹.

أمّا فيما يخص مفاضلته بين أصوات المدّ فقد وضع الألف في قمة الصوائت الطويلة، تليها بعد ذلك الياء ثم الواو، والسبب الذي جعل سيبويه يصنّف الياء بعد الألف في المرتبة الثانية، والواو في المرتبة الثالثة هو الإعاقة البسيطة لتيار الهواء؛ والتي تتضح جليا في قوله: « ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مُخرجه أشدّ من اتساع مُخرَج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مُخرَجها، وأخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجا: الألف، ثم الياء، ثم الواو»².

يتضح من خلال هذا القول أنّ سيبويه قد أدرك مخارج هذه الأصوات بوصفها خفيفة متسعة المخرج، لا يعترض تيار الهواء أثناء إنتاجها أيّ تضيق أو انسداد، كما رتب هذه الأصوات الثلاثة ترتيبا تصاعديا مبتدئا بأوسعها مخرجا، حيث رأى أنّ الألف أكثرها حرّية لمرور الهواء أثناء إنتاجها، ومشيرا إلى دور أعضاء النطق (اللسان والشفيتين) في إنتاج صوتي [الواو والياء]، فلما أدرك أهمية انفتاح جهاز النطق أمام تيار الهواء في تشكيل الصوت ووضوحه، وضع الألف على قمة الصوائت الطويلة بسبب مرور الهواء معه دون عوائق مطلقا³. وغير بعيد عن هذا الرأي فقد تبع الكثير من علماء اللغة سيبويه في هذا التصنيف؛ ومنهم الاستراباذي (ت686هـ) بقوله: « وإثما كان الاتساع للألف أكثر لأنك تضم شفتيك للواو فيتضيق المخرج وترفع لسانك قبل الحنك للياء، وأمّا الألف فلا تعمل له شيئا من هذا، بل تفرج المخرج؛ فأوسعهنّ مخرجا الألف، ثم الياء، ثم الواو، وهذه الحروف أخفى الحروف؛ لاتساع مخرَجها، وأخفاهنّ الألف»⁴.

¹ ينظر: غالب فاضل المطلي، الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية -، ص: 78.

² سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 435، 436.

³ قاسم البرسيم: علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص: 216.

⁴ الاستراباذي رضيّ الدّين محمّد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمّد نور الحسن، محمد الزّرفاف، محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط: 1395 هـ - 1975 م، ج3، ص261.

وقال ابن يعيش (ت 643هـ): « الهاوي الألف، ويقال له: "الجُرسي"؛ لأنّه صوتٌ لا معتمدٌ له في الحلق، والجرسُ الصّوت، وهو حرفٌ اتّسع مخرجه لهواء الصّوت أشدّ من اتّسع مخرج الواو والياء، لأنّك تضمّ شفّتيك في الواو، وترفع لسانك إلى الحنك في الياء؛ وأمّا الألفُ، فتجد الفم والحلق منفتحين غير معترضين على الصّوت بضغطٍ ولا حصرٍ، وهذه الثلاثة أخفى الحروف لانتساع مخرجها، وأخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجا الألفُ، ثمّ الياء، ثمّ الواو».¹

بناء على ما تقدّم يبدو أنّ الميزة الأساسية التي اتسمت بها الصوائت العربية الطويلة تتجلى في الخفاء؛ لعدم الاعتماد على أيّ عضو من أعضاء النطق أثناء إصدارها، وهو ما يلاحظ بوضوح من خلال النطق بالألف، لأجل ذلك صنّفها علماء العربية أخفى حروف المد واللين، دون الإغفال عن التشكيل العضوي الذي تتخذه أعضاء النطق (اللسان والشفّتين) أثناء إصدار صوتي (الواو والياء)؛ المتمثل في استدارة الشفتين عند النطق بالواو، وانفراجهما عند النطق بالياء.

ومما يلاحظ من خلال تتبع دراسة الصوائت عند سيبويه أنّه خالف أستاذه الخليل في إخراج الهمزة من أصوات اللين بالرغم من أنّه يجعلها مع الألف في مخرج واحد وهو أقصى الحلق.

وإذا كانت الصوائت القصيرة تمثل جزءا وأصلا من نظيرتها الطويلة فقد انصبّ اهتمام علماء العربية القدامى على الصوائت الطويلة (حروف المدّ واللين)؛ فدرسوها كبقية الحروف الأصول (الصوامت)، وتركز اهتمامهم على بيان مخرجها وصفاتها رغم اشتراكهما في المخرج واختلافهما في الكمية فقط، وهو ما أكّده السّيرافي (ت:368 هـ) في شرحه لقول سيبويه حيث قال: « (فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضّمة من الواو)، يعني أنّ الفتحة تزداد على الحرف ومخرجها من مخرج الألف، وكذلك الكسرة مخرجها من مخرج الياء، والضّمة من مخرج الواو، قال بعضهم: الفتحة حرف من الألف والكسرة حرف من الياء وكذلك الضّمة حرف من الواو»².

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص525.

² السّيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدي، عليّ سيّد عليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 2008 م، ج5، ص131.

أمّا فيما يخص الصوائت القصيرة (الحركات)، فإنّ مفهومها الصوتي الدقيق يختلف عند سيبويه في معالجته للأبواب الصوتية، بينما يرد مصطلح الحركات أثناء العرض والتفصيل للأبواب النحوية والصرفية، وذلك من خلال الأقوال المتناثرة في ثنايا مؤلّفه "الكتاب"، ومن أمثلة ذلك قول سيبويه في باب الإدغام: «...وكلّما توات الحركات كان الإدغام أحسن...»¹، وقوله أيضا: « وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهنّ يلحقن الحرف ليتوصل إلى التكلم به»²، وقال أيضا: « النَّصْب والفتح، والجر والكسر، والرّفع والضم...»³.

وفي المقابل أكّد كمال بشر أنّ سيبويه « قد أدرك العلاقة بين الحركات الثلاث وحروف المدّ، وعبر عن ذلك بعبارات لا تخرج في مضمونها عما قرره الخليل»⁴.

وبالتالي فسيبويه لم يتجاهل العلاقة الجزئية والكلية بين الصوائت القصيرة ونظيرتها الطويلة، مثلما لاحظنا سابقا مع أستاذه الخليل، وهذا ما يثبت قول سيبويه بأنّ: «الفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو، فكل واحدة شيء مما ذكرت لك»⁵.

كما تنبه سيبويه إلى شيء من عمل اللسان في أثناء نطق الصوائت، فقسّمها بذلك إلى ضريين من الأصوات:

1-مرتفعة: وأشار بذلك إلى الواو والياء والضمة والكسرة، نظرا لارتفاع اللسان أثناء نطقها.

2-مستفلة: وأشار بذلك إلى الألف والفتحة، على اعتبار أنّ اللسان يستفل أو ينحط أثناء

¹ سيبويه، الكتاب: ج4، ص: 435.

² المصدر نفسه، ص: 241.

³ سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 16 .

⁴ كمال بشر: علم الأصوات، ص 422.

⁵ سيبويه: الكتاب، ج4، ص 242.

النطق بهما.¹

ونستخلص من الأقوال السالفة الذكر أنّ هذه الحركات التي تعدّد ذكرها عند سيبويه في الكثير من مواضع مؤلّفه (الكتاب)، إنّما جاءت ضمن عرضه وتحليله للقضايا النحوية والصرفية، خاصة وأنّ الحديث عن الإعراب عند القدامى كان يؤدي وظيفة دلالية، ولا علاقة لها بالجانب الصوتي.

¹ ينظر: غالب فاضل المطليبي، الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية - ص 80.

المطلب الرابع: ابن جني (ت 392هـ)

تعدّ الدراسات الصوتية العربية لدى العلماء المحدثين والمعاصرين امتداداً للدراسات القديمة لدى علماء العربية القدامى، وذلك من خلال ما أشاروا إليه في مؤلفاتهم، ومن هؤلاء الدارسين القدماء اللغوي والعلامة "أبو الفتح عثمان بن جني"؛ الذي اهتم بالدرس الصوتي اللغوي اهتماماً بالغاً بما يستحقه كعلم قائم بذاته مستقل عن غيره من الفروع اللغوية، يتضح هذا في ثنايا مؤلفاته مثل: "المحتسب في القراءات" و"الخصائص"، ونخص بالذكر "سر صناعة الإعراب" الذي لا يمكن لأي دارس في مجال علم الأصوات - سواء كان عالماً أو متعلماً - الاستغناء عنه على الإطلاق؛ لما يحويه من التحقيق والتدقيق والإبداع في علم الأصوات عامة وفي مجال علم الأصوات النطقي بوجه الخصوص، لذا اعتبر ابن جني أول من أفرد لأصوات اللغة كتاباً مستقلاً (سر صناعة الإعراب)، وهو من أول من سُمّي "علم الأصوات" بهذا الاسم.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ابن جني تطرق إلى العديد من القضايا الصوتية المتعلقة بالصوائت في الجزء الثاني في مؤلفه "الخصائص"، بما خصها من أبواب تستحق كل التثمين أهمّها: "باب مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف"¹، و"باب محل الحركات من الحروف أمعها أم قبلها أم بعدها"².

وخصّها بالحديث المفصل عندما تحدث عن الكميات الصوتية في الجزء الثالث من هذا المؤلف بخمسة أبواب هي:

- 1- كمية الحركات، 2- مطل الحركات، 3- مطل الحروف، 4- إنابة الحركة عن الحرف، 5- هجوم الحركات على الحروف.

¹ ابن جني: الخصائص، ج2، ص 315.

² المصدر نفسه، ص 321.

وسأحاول أن أطرح أهم القضايا التي عالجها ابن جني من أثناء دراسته الصوائت العربية.

(أ) من حيث التصنيف:

يتفق ابن جني مع الخليل في تصنيف الصوائت الطويلة ضمن الأصوات الهوائية التي اتسع مخرجها حيث يقول: « فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتدا حتى ينفذ ».¹

يتضح من خلال هذا الاستشهاد أن فكرة اعتبار الصوائت الثلاثة الطويلة من ضمن الأصوات الهوائية مستقاة من وجهة رأي الخليل، والذي اصطلح على تسميتها بالحروف الهوائية،² التي تنطلق مع الهواء دون أي عائق يعترض مجراه.

ثم يضيف ابن جني قائلاً: « والحروف التي اتسعت مخرجها ثلاثة: الألف ثم الياء والواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو ».³

ونستنتج من هذا القول أن الصوائت الطويلة هي تلك الحروف التي اتسعت مخرجها، وهي ثلاثة: [الألف والواو والياء]، ويميز ابن جني بين هذه الأصوات الثلاثة تبعاً للتغير الطارئ الذي يلحق بالفم والحلق بمختلف الأشكال، بقوله: « أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأمّا الياء فتجد معها الأضراس سُفلاً وعلوًّا، قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأمّا الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 20.

² ينظر: الخليل، معجم العين، ج1، ص 64.

³ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 21.

الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل بالصوت، فكما اختلفت أشكال الحلق والضم والشفيتين مع هذه الأحرف الثلاثة، اختلف الصدى المنبعث من الصدر»¹.

يكشف لنا هذا النص أن مردّ اختلاف الصوائت الطويلة وتلوّنها راجع إلى تغيّر وضعيات الحلق والضم والشفيتين، ففي حالة النطق بالصائت الطويل [الألف] تكون منفتحة غير معترضة للهواء، فليس ثمة أي عائق أو تضيق لممر الهواء، أمّا في حالة النطق بصوت الياء فتلتف الأضراس العليا والسفلى بناحيّتي اللسان فتشكل بذلك فجوة بين ظهر اللسان والحنك الأعلى تمنع من استطالة الهواء، محدثاً صائتاً طويلاً هو "الياء"، وفي حالة النطق بالواو تضم لها معظم الشفتين على شكل استدارة، ونترك بينهما فجوة ليمرّ معها الهواء، فينشأ عنه صائت طويل هو "الواو".

ب) من حيث التسمية:

يتفق جل الدارسين اللغويين أن ابن جني أول من أعطى مصطلح "الحركات" عناية خاصة أثناء دراسة هذا الصنف من الأصوات دراسة صوتية مدى اهتمامه بهذا المصطلح ومعالجته له معالجة واسعة في مؤلفيه "الخصائص"، و"سر صناعة الإعراب"، ولذا يعتبر ابن جني -بلا منازع- أول من أطلق على الصوائت القصيرة [الفتحة والكسرة والضمة] بالحركات بمفهومها الصوتي الدقيق، ولكنه لم ينسب لنفسه هذا المصطلح، التزاماً بالأمانة العلمية، وإظهاراً لجهود السابقين له، « فمصطلح الحركات ورد قبل ابن جني في معالجة الأبواب النحوية والصرفية، وعندما أطلقه ابن جني على هذه الأصوات عند معالجتها في الأبواب الصوتية، نظر إليه على أنه مصطلح مشترك في التسمية بين الأبواب النحوية والصرفية والصوتية مع وجود الفارق في معالجته في كل باب عن الآخر»².

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 21.

² زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية، ص 09.

يظهر من خلال هذا الطرح أنّ تسمية الصوائت بالحركات عامة وقديمة، أمّا التحديد الصوتي لماهيتها ووظيفتها الصوتية خاص بـ ابن جني.

ويعلّل ابن جني سبب تسمية الصوائت القصيرة بالحركات، بقوله: «وإنّما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات لأنّها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها».¹

وبالتالي فقد استخدم ابن جني مصطلح الحركات للدلالة على تلك المصوّتات القصيرة، واصفا إياها بأنّها ناقصة وتساهم في تلوين الصيغة الصوتية للحرف الذي تلحق به، فتجتذبه نحو الحرف التي هي من جنسه، قاصدا بذلك الصوائت الطويلة الثلاث [الألف والواو والياء].

ج) من حيث العدد:

أمّا من حيث إشارته لعدد الصوائت القصيرة ومقابلتها الطويلة فهو يقول في هذا الصدد: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللّين؛ وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث؛ وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدموا النحاة يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة».²

وإذا كان البعض جزء من الكل، فهي إفادة من ابن جني على أنّ الصوائت القصيرة الثلاثة هي تخصيص لكميات جزئية من نظيرتها الطويلة (الألف و الياء و الواو).

كما نلتمس أيضا من خلال هذا القول أنّه قد اكتشف بأنّ الصوائت القصيرة "الفتحة والضمة والكسرة" هي أصول للصوائت الطويلة "الألف والواو والياء" على الترتيب،

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 42.

² المصدر نفسه، ص 33.

وهي -على حدّ تعبيره- توابع لها وناشئة عنها، وهذا ما أثبتته متقدمو النحاة عندما اعتبروا الفتحة ألفا صغيرة والكسرة ياء صغيرة والضممة واوا صغيرة.

ثم يبرهن ابن جني صحة رأيه بقوله: « ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنّك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة في عين "عَمَر" فإنّك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف ساكنة، فقلت: عَامَر، وكذلك كسرة عين "عِنَب" إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك: عَيْنَب، وكذلك ضمة عين "عُمَر"، لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة، وذلك قولك: عُوْمَر، فلولا أنّ هذه الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها، لما تنشأت عنها ولا كانت تابعة لها»¹.

إنّ الألف من "عَامَر" والياء من "عَيْنَب"، والواو من "عُوْمَر" هي صوائت طويلة ناشئة عن إشباع الصوائت القصيرة التي وردت قبلها، بمعنى أنّ إشباع أي حركة قصيرة يتولد عنه حركة طويلة من جنسها.

وهذا القول يتشابه مع قول الخوارزمي في كتابه (مفاتيح العلوم) : « الرّفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة، وكذلك الكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت: الواو المدودة اللينة ضمة مشبعة، والياء المدودة اللينة كسرة مشبعة ، والألف المدودة فتحة مشبعة»².

وقال ابن جني في موضع آخر: « وهذه الحروف عن هذه الحركات تنشأ متى كن مدات»³.

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص34.

² الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، دط ، دط، ص 31.

³ ابن جني: المنصف، ج1، ص 213.

بناء على ما سبق ذكره فإن قاسم البرسيم يرى أن ابن جني قد أصاب في فكرة اعتبار الصوائت القصيرة أبعاضاً للصوائت الطويلة، ولم يختلف عما جاء به علم الصوت الحديث.¹

وإذا كان جمهور علماء اللغة القدامى قد استقروا على أن الصوائت العربية ثلاثة، وستة بحسبان الطول والقصر؛ فإن ابن جني تنبه لوجود صوائت أخرى ثانوية ناشئة بسبب تجاور الأصوات فيما بينها، وهو ما أشار إليه بقوله: «أما ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث، وهي الضمة والكسرة والفتحة، ومحصولها على الحقيقة ست، وذلك أن بين كل حركتين حركة، فالتى بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، نحو فتحة عين عالم، وكاف كاتب، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة»².

ومن هذا النص يبدو أن ابن جني تفطن لوجود حركات فرعية تدرك من خلال علاقات الجوار بين المقاطع الصوتية، فيتأثر الحرف لما يليه أو يسبقه، ومن هنا ظهرت الإمالة والتفخيم وغيرها من التلونات الصائتية الأخرى.

ورغم هذه العناية التي أولاها ابن جني للصوائت الفرعية وتأكيدده على أن عدد الصوائت من خلال توظيفها يفوق العدد المتفق عليه؛ إلا أن هذه الأصوات الفروع بقيت مجرد تعليقات وصفية لتغيّرات ألفونية، تستنتج من خلال الأداء الصوتي، وبت الإجماع قائماً على أن: « الصوائت في اللغة العربية هي: الفتحة / /، والضمة / /، والكسرة / /، والفتحة الطويلة أو الألف وهي ألف مسبوقه بفتحة، والضمة الطويلة وهي واو مسبوقه بضمة، و الكسرة الطويلة وهي ياء مسبوقه بكسرة »³.

¹ ينظر: قاسم البرسيم، علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الحديثة، ص 219.

² ابن جني: الخصائص، ج3، ص 120.


³ منصور محمد الغامدي: الصوتيات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م، ص33.

وما يمكن استخلاصه مما سبق أن جهود ابن جني تستحق كل الثمين، إذ يبقى من أبرز علماء العربية القدامى؛ الذين أرسوا دعائم الدراسات الصوتية عامة، وفي مجال دراسة موضوع الصوائت العربية بوجه الخصوص، كونه قد خصّها بدراسة مستفيضة، وأولاها حقها من العناية والدقة في التحليل.

ومما لاحظناه من خلال تتبع الدراسات العربية القديمة للأصوات اللغوية - بغض النظر عن ابن جني - إهمالهم للصوائت خاصة القصيرة، فهي لم تنل عناية كما نالتها الصوامت (الحروف الأصول)، بحيث لم تفرد لها دراسة خاصة بل كانت ترد ضمن الحديث عن الجوانب النحوية والصرفية، ولكن هذا لا يعني تجاهلهم لقيمتها ووظيفتها.

وبهذا ساهم علماء العربية الفصحى القدامى بقسط وافر في التععيد اللغوي والصوتي؛ وهذا من خلال إشارتهم القيمة المتناثرة في ثنايا الأبواب أثناء معالجتهم لمختلف القضايا اللغوية، فرغم صعوبة دراسة الصوائت وطبيعتها المعقدة، ومع ذلك فقد حصروا مخرجها في الجوف والذي انتابه شيء من الغموض في هذا التحديد، وبقي هذا المخرج تقديريا يحتاج لأكثر دقة شأنه شأن باقي الأصوات الصامتة، فكانت لهم بذلك جهودا معتبرة في المجال الصوتي، تتميز بالدقة والتفصيل وإجادة الوصف انطلاقا من ملاحظاتهم الذاتية فقط، وشكّلت أول مصدر يستند عليه الدارس المحدث ولا يمكنه الاستغناء عنه.

المبحث الثاني: الصوائت العربية عند علماء التجويد

المطلب الأول: من حيث التسمية 

المطلب الثاني: عدد الأصوات الذائبة عند علماء التجويد 

المطلب الثالث: علاقة أصوات المد بالحركات عند علماء 

التجويد

المطلب الرابع: مخارج الصوائت وصفاتها عند علماء 

التجويد

المطلب الخامس: التغيرات الصوتية للصوائت العربية عند 

علماء التجويد

تضمنت كتب علم التجويد دراسة للأصوات اللغوية تستحق التثمين ولا تقل أهمية عن جهود علماء العربية، لكنّها - كما يرى غانم قدوري الحمد- ظلّت مهملة، وظلّت مادّتها مجهولة، بل ذهب إلى حدّ القول بأنّ رواد الدّراسة الصّوتية العربيّة الحديثة لم يستخدم أحد منهم أيّاً من كتب علم التجويد، فالذين كتبوا كتباً مستقلة في دراسة الأصوات العربيّة مثل: إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيّوب، وكمال بشر، وأحمد المختار عمر...، لم يعتمدوا على تلك الكتب، وهو ما حرم الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث من مصدر غنيّ وأصيل¹.

وإذا كان موضوع علم التجويد الأساسي المتميّز والمحدد هو دراسة مخارج الحروف وصفاتها وأحكامها التركيبية، مما نسميه الآن [علم الأصوات اللغوية]، فلم تخل مؤلفات علماء التجويد غيرها من كتب اللغويين - قدماء ومحدثين- وحتى الفلاسفة المسلمين - من التقسيم الأساسي للأصوات اللغوية، والثنائي المشهور "الصوائت والصوائت"، بل اعتبره غانم قدوري الحمد أهم تصنيف يتصدر كتب التجويد، وهذا التقسيم يعتمد أساساً على كيفية مرور النفس في آلة النطق.²

وما يعيننا في هذه الدراسة هو تسليط الضوء على أهم القضايا التي عالجها علماء التجويد بخصوص الصوائت.

¹ ينظر: غانم قدوري الحمد، علم التجويد -دراسة صوتية ميسرة- دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ، 2005م، ص: 13.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 44.

المطلب الأول: من حيث التسمية

عبر علماء التجويد عن القسيم الثاني للأصوات اللغوية- الصوائت - بمصطلحات عديدة أهمها:

1-الأصوات الذائبة: في مقابل الأصوات الجامدة؛ حيث إن: « الصوت الذائب هو صوت يتميز بأنه الصوت المجهور الذي يحدث في أثناء النطق به أن يمر الهواء حرًا طليقا خلال الحلق والفم، من غير أن يقف في طريقه أي عائق يؤدي إلى تضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا».¹

إن مفهوم الصوائت عند علماء التجويد -بحسب غانم قدوري الحمد- لم يختلف عما جاء به الدارسون اللغويون- قديما وحديثا - الذين اعتبروا أن الصفة الأساسية المميّزة لنطق الصوائت تقوم على شكل ممر الهواء المفتوح، ولهذا نجدهم يعرفون الصوت الصائت بأنه: صوت مجهور، لا يسمع عند إنتاجه احتكاك أو انفجار.²

2-مصطلح المصوتة: وهو من المصطلحات التي استعملها بعض علماء التجويد للتعبير عن الصوائت، قال عبد الوهاب القرطبي(ت 461هـ): « وإِثْمَا سَمِيَتْ مِصْوَتَةٌ لِأَنَّ النَّطْقَ بِهِنَّ يُصَوِّتُ أَكْثَرَ مِنْ تِصْوِيَّتِهِ بِغَيْرِهِنَّ لِاتِّسَاعِ مَخَارِجِهِنَّ وَامْتِدَادِ الصَّوْتِ بِهِنَّ».³

فسبب تسمية الصوائت بـ"المصوتة" راجع إلى أن هذه المجموعة من الأصوات تحدث تصويتا أثناء إنتاجها أكثر من غيرها من الأصوات.

¹ غانم قدوري الحمد: علم التجويد، ص 44.

² ينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2000م، ص 63.

³ عبد الوهاب بن محمد القرطبي، الموضح في التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1421هـ، 2000 م، ص 97.

3-الممدودة: وفي ذلك يقول أبو عمرو الداني: « سُميت ممدودة لأنّ الصوت يمتد بها بعد إخراجها من موضعها ».¹

ويعلّل مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)* سبب تسمية هذه المجموعة من الأصوات بالممدودة بقوله: « مد الصوت لا يكون في شيء من الأصوات إلاّ فيهن، ولأنّهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان ».²

من خلال القولين السابقين يظهر أنّ تسمية الصوائت بالممدودة أو بأصوات المد، راجع إلى امتداد الصوت أثناء النطق بها دون غيرها، وهذا بخلاف الأصوات الصامتة أو الجامدة، كما أطلق عليها علماء التجويد.

والجدير بالذكر أنّ بعض علماء التجويد استخدم مصطلحي "الجوفية" ، و"الهوائية" ، وهما من مصطلحات الخليل بن أحمد الفراهيدي ؛ واللذان يشيران إلى أهم خاصية من خصائص الأصوات الذائبة، والمتمثلة في خروج النفس معها حراً طليقاً؛ من غير أن تعترضه عوائق من شأنها أن تعيقه أو تمنعه عن انسيابه خلال الحلق والضم.³

¹ الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني)، التحديد في الإتيان والتجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1421هـ، 2000م، ص 107.

* مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمّد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمّد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل القيروان، ولد فيها سنة 355 هـ/966م، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها، ثم سكن قرطبة (سنة 393هـ)، وخطب وأقرأ بجامعة وتوفّي فيها سنة 437 هـ/1045م، له كتب كثيرة منها: (مشكل إعراب القرآن)، و (الكشف عن وجوه القراءات وعللها) ، و (الهداية إلى بلوغ النّهاية) و (المنتقى) في الأخبار، و (الرعاية لتجويد التلاوة، و (الإبانة) في القراءات، و (شرح كلا وبلى ونعم). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص286.

² مكي بن أبي طالب (أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي) ، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، تحقيق أحمد حسن فرحات ، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط3: 1417هـ، 1996م، ص 125.

³ ينظر مثلاً: مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، ص 126.

وهذا ما يوحى بتأثر علماء التجويد بأفكار علماء العربية القدامى أثناء دراستهم لحروف المد و الحركات.

وقد جمع محمود الحصري هذه التسميات السابقة الذكر مضيفا إليها مصطلح "الخفية"، وذلك بقوله: « تسمى هذه الحروف [حروف مد ولين]، لامتدادها في لين وعدم كلفة، وخفية لخفض النطق بها، فهي أخفى الحروف، وأخفاهن الألف ثم الياء والواو».¹

فمصطلح "الخفية" مصطلح مناسب للكيفيات العارضة لهذه الصوائت، وفي مقدمتها الاختفاء عند النطق بها.

وميز محمود الحصري بين حروف المد وحروف اللين، بأنه إذا كان ما قبل الواو مفتوحا نحو [خَوْف، نَوْم، مَوْت]،، وكان ما قبل الياء مفتوحا نحو: [يبيع، غير، صَيْف]، كان حرفي لين فقط، بشرط الوقوف على الكلمة.²

¹ محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، المكتبة الملكية، دار البشائر الإسلامية، ط4، 1999م، ص 208.

² المرجع نفسه، ص: 208.

المطلب الثاني: عدد الأصوات الذائبة عند علماء التجويد

أجمع علماء التجويد على أن الحروف الذائبة ثلاثة وهي: الياء و الواو و الألف، قال أحمد بن أبي عمر: « والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف ولا يجيء إلا مفتوحا ما قبله، وهذه الحروف حروف المد واللين، سميت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد، وما عداها جامد، لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد»¹.

وقال مكي بن أبي طالب: « حروف المد واللين، وهي ثلاثة أحرف، الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة»².

وقال محمود الحصري: «حروف المد واللين ثلاثة: الألف اللينة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، والواو الساكنة بشرط أن يكون ما قبلها مضموما، والياء الساكنة بشرط أن يكون ما قبلها مكسورا»³.

ونستخلص من الأقوال السالفة الذكر أن الأصوات الذائبة في نظر أغلب علماء التجويد هي ثلاثة [الألف والواو والياء] المسبوقين بحركة من جنسها، والتي أطلق عليها القدامى بحروف المد واللين، وقد اجتمعت هذه الأصوات الثلاثة في: " وَأُوتِينَا " من قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾⁴. وكذلك في: " نُوحِيهَا " من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِ الْأَغْيَابِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾⁵.

¹ (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد، التحديد في الإتيان والتجويد، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1: 1421هـ، 2000م، ص: 107.

² مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، ص: 125.

³ محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص: 208.

⁴ سورة النمل، الآية: 42.

⁵ سورة هود ، الآية: 49.

المطلب الثالث: علاقة أصوات المد بالحركات عند علماء التجويد

تعرض علماء التجويد لدراسة العلاقة بين أصوات المد والحركات، والبحث عن معرفة الأصل والفرع منهما، فأدركوا بذلك علاقة الكليّة والجزئية التي تربط بينهما، فتوصلوا إلى أنّ الاختلاف بينهما يكمن في الكمية، بمعنى الزمن الذي يستغرقه النطق بكل منهما، وقد عرض عبد الوهاب القرطبي فكرة ارتباط الحركات بحروف المد، قائلاً: «أمّا الحركات فهي أبعاض حروف المد واللّين، التي هي الألف، ولا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحاً، والواو والياء إذا كان ما قبلهما منهما، وإذا كانت هذه الحروف ثلاثة، وجب أن تكون الحركات التي هي أبعاض لها ثلاثاً، وهي الضمة والكسرة والفتحة، فالضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء والفتحة بعض الألف».¹

ثم قال في موضع آخر: «والذي ينبغي أن يعتمد القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يُشبع الفتحة بحيث تصير ألفاً، ولا الضمة بحيث تخرج واواً، ولا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعاً للحرف موضع الحركة، ولا يوهنها ويختلسها ويبالغ فيضعف الصّوت عن تأديتها، ويتلاشى النطق بها وتتحوّل سكونا».²

يتضح من خلال هذين القولين أنّ علماء التجويد أدركوا الاختلاف الصّوتي بين حروف المد والحركات، والمتمثل أساساً في الزمن الذي يستغرقه النطق بكل منهما، فموضع نطق الفتحة مثلاً؛ ينتج عنه كذلك حرف المد (الألف). بمجرد أن يطيل الناطق زمن مرور النفس أكثر مما يحتاجه إنتاج الفتحة.

ولا يخفى على أيّ دارس في علم اللّغة أن فكرة علاقة حروف المد بالحركات، موروثه عن علماء العربية أمثال ابن جني، حينما قال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللّين، وهي

¹ عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص 191.

² المصدر نفسه، ص 191.

الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو.¹

ومن هنا يظهر جلياً مدى تأثر عبد الوهاب القرطبي، وموافقته لما أقرّه ابن جني من أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين.

وقد اشترط علماء التجويد أن يكون قبل الواو والياء حركة من جنسهما، وأن يكونا ساكنين لكي يُعدها من حروف المد، وإذا تخلّف هذان الشرطان عنهما، كأن تتحركا، أو لم تكن حركة ما قبلهما من جنسهما، لم يكونا حرفي مد، ولحقا بالحروف الجامدة أو الصحاح.²

وترجع أصول هذا التفريق إلى علماء العربية القدامى أمثال ابن جني لما قال: «إنّ الياء والواو إذا تحركتا قويتا بالحركة فالحقتا بالحروف الصحاح».³

وقال سيبويه عن الياء: «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين وصارت مثل غير المعتل».⁴

وهذا ما عبّر عنه الدارسون المحدثون فيما بعد بأشباه الصوامت وأشباه الصوائت⁵، أو الانزلاقيات⁶.

¹ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 21.

² ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ص302.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص302.

⁴ سيبويه، الكتاب، ج4، ص193.

⁵ ينظر مثلاً: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، د.ت، ص 42. وينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 368.

⁶ ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الانتماء القومي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص138.

إنَّ اهتمام علماء التجويد بدراسة حروف المد والحركات، لم يقتصر على دراسة العلاقة بينهما، بل تعدتها إلى محاولة بيان مقدار الحركات القصيرة، التي تلحقها ظاهرة الاختلاس والرّوم... وغيرها من الظواهر اللّغوية.

كما حاول علماء التجويد ضبط الزمن الذي يستغرقه نطق الأصوات الذائبة، فتمكّنوا بذلك من تقدير كميات الحركات وحروف المد عن طريق نسبة الصوت إلى نظيره؛ فالفتحة مثلاً نصف الألف، والألف ضعف الفتحة¹، وهذا ما أثبتته القسطلاني (ت923هـ) بقوله: «ووزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها، ولذلك سُمّوا الفتحة الألف الصغرى، والكسرة الياء الصغرى، والضمة الواو الصغرى، فنقص الحركة عما أجمع عليه لحن»².

وبهذا استطاع علماء التجويد التمهيد للدّارسين المحدثين، من أجل الوصول إلى قياس زمن الأصوات الذائبة بالثانية وأجزائها، وهذا بفضل معطيات العلم الحديث.

¹ ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ص 361.

² شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (القسطلاني)، لطائف الإشارات لفنون القراءات تحقيق الشيخ عامر عثمان عبد الصبور شاهين، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، د ط، 1392هـ، 1972م، ج1، ص 187.

المطلب الرابع: مخارج الصوائت وصفاتها عند علماء التجويد

تتميّز الأصوات الذائبة في اللغة العربيّة - في نظر علماء التجويد - بقلة عددها ووضوح أنواعها، فعلى الرغم من إمكانية آلة النطق إنتاج عدد كبير منها، فإنّ العربية الفصحى لم تستخدم إلاّ ثلاثة أصوات ذائبة، وستة إذا أخذنا الطول والقصر في الحُساب.

ومن مميّزاتها أيضاً المد الذي يميّزها عن باقي الأصوات الجامدة؛ قال محمود الحصري: « خُصّت هذه الحروف بالمد دون غيرها، لأنّها أنفاس قائمة بهواء الفم وحركاتها في غيرها، فلذا قبلت الزيادة بخلاف غيرها، فإنّ لها حيزاً محققاً، وحركاتها في نفسها فلم تقبل الزيادة».¹

ومنه فالصفة الأساسية للأصوات الذائبة، تتمثل في جريان النفس بطلاقة في مخارجها دون أدنى اعتراض أو تضيق لمجرأه بخلاف الأصوات الجامدة.

ومن مميزات الأصوات الذائبة كذلك الجهر، قال غانم قدوري الحمد: « الصوت الذائب يتميز بأنّه الصوت المجهور».²

ويرى مكّي بن أبي طالب أنّ أصوات المد « يخرج من اللفظ في لين، من غير كلفة على اللسان واللهوات، بخلاف سائر الحروف وإنّما يتسلل عند النطق بمن انسللاً بغير تكلف».³ وفي كلامه هذا إشارة دالة على وضوح أصوات المد في النطق، وسهولة إنتاجها من غير تكلف، بخلاف الأصوات الصامتة.

أمّا من حيث مخارجها، فقد أجمع أغلب علماء التجويد على أنّ مخرج الأصوات الذائبة هو من جوف الحلق، وهذا ما أثبتته ابن الجزري (ت833هـ)، عندما تحدث عن مخارج الحروف

¹ محمود الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ص 208.

² غانم قدوري الحمد، علم التجويد، دراسة صوتية ميسرة، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1426 هـ، 2005م ص 44.

³ مكّي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، ص 126.

في كتابه: "النشر في القراءات العشر"، فعدّ المخرج الأوّل الذي هو الجوف فقال: «وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين، وتسمى الهوائية والجوفية».¹

وإلى ذلك أشار في مقدمته بقوله:

فألف الجوف وأختاها وهي حروف مدّ للهواء تنتهي²

و لعل ما أشار إليه ابن الجزري أخذه عن ما اشتهر به الخليل من آرائه الدالة على عبقريته، وسبقه في الكثير من المباحث الخاصة بدراسة الحروف ومخارجها، وذلك لما قال عن حروف المد واللين: « وإنما نُسِبَ إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن ».³

وقد عدّ علماء التجويد هذا المخرج مقدرا، لأنه لا يمكن تحديده في نقطة معينة، قال محمد بن أبي بكر المرعشي (ت115هـ): «لجميع الحروف مخرج محقق إلا حروف المد، إذ لا تنضغط أصواتها في موضع انضغاطا ينقطع به صوتا...، وبالجمله إنّ حروف المد لما لم تنقطع أصواتها في موضع، لم يكن لها مخرج محقق، لذا فإنّ المخرج المحقق هو الذي انقطع الصوت فيه، بل قدّروا لها جوف الحلق والفم مخرجا، لأنه يمكن لك قطع أصواتها حين تمّ مرورها على هواء الحلق والفم مخرجا، لأنه يمكن لك قطع أصواتها حين تمّ مرورها على هواء الحلق والفم».⁴

ونستنتج من هذا القول أنّ المرعشي، ميّز أصوات المد عن الحروف الصّحاح باعتبارها هوائية، ولا يمكن أن ينقطع الصوت فيها عن مخرج محدد، لذا نُسبت إلى الهواء والجوف.

¹ أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، مراجعة وتصحيح الأستاذ: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج1، ص199.

² أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري: متن الجزرية في التجويد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، دت، ص5.

³ الخليل، العين، ج1، ص64.

⁴ محمد بن أبي بكر (المرعشي)، بيان جهد المقل، ص10، نقلا عن غانم قدوري الحمد، الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ص309.

وقد اعترض غانم قدوري الحمد على هذا القول لما لاحظ أن أصوات المد تخرج من مخرج واحد وهو الجوف، فما الذي جعل أصواتها تتمايز في السمع؟

ولنا أن نلمس الجواب عن هذا التساؤل في قول علي القاري (ت1014هـ): « إنهم بالصوت المجرّد أشبه منهن بالحروف، ويتميّز عن الصوت المجرّد بتصعد الألف وتسفل الياء واعتراض الواو».¹

وفي هذا القول إشارة واضحة إلى الشكل الذي يتخذه اللسان والشففتان أثناء إنتاج كل صوت من أصوات المد.

وإذا كان علماء التجويد قد وضحووا العلاقة بين حروف المد الثلاثة وبين الحركات الثلاث - كما ذكرنا سابقاً - فإنهم أشاروا كذلك إلى أنّ مخارج الحركات هي مخارج حروف المد نفسها²، فالضمة حركة تُضم لها الشفتان، والفتح حركة يفتح لها الفم، والكسر حركة تنكسر لها الشفتان، وتحويان إلى الأسفل.

¹ علي القاري، المنح الفكرية على منح الجزرية، ص90، نقلاً عن غانم قدوري الحمد، الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ص310.

² غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص311.

المطلب الخامس: التغيرات الصوتية للصوائت العربية عند علماء

التجويد

تطراً على الصوائت الأصول تعييرات صوتية؛ تتشكل منها صوائت فروع نتيجة تنويعات نطقية عند بعض اللهجات، قال غالب فاضل المطلي: «إنما هي أصوات فرعية بسبب أنّها نشأت من جراء تعامل أصوات المد العربية الأساسية فيما بينها؛ في هذه اللهجات، ولم تستقل هذه الأصوات يوماً ما، لتعبر عن قيم فونيمية خاصة بها، بل بقيت صورة نطقية حسب، تميز لهجة من لهجة أخرى، من غير أن تثير إشكالا دلاليا أو صرفيا»¹.

ولم يغفل علماء التجويد عن الاهتمام بمثل هذه التلوّنات الصائتية، حيث تخللت الكثير من ثانيا فصول وأبواب مؤلفاتهم، بل اتخذت عناوين بعض مؤلفات المحدثين، نذكر على سبيل المثال: "الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية" لـ: "عبد العزيز علي سفر"، ويمكن أن نشير إلى أهم التغيّرات الصائتية الناتجة عن الظواهر اللهجية التي عاجلها علماء التجويد:

1-الإمالة:

تعد الإمالة من المصطلحات اللغوية التي أولاها علماء اللغة والقراء اهتماما كبيرا، حيث درسها أهل اللغة باعتبارها ظاهرة صوتية، كالتصغير والنسب والإدغام، في حين عاجلها القراء باعتبارها وجها لقراءة قرآنية، فدرسوها مقرونة بالآيات القرآنية الكريمة، مع ذكر مذاهب القراء وآرائهم بشأنها.

¹ غالب فاضل المطلي، في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1984م، ص: 162.

والإمالة لغة: من الميل، جاء في اللسان: «الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلا وممالا ومميلا».¹

أمّا اصطلاحاً: فقد جاء في شرح المفصل أنّ الإمالة: «عدول بالألف عن استوائه ووضوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ومخرج الياء، و بحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، و بحسب بعدها تكون خفتها».²

ولم يختلف علماء القراءات عما سبق علماء العربية بالإشارة إليه من حيث مفهوم الإمالة ، قال ابن الجزري: « والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرا، وهو المحض، ويقال له الإضجاع، ويقال له البطح، وربما قيل له الكسر أيضا، (و قليلا)، وهو بين اللفظين، ويقال له أيضا: التقليل والتلطيف وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا إلى قسمين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة، وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب».³

فالإمالة إذن عند ابن الجزري هي أن تميل الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، وقد أشار إلى بعض المصطلحات التي تطلق عليها مثل: المحض و الإضجاع و البطح...

و تجدر الإشارة إلى أنّ الإمالة لغة بني تميم، ويقابلها الفتح وهو لغة أهل الحجاز.⁴

¹ ابن منظور (جمال الدين ابن محمد)، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج 11، مادة ميل، ص: 636.

² (ابن يعيش) موفق الدين أبو البقاء يعيش ابن علي: شرح المفصل، تحقيق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ج 5، ص: 188.

³ ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج 2، ص: 29-30.

⁴ ينظر: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط 3، 1996، ص: 284.

أ- فائدة الإمالة:

عالج العلماء هذه المسألة مبينين فائدة الإمالة والغرض منها، فأجمعوا على أن الهدف الأساسي منها هو تقريب الأصوات، لحصول نوع من التشاكل، قال بن يعيش: « في الإمالة قرّبوا الألف من الياء، لأنّ الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، فصار الصوت بين بين، فاعتدل الأمر بينهما، وزال الاستثقال بالتنافر».¹

لذا تظهر فائدة الإمالة في سهولة النطق، وذلك لأنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال²، فيتفادى الناطق بذلك صعوبة النطق الناتجة عن تنافر الأصوات، فيحدث بذلك توافقاً صوتياً في الأداء.

ب- أسباب الإمالة:

تعددت آراء الدارسين اللغويين بشأن أسباب الإمالة، ومع ذلك يتفق جلّهم على أنّها تعود لسببين هما الكسرة والياء³، دون أن نغفل عن عاملي البيئة والمحيط؛ فإنّهما يؤثران كذلك في الظواهر اللغوية.

ويرى المالقي أنّه: «متى كان سبب الإمالة موجوداً في اللفظ، فإنّ الإمالة أقوى مما إذا كان السبب مقدراً، والإمالة لسبب مقدم أقوى منها لسبب متأخر، ومتى كان الفصل بين السبب

¹ ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص: 55.

² ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 35.

³ ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر دط ، 2003م، ص: 47، وينظر: عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الإحتجاج للقراءات القرآنية، دار الوثائقي للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، ط1427هـ، 2006م، ص 183.

ومحل الإمالة أقل، كانت الإمالة أقوى، والإمالة للكسرة اللازمة أقوى من الإمالة للكسرة العارضة»¹.

و يتبين من خلال هذا القول، أن شدة الإمالة تكون بحسب القرب أو البعد من المؤثر (الياء أو الكسرة)، فكلما كانت قريبة منه كانت شديدة، مثل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾²، وكلما ازداد عدد الفواصل بينها وبين المؤثر خفت الإمالة.

ج- أقسام الإمالة:

تنقسم الإمالة إلى قسمين أساسيين:

1- إمالة شديدة: ومعناها أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا، ويقال لها المحضنة والإضجاع، وربما قيل لها الكسر، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿طه﴾³.

2- إمالة متوسطة: وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء قليلا، وهي بين اللفظين، ويقال لها أيضا التقليل والتلطيف وبين⁴.

لهذا قال ابن يعيش: «و بحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، و بحسب بعده تكون خفتها»⁵.

وتجدر الإشارة إلى أن الإمالة الشديدة هي المرادة عند الإطلاق، مع اجتناب القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه⁶.

¹ المالقي (عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي محمد المالكي)، شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 م، ص: 458-459.

² سورة الضحى، الآية: 1.

³ سورة طه، الآية 1.

⁴ ينظر: عبد العزيز علي سفر: الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية، ج1، ص: 118-119.

⁵ ابن يعيش: شرح المفصل، ج5، ص: 188.

⁶ ينظر: عبد العزيز علي سفر: الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلمون، دار التراث العربي، الكويت، دط، 2009، ج1، ص: 119.

2-التفخيم (الفتح):

استخدم الدارسون اللغويون القدامى مصطلحات عديدة للتعبير عن التفخيم أهمها: الفتح، قال سيبويه: « وناس كثيرون لا يميلون الألف ويفتحونها يقولون: حبلى، و معزى»¹.

وقال ابن يعيش: « و كان عاصم يفرط في الفتح، و حمزة يفرط في الكسر»².

والظاهر من القولين السابقين أنّ النحاة أوردوا مصطلح الفتح بمعنى التفخيم، ومقابلا لمصطلح الإمالة.

أمّا ابن جني فقد أورد مصطلح التفخيم، حينما تحدث عن ألف التفخيم وألف الإمالة في مؤلفه "سرّ صناعة الإعراب"، وذلك لما أشار إلى الحروف المستحسنة في القرآن الكريم، حيث قال معلقا على فروع الحروف: « وقد كان يجب على أصحابنا إذا ذكروا فروع الحروف، نحو ألف الإمالة وألف التفخيم، وهمزة بين بين، أن يذكروا أيضا الياء، في نحو: قِيلَ و بُيِعَ، و الواو في نحو مذعور و ابن بور»³.

وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى ورود مصطلح التفخيم الذي يقابل الإمالة، مع ذكر ظواهر صوتية أخرى: همزة بين بين، والياء التي بعد فاء الفعل الأجوف المبني للمجهول على لغة الإشمام.

واستخدم علماء التجويد مصطلح الفتح للتعبير عن "التفخيم"، حيث أفرد مكّي ابن أبي طالب القيسي (355-437هـ)، في كتابه (الكشف) بابا بعنوان "باب تذكر فيه علل الفتح والإمالة وما هو بين اللفظين"؛ حيث قال في مستهله: « اعلم أنّ أصل الكلام كلّ الفتح، والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعلّة، والدليل على ذلك أنّ جميع الكلام، الفتح فيه

¹ سيبويه: الكتاب، ج2، ص: 261.

² ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص: 54.

³ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 56.

سائق جائز، وليست الإمالة بداخله إلا في بعضه، في بعض اللغات لعلّة، فالأصل ما عم و هو الفتح»¹.

وبالتالي فقد اعتبر مكّي ابن أبي طالب مصطلح "الفتح" مقابلاً للإمالة، وأنّ الأصل في الكلام هو الفتح، أمّا الإمالة فهي فرع في الكلام.

ولم يغب مصطلح الفتح عند ابن الجزري حيث قال: «والفتح عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال له أيضا التفخيم، وربّما قيل له النصب وينقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط»². وهنا أورد ابن الجزري المصطلحين المرادفين للفتح وهما: "التفخيم والنصب".

وأشار محمد المرعشي في مؤلفه: "جهد المقل" إلى التفخيم فقال: «والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل جسم الحرف، فيمتلئ الفم بصداه، والتفخيم والتسمين والتجسيم و التغيظ بمعنى واحد، والترقيق عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه»³.

فالتفخيم في نظر المرعشي هو ما امتلئ فيه الحرف بصدى الفم -مقابل نظيره- الترقيق.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الفتح ينسب لأهل الحجاز، أمّا قبائل نجد فقد ثبتت عنهم الإمالة في كلامهم، كما أنّ القبائل العربية قبل الإسلام و بعده قد انقسمت إلى شعبتين، الشعبة الأولى تؤثر الفتح، أو بعبارة أخرى لا تستقيم ألسنتها بغيره، والشعبة الثانية قد شاعت فيها الإمالة⁴، وهذا ما أثبتته ابن يعيش لما قال: «الإمالة لغة تميم، والفتح لغة أهل الحجاز»⁵.

¹ مكّي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص: 168.

² ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص: 29.

³ محمد المرعشي: جهد المقل، ص: 15، نقلا عن عبد الغفار حامد هلال، الدراسة الصوتية عند علماء النجويد، ص: 250.

⁴ ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص: 53.

⁵ ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص: 54.

3-الاختلاس والإشباع:

يعد الاختلاس من الظواهر الصائتية الخاصة بالحركات العربية، وفي مقابله نجد الإشباع، وكلاهما يشيران إلى لهجات عربية، ويراد بالاختلاس: «إخفاء الحركة وإضعاف الصوت بها، وليس سلبها إذ الحرف المختلس حركته بزنة المتحرك»¹.

وأشار سيبويه إلى كل من الاختلاس والإشباع بقوله: «فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة، وذلك قولك: يضرها، ومن مأمك... وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا. وذلك قولك: يضرها ومن مأمك، يسرعون اللفظ»².
الظاهر من خلال القول أن الفرق بين الإشباع والاختلاس مرده إلى المقدار الزمني الذي يستغرقه النطق بالحركة، فكلما كان هذا المقدار ضعيفا أو خفيا سمي بذلك اختلاسا، أما إذا استغرق هذا النطق زمنا أطول من حقه عد إشباعا.

وتنبه بعض الدارسين المحدثين إلى أن مقدار الحركة في الاختلاس تكون أقصر زمنا، وتكاد تفقد الجهر مثلما يحدث في الإسرار أو الوشوشة³

وغالبا ما يكون الاختلاس في الضم والكسر ويكون في الفتح على قلة، قال أبو علي الفارسي: «واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والإعراب تكون على ضربين: أحدهما الإشباع والتمطيط، والآخر الاختلاس والتخفيف، وهذا الاختلاس والتخفيف إنما يكون في الضمة والكسرة، أما الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ولم تخفف الفتحة بالاختلاس كما لم تخفف بالحذف، في نحو: جمل، وجبل، كما خفف نحو: سبع وكتف، وكما لم يحذفوا الألف في الفواصل والقوافي من حيث حذفت الياء والواو فيهما...، وكما لم يبدل الأكثر من التنوين الياء ولا الواو في الجر والرفع كما أبدلوا في النصب»⁴.

¹ ينظر: عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ج 3، ص 1133.

² سيبويه: الكتاب، ج 2، ص 261.

³ ينظر: عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 370.

⁴ أبو علي الفارسي (أبو علي الحسن بن عبد الغفار) الحجة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، دط، دت، ج 2، ص 83.

4 - الإشمام و الروم:

يعتبر الإشمام والروم ظاهرتين لغويتين اهتم بهما علماء اللغة والتجويد على مر الزمان والمكان:

أ-الإشمام: ويراد به: « تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضم ليدل عليه، و ليس بخارج إلى اللفظ».¹

ب- الروم: ويقصد به: الإتيان في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة.²

وظاهرتا الروم والإشمام من الظواهر الصوتية التي عالجها علماء التجويد كغيرهم من الدارسين اللغويين، قال مكي ابن أبي طالب: « اعلم أنّ الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب في الوقف لتبيين الحركة، كيف كانت في الوصل».³

وقد تنبّه الدارسون النحويون القدامى إلى أنّ الصوائت تلحقهما ظاهرتا الروم و الإشمام عند الوقف، قال سيبويه: « فأما المرفوع و المضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم الحركة التحريك، وبالتضعيف».⁴

و لم يخالف علماء التجويد علماء العربية القدامى في هذا الرأي، حيث أثبتته أبو عمر الداني تفصيلاً بقوله: «اعلموا أنّ الأصل أن يوقف على الكلم المتحرك في الوصل، إذا كانت حركاتهم إعراباً وبناءً وبالسكون؛ لأنّ الوقف ضد الوصل، لأنّ معنى الوقف أن يوقف عن الحركة أي تترك، كما يقال: وقفت عن كلامك، أي تركته، واختار عامة شيوخنا ورؤساء أئمتنا في

¹ أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج1، ص212.

² ينظر: مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص122.

³ مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص122.

⁴ سيبويه: الكتاب، ج4، ص168.

مذهب الجماعة الوقف على ذلك بالإشارة لما فيها من الدلالة على كيفية الحركة في الوصل، طلبا للبيان، والإشارة على ضربين: تكون روما، وتكون إشماما¹.

ويبدو من خلال القولين السابقين أنّ الرّوم والإشمام إنّما استعملا في كلام العرب في الوقف لغرض إظهار الحركة، وفي هذا دليل قاطع عن حرص العرب على إبانة ما للحرف من حركة.

أمّا من حيث الفرق بين الرّوم والإشمام فقد أشار مكّي بن أبي طالب إلى أنّ « أصل الرّوم أظهر للحركة من أصل الإشمام، لأنّ الرّوم يسمع و يرى، والإشمام يرى ولا يسمع، فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل الحركة في الوصل، ومن أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك، والإشمام لا يكون إلّا في المرفوع والمضموم، فالرّوم إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسمعها الأعمى، والإشمام إتيانك بضم شفتيك لا غير من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسه، لأنّه لرأي العين، والفرق بين الوقف على الحركة والوقف بروم الحركة، أنّك إذا وقفت على الحركة تولدت من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، وإذا وقفت بالروم لم يتولد منه شيء²».

وبالتالي فالرّوم إضعاف الصوت أثناء النطق بالحركة، وهذا النطق يدركه الأعمى والبصير، بخلاف الإشمام الذي هو عبارة عن إشارة بالشفيتين إلى الضمة من غير تصويت، فيدرك بالعين دون السمع.

¹ أبو عمر الداني: التحديد في الإتيان والتجويد، ص 42-43.

² مكّي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج 1، ص 122.

5- المد:

يعد المد من الظواهر الصوتية الكمية التي أولاها علماء التجويد عناية خاصة، وهذا نظرا لتنوع أسبابه وتعدد درجاته واختلاف القراء فيه، والمد في اللغة: الكثرة والزيادة يقال: مددت الشيء إذا زدته، ومنه قوله تعالى: ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾¹.

أي بمعنى: يزدكم، جاء في معجم تهذيب اللغة: «المد كثرة الماء أيام المدد... ويقال وادي كذا يمدّ في نهر كذا أي يزيد فيه»².

أمّا اصطلاحاً فالمد هو: «إطالة الصوت بحرف من حروف المد»³. وبالتالي فتطويل الصوت بالمد -زيادة على ما فيه من مد طبيعي - هو ما اصطلاح عليه علماء التجويد بالمد.

حروف المد: وتنقسم إلى قسمين: الأول ويشمل حروف المد واللين الثلاثة، وهي الألف التي قبلها فتحة، والواو التي قبلها ضمة، والياء التي كسرة، أما الثاني فيشمل حرفا اللين الواو و الياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: شيء وسوء⁴.

سبب المد: أجمع علماء التجويد على أنّ المد يعود لسببين اثنين وهما: الهمزة والسكون ، وقد فصلّ عبد الوهاب القرطبي هذا بقوله: « أمّا المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر: كالسماء، والبناء، وقائل، وبائع، وكالضالين، والعادين، والصاخة، ونستعين، والأبرار، يوقنون، ويعلمون، إذا وقفت عليها، وما أشبه ذلك»⁵.

¹ سورة آل عمران: الآية:125.

² الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد): معجم تهذيب اللغة، تحقيق رياض زكي قاسم ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج4، ص 3361.

³ عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص205.

⁴ ينظر: مكّي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات ، ج1، ص45.

⁵ عبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد، ص 166.

وفي هذا القول إشارة واضحة على أنّ مد حروف اللين يكون عند ملاصقتهم لهمزة أو ساكن مشدد أو غير مشدد¹، وهذا هو السبب الأساسي للمد، وقد سمّاه علماء التجويد بالسبب اللفظي.

هذا وقد قسم علماء التجويد المد إلى عدة أقسام نذكر منها :

المد بسبب الهمز : ويشمل : المنفصل ، المتصل ، الصلة الكبرى ، البدل .

المد بسبب السكون: ويشمل: اللين ، العوض ، اللازم ، العارف للسكون .


والخلاصة التي يمكن لنا الإشارة إليها هي أنّ منهج علماء التجويد لم يختلف عن ما اعتمده علماء العربية القدامى بشأن دراسة الصوائت، حيث توصلوا إلى أنّ الأصوات الذائبة في العربية ثلاثة من حيث النوع وهي: الضمة والواو، والفتحة والألف، والكسرة والياء، وستة من حيث الكمية طويلة هي: الألف والواو والياء، وقصيرة وهي: الفتحة والضمة والكسرة، وقد استوعب علماء التجويد نظرية هذا التصنيف وفهموها، وأضافوا إليها إضافات قيّمة نالت إعجاب الدارسين المحدثين؛ الذين تمكّنوا فيما بعد من استنباط مقاييس علمية تقاس بها أصوات اللغات المختلفة في العالم؛ والتي عُرفت بالحركات المعيارية²، وبالتالي يُعد ما حققه علماء التجويد في مجال دراسة الأصوات الذائبة انجازا كبيرا متميزا يستحق كلّ الثمين، رغم اعتمادهم في دراستهم على ملاحظاتهم الذاتية فقط، وافتقارهم لمعطيات العلم الحديث.


¹ ينظر: مكّي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص45.

² ينظر مثلا: كمال بشر، علم الأصوات، ص189، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص209.

المبحث الثالث: الصوائت عند الفلاسفة المسلمين

المطلب الأول: الصوائت عند الفارابي 

المطلب الثاني: الصوائت عند ابن سينا (428/370هـ) 

المطلب الثالث: الصوائت عند الفخر الرازي (ت606هـ) 

صنّف علماء العربية القدامى الأصوات اللّغوية إلى قسمين رئيسيين فأطلقوا عليهما مصطلحي:

1- الحروف الأصول.

2- الحركات ، أو أصوات المد و اللين.

وتبعهم الدّارسون اللّغويون المحدثون في هذا التصنيف، مع تغيير في المصطلح، فجعلوا الأصوات الصامتة consonants مقابل القسم الأول (الحروف)، والأصوات الصائتة vowels مقابل القسم الثاني (الحركات).

ولم يقتصر هذا التصنيف على اللّغويين فحسب، بل تعداه إلى الفلاسفة المسلمين، حيث أولوا اهتماما بالغاً لهذا التقسيم « متأثرين في ذلك بتقسيم أرسطو الذي صنّف أصوات لغته إلى صائتة وصامتة ومتوسطة بينهما»¹، حيث شرح كل واحدة منها شرحاً دقيقاً من خلال كتابه "فن الشعر".

وسنحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على آراء نخبة من الفلاسفة المسلمين للصوائت العربية.

¹ أمينة طيبي، الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة، إشراف الدكتور محمد بلوحي، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، الجزائر، 2005/2004م، ص 90.

المطلب الأول: الصوائت عند الفارابي

تناول الفارابي الصوائت حينما تعرّض للتقسيم الثنائي لأصوات اللغة العربية، فأطلق عليها مصطلحي "المصوّتة وغير المصوّتة" مقابل الصوائت والصوامت إذ يقول: «والحروف منها مصوّت، ومنها غير مصوّت، والمصوّتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوّتات القصيرة هي التي تسميها العرب حركات».¹

ولقد أولى الفارابي اهتماما دقيقا بالصوائت، والتي استعارها مصطلح "المصوّتات" بنوعيتها - القصيرة والطويلة - فيقول: «وأما المصوّتات القصيرة فإنّها لا تمتد مع النغم ما دامت على قصرها، فإذا ساوقت النغمة امتدت حتى لا يُفرّق بينها وبين الطويلة».²

وبالتالي فالفرق في نظر الفارابي بين المصوّتات القصيرة والطويلة يكمن فقط في المد، وهو ما أشار إليه علماء العربية، وعبر عنه الدارسون المحدثون فيما بعد بـ "الكمية" Duration.³

وبهذا خالف الفارابي بعض اللغويين الذين اعتبروا الصوائت الطويلة حروفا، أمثال ابن جني حينما قال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين».⁴

وفي سياق حديثه عن مواقع المصوّتات الطويلة يقول: «المصوّتات الطويلة منها أطراف ومنها ممتزجة عن أطراف، والأطراف ثلاثة: إمّا الطرف العالي وهو (الألف)، وإمّا الطرف المنخفض وهو (الياء)، وإمّا المتوسط وهو (الواو)، والممزوجة إمّا ممزوجة من الألف والياء، وإمّا

¹ الفارابي، (أبو نصر محمد)، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق: عبد الملك غطاس خشبة، مراجعة وتصدير محمود الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، د ط، د ت، ص 1072.

² المصدر نفسه، ص 1074 - 1075.

³ ينظر مثلا: كمال بشر، علم الأصوات، ص 445، وأحمد عمر المختار، دراسة الصوت اللغوي، ص 330.

⁴ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 33

من ياء و واو، وإمّا من ألف و واو، وكل واحد من هذه الممتزجة إمّا مائل إلى أحد الطرفين أو متوسطة غير مائلة، والمائلة إمّا إلى هذا وإمّا إلى ذاك، ولما كانت المصوتات الممتزجة بالجملة ثلاثة، وأصناف كل واحدة منها ثلاثة، صارت جملتها تسعة، وقد ينقسم كل واحد من هذه، غير أنّ المسموعات أقسامها تتقارب تقارباً لا يميّز السمع بين فصولها، ولذلك ينبغي أن يقتصر كل منها على هذه التسعة، ويُجمع إليها الأطراف الثلاثة فتصير أصناف المصوتات الطويلة المنفصلة بفصول بنية السمع اثني عشر مصوتاً.¹

يظهر من خلال هذا النص أنّ مواقع الصوائت الطويلة عند الفارابي تنقسم إلى ثلاث موقعيات: الطرف العالي: ويعني به موقع الألف [الفتحة الطويلة]؛ ذلك لأنّ اللسان يتجه نحو الطرف الأعلى من الحنك أثناء إصدار هذا الصوت، والأمر نفسه بالنسبة للياء حيث يتجه اللسان نحو الطرف الأسفل من الحنك، والذي سمّاه الفارابي بالمنخفض، في حين يتخذ اللسان موقعاً وسطاً في حالة "الواو" وهو ما سمّاه بـ "الطرف المتوسط"، ومن الأطراف الثلاثة تنتج المصوتات الممتزجة بين مصوتين اثنين معينين، بين الألف والواو مثلاً، أو بين الياء والواو وهكذا، كما أنّ الصائت الممتزج يكون مائلاً إلى أحد الطرفين الناتج عنهما، وهذا ما عبّر عنه القرّاء بالإمالة. ولما كانت المصوتات الممتزجة ثلاثة أصناف، وكل صنف منها ينشأ عنه ثلاثة مصوتات فتصير جملتها تسعة، وبإضافة الصوائت الطويلة الثلاث الأساسية يصبح مجموعها اثني عشر مصوتاً.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال هو أنّ الفارابي اعتمد في دراسته للمقاطع الصوتية على التمييز بين المقاطع القصيرة والطويلة، فقال: «كل حرف غير مصوّت أتبع بمصوت قصير قرن به، فإنّه يسمى المقطع القصير».² وهو ما اصطلح عليه علماء العربية بالحرف المتحرك.

¹ الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، ص 1075.

² المصدر نفسه، ص 1075.

ثم يضيف قائلاً: «كل حرف غير مصوِّت قُرِنَ به مصوِّت طويل فإنَّنا نسميه المقطع الطويل».¹

لذلك فهو في تحليله لأجزاء المقطع الطويل، لم يذكر المصوِّت القصير، بل قال إنَّه يتكون من صامت وصائت طويل.

وقد تبعه بعض الدارسين اللغويين المحدثين في تصنيف أصوات اللُّغة العربية بتحليلها إلى خمسة مقاطع صوتية رئيسية:

1- مقطع قصير مفتوح = صامت + حركة قصيرة، نحو: كَ .

2- مقطع طويل مفتوح = صامت + حركة طويلة، نحو: فِـي .

3- مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة = صامت + حركة قصيرة + صامت، نحو: مِـنْ .

4- مقطع طويل مغلق بحركة طويلة = صامت + حركة طويلة + صامت، نحو: بَابْ .

5- مقطع زائد في الطول = صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، نحو: بِنْتٌ.²

ونستخلص مما سبق أنَّ الفارابي اهتم بدراسة الأصوات عامة والصوائت بوجه الخصوص، وتعامل معها بطريقة تحليلية دقيقة ومركَّزة خالف بها سابقه.

¹ الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، ص 1075.

² ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللُّغة و مناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3، 1417هـ، 1997م، ص 101-102، و ينظر: تمام حسَّان: اللُّغة العربية معناها و مبناها، ص 69.

المطلب الثاني: الصوائت عند ابن سينا (428/370هـ)

تعرّض ابن سينا للصوائت العربية في كتابه "رسالة أسباب حدوث الحروف"، وذلك حينما قسّم الأصوات إلى "الصامتات" التي لها نصف صوت، و"المصوتات"،* هذه الأخيرة تنقسم إلى أصوات ممدودة وأصوات مقصورة، والمقصورة هي الحركات، والممدودة هي (الألف والواو والياء) وهي حروف العلة، وتسمى أيضا: "المدّات" ومن المحتمل أن تكون الحركات الطويلة.¹

وقد فصل ابن سينا -أثناء حديثه عن المصوّتات- في مخرج كل واحدة من الثلاثة فيقول: « وأما الألف المصوّتة وأختها الفتحة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى فوق، وأما الياء المصوّتة وأختها الكسرة فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضيق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل». ²

فالصوائت أو المصوّتات كما يسميها ابن سينا هي "الألف والواو والياء" واصفا إياها بأنّها انطلاقية لا انحباس فيها، مبينا مواضع نطقها ومشيرا إلى أهم صفة أثناء ذلك وهي حرية خروج الهواء، وما يتفرّع من أصوات قصيرة عن كل واحدة منها [فتحة وضمة وكسرة]، وما ساعده في ذلك براعته في الطب ومعرفته بخصائص الجسم ومكونات التشريح.

ولم تختلف نظرة ابن سينا عن الكثير من الدارسين اللغويين في الفرق بين الصوائت القصيرة والطويلة الكامن فقط في الكمية (الكم الزماني)، وهذا ما أثبتته بقوله: «أعلم يقينا أنّ الألف الممدودة المصوّتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي

* مصطلح المصوتات لا يزال متداولاً إلى غاية يومنا هذا عند العديد من الدارسين المحدثين مثل: حسام الدين النعيمي في كتابه "أبحاث في أصوات اللغة".

¹ ينظر: أمينة طيبي، الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين، ص 16، 17.

² أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسين الطيان، تقديم ومراجعة شاعر الفحاح والأستاذ محمد راتب النفاخ، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ط1، ص 85.

يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة».¹

وهذا ما يلفت الانتباه لنظرة ابن سينا إلى وحدة أصوات المد - الطويلة والقصيرة - واعتباره إياهما مجموعة واحدة لا تختلف إلا في الكمية،² بخلاف سابقه الذين نظروا إلى الصوائت القصيرة على أنها أجزاء من الألف والياء والواو، في حين صنّفوا الصوائت الطويلة مع الحروف الأصول أو الصحاح، واعتبروا الصوائت القصيرة زوائد.³

وتجدر الإشارة إلى أن ابن سينا فرّق بين حالتين للواو والياء:

أولاً: واو وياء مصوّتين: وقد سبق وأن أشرنا إليهما.

ثانياً: واو وياء صامتين حيث أن الواو الصامتة «تحدث حيث تحدث الفاء؛ ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه في انضغاطه سطح الشفة، وأمّا الياء الصامتة فإنّها تحدث حيث تحدث السين والزاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف، لا يبلغ أن يحدث صغيراً».⁴

وهذا ما سمّاه المحدثون بأشبه الصوائت⁵، واصطاح عليها بـ **بركة** بأنصاف الصوائت أو أنصاف الصوامت أو الإنزلاقيات⁶، وذلك نحو قولنا: [بيت ويوم]، وأطلق عليها غالب فاضل المطلبي مصطلح "نصف المد" Semi vowels.⁷

ونختم هذه النظرة العجلى لابن سينا حول الصوائت العربية باعترافه باللبس الذي أدى إلى صعوبة فهم عمل جهاز النطق أثناء حدوث هذه الأصوات حينما قال: «وأمر هذه الثلاثة عليّ مشكل».⁸

¹ ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 86.

² ينظر: غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 93.

³ ينظر: الخليل بن أحمد، العين، ج 1، ص 64.

⁴ ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 83، 84.

⁵ ينظر مثلاً: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 42.

⁶ ينظر بـ **بركة**، علم الأصوات العام - أصوات اللغة العربية -، ص 138.

⁷ غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 41.

⁸ ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 85.

المطلب الثالث: الصوائت عند الفخر الرازي (ت606هـ)

من الفلاسفة يطل علينا كذلك الفخر الرازي بكتابه "التفسير الكبير"؛ والذي أثبت في مستهله أنّ دراسة الأصوات: «لا تتم دلالتها إلاّ عند الوقوف على علم التشريح»¹. مثبتا دوره -التشريح- في الدراية بمخارج الحروف وصفاتها مع التركيز على البحث عن أحوال العضلات.

وقسم الرازي الأصوات كسابقه إلى صنفين: صوامت consonants، ومصوّتة ويعني بها أصوات المد²، أو على وجه الدقة الصوائت الطويلة [الألف والواو والياء]، وفي مقابل المصوّتات توجد الحركات التي هي أبعاض لها -المصوّتات- يقول الرازي: «الحركات أبعاض المصوّتات؛ والدليل على أنّ هذه المصوّتات قابلة للزيادة والنقصان ولا طرف في جانب النقصان إلاّ هذه الحركات، ولأنّ هذه الحركات إذا مدّت حدثت المصوّتات»³.

ويظهر من كلام الرازي أنّه استخدم مصطلح المصوّتات للدلالة على الصوائت الطويلة [الألف والواو والياء]، بينما استخدم مصطلح الحركة للدلالة على الصوائت القصيرة، وهذا ما ذهب إليه النحاة⁴، ومعتبرا المصوّتات أصولا للحركات وامتدادا لها.

غير أنّه في تحديده لموقعية الصوائت من الصوامت يرى بأنّ: «الصامت سابق على المصوّت المقصور الذي يُسمى بالحركة، بدليل أنّ التكلم بهذه الحركات موقوف على التكلم بالصامت، فلو كانت الحركات سابقة على هذه الصوامت لزم الدور، وهذا محال»⁵.

¹ الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، دت، ج1، ص 11.

² المصدر نفسه، ص 31.

³ المصدر نفسه، ص 31.

⁴ ينظر مثلا: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 42.

⁵ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص 30.

ثم يضيف معللاً هذا الرأي بأن الحركة « عبارة عن الصوت الذي يحصل التلفظ به بعد التلفظ بالحرف».¹

يتضح من خلال القولين أن الصوامت أسبق من الصوائت، وكأنّ أصوات اللّغة في نظره تتألف من الصوامت التي هي الأصول في حين أنّ الصوائت لواحق بها، وتستمد قوتها من الصوامت، لهذا اعتبر غالب فاضل المطلي أنّ في هذا الرأي إشارة إلى ضعف هذه الأصوات - الصوائت - وإنكار للأهمية الوظيفية اللّغوية لأصوات المد.²

كما نبّه أيضاً لفهم الرازي الخاطئ لفكرة سابقه الذين اعتبروا الحركات زوائد، في حين أنّ «هن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به».³ فالقدا مي أرادوا بهذا الوصف أنّ الصوائت القصيرة لا تدخل ضمن الأصول، ومع ذلك لم يتجاهلوا وظيفتها اللّغوية التي تؤديها في بنية الكلمة.

ومن حيث وصفه للصوائت، فإنّ أهم ما ركز عليه هو امتداد المصوّت واستطالته، وهذا ما يثبت قوله بأنّ المصوّت: « إنّما حدث لجريان نفسه وامتداده».⁴

ولم يغفل الرازي عن دور عضلات الشفتين في إصدار أصوات المد وتنويعها، حيث قال: «من أراد التلفظ بالضمّة فإنّه لا بد له من ضم شفثيه أوّلاً ثم رفعهما ثانياً، ومن أراد التلفظ بالفتحة فإنّه لا بد له من فتح الفم، بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح، ومن أراد التلفظ بالكسرة فإنّه لا بد له من فتح الفم فتحاً قويا، والفتح القوي لا يحصل إلاّ بانجرار اللحي الأسفل وانخفاضه».⁵

¹ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص 47.

² ينظر: غالب فاضل المطلي، في الأصوات اللغوية، ص 101.

³ سيبويه، الكتاب، ج4، ص 241.

⁴ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص 48.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص 47.

فالرازي عني فقط بدور الشفتين في إصدار الصوائت وتحديد موضعها، ولكنه أهمل دور اللسان وموضعه في هذا الإصدار.

ورتب الرازي الصوائت القصيرة تبعا لعمل عضلات الشفتين مبتدئا بالضممة حيث يقول: « أثقل الحركات الضمة، لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصليبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة، وأمّا الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة»¹. فالضممة أصعب الحركات نطقا، لأنها تحتاج لجهد عضلي للشفتين معا، تليها الكسرة التي يكفي إصدارها بعمل عضلة شفة واحدة، وتأتي الفتحة في المرتبة الثالثة، لما تتطلبه من عمل ضعيف.

أمّا تنوع أصوات المد وتلوّنها بأشكال أخرى في صور نطقية متعددة -حسب الرازي- فمرجعه إلى اختلاف تركيبية عضلات الشفتين باختلاف أمزجة بني البشر (التركيبية الفيزيولوجية)، الذي مرده اختلاف بيئاتهم وبلدانهم²، وهذا ما يمكن لنا أن نصنّفه ضمن تعدد اللهجي والبيئي.

ومن خلال هذا المبحث يظهر أنّ الفلاسفة قد أدلوا بدلوهم في الدراسات الصوتية عامة، وفي مجال الصوائت خاصة، حيث ظهر إبداعهم وذلك لحدة ذكائهم وعمق فهمهم، وبعدهم نظرتهم في تحديد الظواهر الصوتية والوقوف على حقيقتها، فوافقت الكثير من آرائهم معطيات الدرس الصوتي الحديث، ونالوا إعجاب وتقدير الدارسين المحدثين الذين اتخذوا هذه المبادئ سندا ومرجعا رئيسيا؛ ساعدهم على تطوير أبحاثهم فيما بعد وفقا لمعطيات العلم الحديث.

¹ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص 47.

² ينظر: غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص 102.

المبحث الرابع: الصوائت عند علماء الأصوات المحدثين

المطلب الأول: الصوائت عند دانيال جونز (Daniel.Jones) 

المطلب الثاني: الصوائت عند "إبراهيم أنيس" 

المطلب الثالث: الصوائت عند "كمال بشر" 

المطلب الرابع: الصوائت عند "أحمد المختار عمر" 

إنّ المتتبع لدراسات علماء العربية القدامى يجد أنّ اهتمامهم كان منصبا على الأصوات الأصول (الحروف)؛ التي تشكل البنية الرئيسية للكلمة، وفي المقابل تركز اهتمامهم على جانب الإعراب، و إبراز ما يؤديه من وظائف دلالية ونحوية وصرفية، وهذا تبعا لأواخر الكلمة.

وقد أعاب الدارسون المحدثون إهمال العرب لتمثيل الصوائت (الصورة الكتابية)، بل اعتبروه سببا من أسباب نقص الدراسات اللغوية القديمة بشأن الحركة، ومرد ذلك الإهمال إلى الحس اللغوي والسليقة اللغوية التي يملكها العربي عند قراءته للنص المكتوب قراءة صحيحة.¹

وتخضع الأصوات اللغوية في تصنيفها لعدة معايير أكثرها استخداما تلك المعايير التي تقوم أساسا على علم الأصوات النطقي؛ الذي يعدّ أقدم فروع البحث الصوتي، ورغم هذا فمصطلحاته في الوصف أو التصنيف هي أكثر المصطلحات شيوعا .

وعلى هذا الأساس فإنّ الدارس لمؤلفات علماء الأصوات المحدثين يجد أنّ أهم تصنيف يتصدر كتب علم الأصوات الحديثة هو تصنيفها إلى: (صامتة وصائتة) أو (صامتة ومصوتة) أو (سواكن وعلل)²، أو (صحاح وعلل)³، وهذا التصنيف مبني على أساس النطق.

ولم يغفل الدارسون المحدثون للأصوات اللغوية بالبحث عن الأصوات الصائتة وضبطها نظرا للاختلاف الكبير في نطقها وتعدادها من لغة إلى أخرى.

وانطلاقا من هذا سأحاول أن أرصد أهم بعض آراء الدارسين المحدثين حول التفسير الصوتي للصوائت العربية.

¹ ينظر: محمد محمد داود، الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية و معجمية، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، دط، 2001م، ص 18.

² ينظر مثلا: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26، وكمال بشر، علم الأصوات، ص149، و أحمد عمر المختار، دراسة الصوت اللغوي، ص 135، و محمود السعران، علم اللغة، ص 148.

³ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1990م، ص 113.

المطلب الأول: الصوائت عند دانيال جونز (Daniel.Jones)

اهتم الدارسون المحدثون بالصوائت نظرا لكثرة شيوعها ووضوح الخطأ في نطقها، فوضعوا لها ضوابط ومقاييس يستطيع الدارس العودة إليها لتجنبه الخطأ بها.

ولم يقتصر هذا الاهتمام بالصوائت على الدارسين العرب فحسب، بل حظيت - الصوائت - بنصيب من الدراسة من طرف بعض الدارسين المستشرقين أمثال: جان كانتينو (jean kantineau) في كتابه [دروس في علم العربية]، ودانيال جونز (Daniel.Jones) في كتابه [Anout line of English phonétics].

ويعرّف دانيال جونز الصوت الصائت بأنه: «الصوت (المجهور) الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والقم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون ثمة عائق (يعترض مجرى الهواء إعتراضا تاما)، أو تضيق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا».¹

ومن هذا النقل يتضح جليا أنّ دانيال جونز لم يختلف في وصفه للأصوات الصائتة عما سبق به علماء العربية قديما أو حديثا، وذلك من حيث كيفية مرور الهواء في الحلق أو الفم؛ دون أدنى اعتراض أثناء إنتاج الصوائت القصيرة.

وتعد محاولة دانيال جونز من تلك المحاولات الهادفة لوضع تلك الضوابط باعتماد ملاحظة وضع الشفتين من حيث الاستدارة والانفراج، واللّسان (أو جزؤه المحدد الذي يحدث فيه صوت اللّين) من اتخاذهما أوضاع الارتفاع والانخفاض:²

1. اللّسان: نظر إليه جونز باعتبارين اثنين وهما:

¹ Daniel jones: an outline of english phonetics , p22

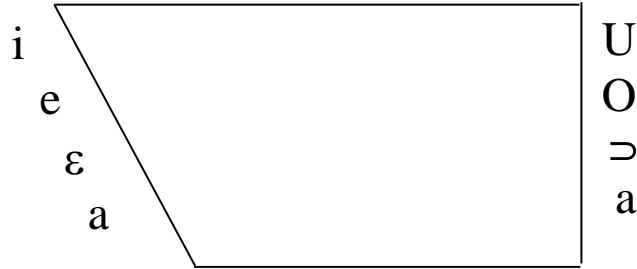
² ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، د ط، 1983م، ص 48.

- أ- وضعه بالنسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض.
 ب- الجزء المعين من اللسان الذي يحدث فيه الارتفاع والانخفاض.
 2. الشفتان: ونظر إليهما من حيث:

- أ- ضمهما، ب- انفراجهما، ج- من حيث وضعهما في وضع محايد.¹

وتمكن دانيال جونز من استقراء ثمان حالات خاصة بانتاج صوت اللين، وهذا بالنظر إلى اللسان ومراتب قربه واستوائه في قاع الفم، ووضعه بالنسبة للحنك، فقدم بذلك أشهر عمل والمتمثل في نظام العلل الرئيسية **Cardinal vowels system**.²

كما حقق إنجازا صوتيا غير مسبوق في الكتابة الصوتية كالاتي: ³ [i-e-ε-a-a-ɔ-o-u]
 و تُرجم هذا الإنجاز فيما بعد في شكل صوتي معتمد على الصعيد العالمي يظهر بيانه من خلال الشكل الآتي:⁴



-الشكل 1-

فكانت خلاصة ما توصل إليه أن تحصل على مجموعتين رئيسيتين من أصوات اللين:

- 1- أصوات لين أمامية وهي: i و a.

¹ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 226.

² أحمد عمر المختار، دراسة الصوت اللغوي، ص 148.

³ كمال بشر، علم الأصوات، ص 226.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 228.

2- أصوات لين خلفية وهي: u و α.

وتتفرع عن كلتا هاتين المجموعتين أربعة أصناف:

أ- بالنسبة للخلفية: وتشمل: 1- ضيقة "u" 2- نصف ضيقة "o" 3- نصف متسعة "ɔ" 4- متسعة "α".

ب- بالنسبة للأمامية: وتشمل: 1- ضيقة "i" 2- نصف ضيقة "e" 3- نصف متسعة "ɛ" 4- متسعة "a".¹

من خلال ما قرره جونز في مقياسه العالمي، وبناء على أن اللغة العربية من حيث موضع النطق ثلاثة صوائت فقط، تقع في زوايا ما يسميه علماء الأصوات "مثلث الصوائت" وهي الحركات الثلاث: "الضمة والكسرة والفتحة" نخلص إلى ما يلي:

1- الكسرة: تشبه كل الشبه المقياس الذي يرمز له بالرمز "i"، ويميل قليلاً نحو الرمز "e" حين تتأثر بأصوات التفخيم والإطباق.

2- الفتحة قريبة الشبه بالمقياس الذي يرمز له بالرمز "a" في حين تتجه نحو المقياس الذي يرمز له بالرمز "α" حين تتأثر بأصوات التفخيم.

3- الضمة: تنطبق تمام الانطباق على المقياس الذي يرمز له بالرمز "u".²

وبهذا يرجع الفضل الأول للعالم "دانيال جونز" في إنجاح نظام الحركات المعيارية وجعله يتخذ صبغة عالمية في الدراسات الصوتية، وأصبحت هذه المقاييس عامة تنسب لها وتقاس عليها حركات أية لغة يراد دراستها أو تعلمها.

غير أن هذه الصوائت المعيارية لا تمثل سوى مقاربات للحركات العربية القصيرة (ـَ، ـِ، ـُ)، بحيث أن المقاييس العامة التي استنتجها دانيال جونز أجراها على الصوائت اللاتينية (vowels)، والتي تختلف في صفاتها ونطقها وتركيبها وعددها عن الصوائت العربية القصيرة الثلاث فقط؛ والسته بحسبان الطول والقصر، وهو ما يجعل هذه المقاربة نسبية حتماً.

¹ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 231، 232، 233.

² ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 41.

المطلب الثاني: الصوائت عند "إبراهيم أنيس"

عالج إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية" الصوائت باعتبارها عنصرا رئيسيا في جميع اللغات وأكثر شيوعا فيها، ولقد كانت أهم ملاحظاته في هذا المجال هي تفرقه بين صنفين أصوات اللغوية؛ اللذين اصطلاح عليهما بالأصوات الساكنة مقابل الصوامت، والأصوات اللينة¹، مقابل الصوائت، يقول إبراهيم أنيس: «أساس هذا التقسيم عندهم هو الطبيعة الصوتية لكل من القسمين، فالصفة التي تجمع بين أصوات اللين (vowels)*، هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والضم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتُضيق مجراه، كما يحدث مع الأصوات الرخوة أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور، كما يحدث مع الأصوات الشديدة»².

ولم يتعد الكثير من الدارسين المحدثين عن هذا التعريف، حيث وصف أحمد مختار عمر الصوائت بأنها تتميز بنطق مفتوح وغياب أي عائق لتيار الهواء.³

وبالتالي فالصفة الأساسية التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والضم، وخلو مجراه من أية حوائل أو موانع، بخلاف الأصوات الساكنة التي ينحبس معها الهواء انقباسا كلياً أو جزئياً تسبب احتكاكا مسموعا، ينشأ عنه صوت صامت.

كما أشار إبراهيم أنيس إلى المقاييس العامة لأصوات اللين التي وضعها المحدثون أمثال "دانيال جونز"؛ والتي تقاس بها أصوات اللين في كل لغة وتُنسب إليها، ولم يتخذوا في هذه

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26.

* يشير إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية" إلى أنه يجب التمييز بين مصطلح اللين (vowels)، والذي سماه بعض الدارسين المحدثين (الأصوات الصائتة) وما عناه الصرفيون بحرف اللين.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26.

³ ينظر: أحمد المختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 135.

المقاييس لغة خاصة يجعلونها أساسا، بل اتخذوها من عدة لغات مشهورة يندرج تحتها أي صوت لين في أية لغة من اللغات، مما يسهل للمتعلم إتقان اللغة التي يريد تعلمها تبعاً لهاته المقاييس.

أمّا أصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلاح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمّة (الصوائت القصيرة)، وكذلك ما سمّوه بألف المد وياء المد، وواو المد (حروف المد واللين)، وما عدا هذا فأصوات ساكنة، وهذا ما سار عليه إبراهيم أنيس وفق ما قرره ابن جني في اعتبار أصوات اللين العربية ثلاثة فقط، بصرف النظر عن طول الصوت وقصره (الكمية).

وفيما يخصّ الصوائت الطويلة المسبوقة بحركة من جنسها، فهو يعتبر أنّ: «القدماء قد ضلّوا الطريق السويّ حين ظنّوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا مثلاً: إنّ هناك فتحة على التاء في "كتاب"، وكسرة تحت الراء في "كريم"، وضمّة فوق القاف في "يقول"!! والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في (كتاب) محرّكة بألف المد وحدها، والراء في (كريم) محرّكة بياء المد وحدها، والقاف في (يقول) محرّكة بواو المد وحدها»¹.

ومن هذا النقل يبدو أنّ الفتحة والكسرة والضمّة الواردة قبل أصوات اللين في الأمثلة الثلاث المذكورة [كتاب وكريم ويقول] على الترتيب؛ لا أساس لها من الوجود، بل إنّها محرّكة بأصوات اللين التي تليها، ولذا فالصورة المألوفة للكتابة العربية - بحسب إبراهيم أنيس - هي التي جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 39.

كما يبدو أنّ هذا الاعتقاد لإبراهيم أنيس يشوبه بعض الخطأ، إذ كيف يمكن لصائت طويل أن يُسبق بحركة قصيرة من غير جنسه في الأداء النطقي؟ وإن كان كذلك فإنّه يعتريه حتما جانب من الثقل.

ولم يغفل إبراهيم أنيس في الفصل السادس من كتابه "الأصوات اللغوية" عن الإشارة إلى طول الصوت اللغوي، باعتباره أهم ما عني به المحدثون في تجاربهم، ويُقصد بطول الصوت اللغوي: «الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الصوت مقدراً عادة بجزء من الثانية».¹

وطول الصوت له أهمية خاصة في النطق باللّغة نطقاً صحيحاً، إذ أنّ الإسراع بنطق الصوت أو الإبطاء به يترك في لهجة المتكلم أثراً أجنبياً عن اللّغة ينفر منه أبناءها.

ولا يحتاج المتكلم إلى معرفة مقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل صوت، بل يكفي بالمران السمعي (الدربة)، دون الحاجة إلى المقاييس الآلية.

وأصوات اللّين العربية قسمان: [قصير وطويل]، فمثلاً الفتحة مطلقاً صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يُسمى بالألف الممدودة فهي صوت لين طويل، والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة، هو أنّ الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذي تستغرقه الثانية.²

وهذا ما أثبتته جان كانتينو بقوله: «يطلق اسم الحركات الطويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتداداً يصير معه النطق بها مساوياً لمدى النطق بحركتين بسيطتين، وقد يتعدى ذلك».³

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 154.

² المرجع نفسه، ص 155.

³ جان كانتينو: دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات الجامعية التونسية، تونس، د.ط، د.ت، ص .

ولا يؤثر طول أصوات اللين العربية في مقياسها، بخلاف ما يحدث في كثير من أصوات اللين في اللغة الإنجليزية مثلا، وربما يرجع هذا التأثير إلى كثرة الصوائت في اللغات الأجنبية مقارنة باللغة العربية.

أمّا العوامل المكتسبة التي تؤثر في طول الصوت اللغوي -على حد تعبير إبراهيم أنيس- فأهمّهما: «النبر، ونعمة الكلام، وربما كان لنحو اللغة أثر أيضا في طول الصوت أحيانا»¹.

فمثلا الفعل "ينام" في حالة الرفع، إذا دخلت عليه أداة الجزم (لم) صار "لم يَنَمْ"، فما حدث من تغيير صوتي هنا هو أنّ صوت اللين الطويل (الألف) صار قصيرا، وهذا ما تستلزمه قواعد النحو في اللغة العربية.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 155.

المطلب الثالث: الصوائت عند " كمال بشر "

يعدّ كمال بشر من أبرز علماء اللّغة المحدثين الذين أولوا عناية كبيرة بالدرس اللّغوي عامة، وفي المجال الصوتي بالخصوص، حيث أفرد له مؤلفا كاملا سماه "علم الأصوات"، تحدّث في الباب الأول منه عن التصنيف الثنائي للأصوات بشكل عام، ثم خصص الباب الثاني للأصوات العربية متحدثا بإسهاب عن بيان خواصها وتحديد مفاهيمها، مُركزا على الحركات (vowels) التي يعتبرها القسم الثاني لأصوات اللّغة، والتي يطلق عليها أحيانا "الصوائت أو الأصوات الصائتة"؛ في مقابل القسم الأول وهو "الأصوات الصامتة" (consonants).¹

وتمثل الحركات -بحسب كمال بشر- صعوبة ظاهرة في الدّرس النظري، وفي الأداء الفعلي لها أيضا، ومردّ هذا راجع « لاختلاف اللّغات واختلاف البيئات واختلاف الأفراد في البيئة الواحدة، إنّها تختلف في عددها وطبيعتها وخواصها المميزة لها، فهي العربية مثلا ثلاث حركات أو ست، إذا أخذنا الطول والقصر في الحسبان، في حين أنّها إحدى وعشرون بل اثنتان وعشرون في اللّغة الإنجليزية، ولكل منها طبائعها وخواصها ووظائفها في بنية هذه اللّغة أو تلك». ²

يتضح من خلال هذا النقل أنّ الصوائت في نظر كمال بشر تختلف في تعدادها وطبائعها وخواصها بين لغة وأخرى، بل حتى في اللّغة الواحدة، وهذا لاختلاف البنيات واللّغات والأفراد، ولذا تعدّ - الصوائت - من أكثر الأصوات قابلية للتطور والتغيّر تبعا للزمان والمكان، مما يصعب على الدّارس أو المتعلم التمييز بينها ومتابعتها وضبطها.

¹ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 419.

² المرجع السابق، ص 419.

وإذا كان كمال بشر قد نظر إلى هذا التباين في التعداد من باب الاختلاف اللّهجي والتعدّد الدلالي؛ فإنّ هناك من الدّارسين المحدثين من صنّف الصوائت القصيرة إلى أربعة أنواع، وهذا ما أورده عبد الصبور شاهين في كتابه "المنهج الصوتي للبنية العربية"، حيث حددها كالآتي:

1- الفتحة المفخمة بعد الأصوات المفخمة إن سبقت بفتح أو ضم.

2- الفتحة المرققة.

3- الكسرة الضيقة الأمامية.

4- الضمة الضيقة الخلفية.¹

وقد أنتقد في هذا الرأي كونه لم يدعمه بأية أدلة ، ويبدو لي أنّ هذا التصنيف يُنظر إليه من باب التلوّنات اللّهجية للصوائت العربية، خصوصا ما يتعلق بظاهرتي التفخيم والترقيق.

ومن أهم المحاور التي عاجلها كمال بشر أثناء دراسته للصوائت العربية:

أ- من حيث التسمية و التعداد:

يرى كمال بشر أنّ مصطلح الحركات إنّما أطلقه القدامى على « الفتحة والكسرة والضمة (— ، — ، —)، أو ما يعرف في الدّرس الحديث بالحركات القصار، أمّا الحركات الطوال وهي الألف في (قال) والياء في (قيل) والواو في (يقول)، فهي موسومة عندهم بحروف (المد واللّين)، وقد درجنا في العصر الحديث على إطلاق "الحركات" على الطائفتين معا، لاشتراكهما في أهم الخواص التي تميّزهما من الأصوات الصامتة، ولكنّا مع ذلك لم نغفل السمة الفارقة بينهما، والمتمثلة في الكم فقط، وهي سمة الطول والقصر في النطق».²

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1980م، ص 29.

² كمال بشر، علم الأصوات، ص 445.

والظاهر من قول كمال بشر أنّ المفهوم الجديد للصوائت هو "الحركات القصار والحركات الطوال"، أمّا الفارق بينهما يكمن فقط في الكم (Duration)، الخاضع لمعيار الزمن في النطق، فالحركات القصيرة تستغرق زمناً أقل إذا ما قيست بنظيرتها من الحركات الطويلة أثناء النطق، وهذا ما يقودنا حتماً إلى العلاقة "الكليّة، الجزئية" التي أشار إليها الخليل وأكّد عليها سيبويه¹، كما أشرنا فيما سبق، وهي الفكرة المستوحاة أيضاً من ابن جني لما قال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين»².

ب- من حيث وظائف الصوائت:

تنبّه كمال بشر إلى الوظيفة الأساسية والبالغة الأهميّة التي تؤدّيها الحركات القصار في الكلام المنطوق، بدليل أنّ لها دوراً حاسماً في ضبط أهم خاصية من خواص العربية؛ ألا وهي الإعراب الذي هو دليل صحة الكلام وخطئه، لذا تشكل الحركات عنصراً فعالاً في هذا الضبط.

وقد أولى العلماء القدامى الإعراب عناية كبيرة في ثنايا أبوابهم النحوية والصرفية، بل عدّه ابن فارس بأنّه: «من العلوم الجليلة التي خُصت بها العرب؛ الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة اللفظ، و به يعرف الخبر؛ الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول، و لا مضاف من منوع، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»³.

وقال أيضاً: «فأمّا الإعراب فيه تتميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين»⁴.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص242.

² ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص21.

³ ابن فارس (أحمد ابن فارس ابن زكرياء): الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص43.

⁴ المصدر نفسه، ص190.

أمّا الصوائت الطويلة عند كمال بشر فهي "الحركات الطوال"، وقد أشاد بعمق الفكر الصوتي الذي تميّز به الخليل بن أحمد؛ الذي أدرك العلاقة "الكليّة والجزئية" بين ما يعرف بالحركات القصار وحروف المد، «فالفتحة نصف ألف المد نطقاً، والكسرة نصف الياء، والضمّة نصف الواو، وبما أنّ هذه الحركات نصف هذه الحروف [حروف المد] نطقاً، وجب أن تكون نصفها كُتْباً».¹

وانطلاقاً من هذا الاستدلال نستخلص بأنّ الصوائت الطويلة عند كمال بشر هي الحركات الطوال، والتي سمّاها علماء العربية "حروف المد واللين"²، كما أنّ أهم خاصية تميّز بها هي أنّها لازمة المد والمطل في كل حالة، وهي خاصية مستوحاة من ابن جني لما قال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين»³.

ولم يغفل كمال بشر عن التغيير الذي يلحق بالحركات، وما تعترتها من صفات نطقية مختلفة، بحسب السياق الذي تقع فيه فالفتحة مثلاً - قصيرة كانت أو طويلة - قد تكون مفخمة أو مرققة أو بين التفخيم والترقيق، والأمر نفسه على الضمة والكسرة، وهذا ما جعله يميّز بين تسعة أنواع للحركات القصار وتسعة للحركات الطوال، فتصبح الحركات بهذا النظر السياقي ثمان عشرة حركة.⁴

ونستخلص مما سبق أنّ الحركات بحسب التسمية ثلاث [فتحة وكسرة وضمّة]، وهي ست بحسبان الطول أو القصر، وثمانية عشرة حركة باعتبار النطق أو السياق الذي ترد فيه، وتبقى وظيفتها في كل الحالات التفريق بين معاني الكلمات.

¹ كمال بشر، علم الأصوات، ص 421.

² ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 21.

³ المصدر نفسه، ص 21.

⁴ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 462.

المطلب الرابع: الصوائت عند "أحمد مختار عمر"

يعد أحمد مختار عمر من أشهر رواد الدرس الصوتي الحديث؛ الذين أثروا حقل الصوتيات بصورة عامة، وفي مجال علم الأصوات النطقي على وجه الخصوص.

والمتصفح لكتابه "دراسة الصوت اللغوي" يجده قد خصّص الباب الثاني منه لـ "علم الأصوات النطقي"، وفي الفصل الثالث من نفس الباب تحدث عن التصنيف الثنائي للأصوات [الصوامت والصوائت]، ولكنّه اصطّح عليهما بالسواكن مقابل الأصوات الصامتة، والعلل مقابل الأصوات الصائتة.

ومصطلح العلل أشار إليه تمام حسان، حيث يرى أنّ حروف العلة هي الكسرة (ويشمل مفهومها ياء المد)، والفتحة (ويشمل مفهومها ألف المد)، والضمّة (ويشمل مفهومها واو المد)، بمعنى أنّ حروف العلة إمّا أن تكون قصارا أو طوالا، فالقصير منها حركة، مقابل الصائت القصير، والطويل منها مد، مقابل الصائت الطويل.¹

والعلل في نظر أحمد مختار عمر: « تتميز بنطق مفتوح وغياب أي عائق، كما أنّ العلة بطبيعتها مصوّتة ورتّانة أكثر من السواكن».²

وبالتالي فهو يقصد بالعلل تلك الأصوات التي لا يطرأ عليها أي عائق - سواء كان كلياً أو جزئياً - أثناء إصدارها، قاصداً بذلك الصوائت.

ومن حيث وصف بعض الدارسين المحدثين للصوائت بصفة الجهر فهو يرى أنّه - الجهر - « ليس ضرورياً في إنتاج العلل، كما في حالة الوشوشة».³

¹ ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 20.

² أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 135.

³ المرجع نفسه، ص 137.

لذلك فهو يرى بأنه ينبغي إطلاق صفة الجهر على الصوائت أثناء الكلام العادي ، بخلاف الوشوشة التي تفقد فيها هذه الصفة فتزد مهموسة.

كما خصّ أحمد مختار عمر هاته العلة بدراسة مستفيضة شملت الحديث عن العلة البسيطة والمركبة، أتبعها بالحديث عن التسلسل التاريخي لدراسة العلة وتصنيفها النطقي.¹

والجدير بالذكر أن الدراسة الصوتية عنده في عمومها متأثرة بالغرب (الدراسات الغربية).

غير أنه في الباب الرابع من نفس الكتاب والمعنون بـ "أصوات اللغة العربية"، نجد يصنّف العلة بنوعيهما [القصيرة والطويلة] ضمن فونيمات اللغة العربية الفصحى التي تحتوي على خمسة وثلاثين فونيمًا تركيبيا موزعة على النحو التالي:

1. ثلاثة فونيمات للعلة القصيرة Short vowels: ويقصد بها الصوائت القصيرة.

2. ثلاثة فونيمات للعلة الطويلة Long vowels: ويقصد بها الصوائت الطويلة.

3. فونيمات لأنصاف العلة: ويقصد بها الواو والياء وسمائها بعض المحدثين بأشبه الصوامت والصوائت، أو أنصاف الصوائت وأنصاف الصوامت، أو الانزلاقات²، واصطلح عليها محمود السعران بالصوائت المركبة.³

4. سبعة وعشرون فونيمًا للسواكن Consonants: ويقصد بها الصوامت.⁴

وقد نطرح هنا التساؤل عن سبب فصل أحمد مختار عمر بين العلة الطويلة والقصيرة في هذا التصنيف، واعتبار كل منهما فونيمات مستقلة، والجواب على ذلك نراه من خلال النقطتين الآتيتين:

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 139-144.

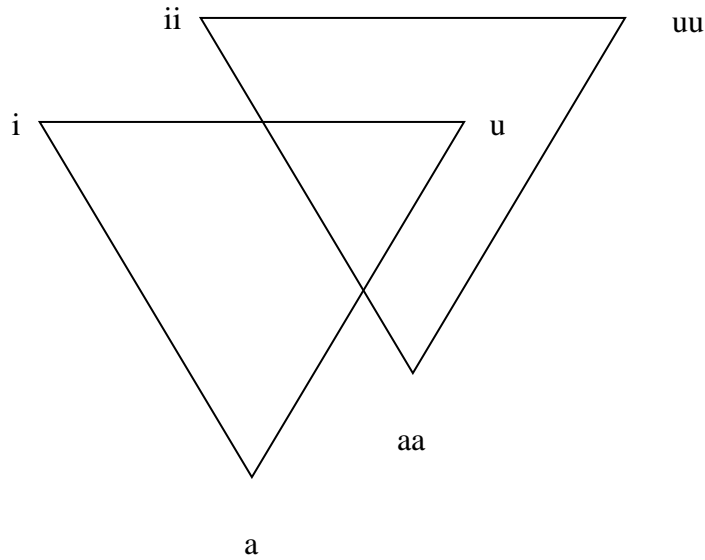
² ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام - أصوات اللغة العربية - ص 138.

³ ينظر: محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 154.

⁴ ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 313.

- الأولى: أن التقابل بين الحركة الطويلة والقصيرة قد يؤدي إلى تغيير المعنى أو الصيغة، ومعنى هذا أن كل منهما فونيم مستقل، بالإضافة إلى أن كلا من الطويل والقصير قد يقع موقع الآخر، ومثال ذلك: "ضارَب: ضَرَبَ"، "سامَح: سَمَح"، وهذا ما نصنفه ضمن الوظائف التي تؤديها الحركات.

- الثانية: أن الدراسة التشريحية أثبتت أن الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة منعزلة ليس خلافا في الكمية فقط، وإنما في الكيفية كذلك، فموقع اللسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلا كما يتضح من خلال الرسم الآتي:¹



(الشكل 1)

يتضح من خلال ما سبق، ومن خلال هذا الشكل أن الفرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة - في نظر أحمد مختار عمر - لا يكمن في الكم "Duration" فقط، مثلما رأينا مع كمال بشر سابقا²، وإنما يرجع أيضا إلى موضع اللسان وموقعه أثناء النطق.

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 329، 330.

² ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 445.

فمثلاً: يتخذ اللسان موضعه في منطقة الحركات للنطق بالفتحة القصيرة، ولكنه يتغير هذا الموضع بشكل طبيعي وبدون عائق عند النطق بنظيرتها الطويلة (الفتحة الطويلة)، وهذا ما سبق علماء العربية بالإشارة إليه¹، وأثبتته التجارب الحديثة بكل تأكيد.

وخلص أحمد مختار عمر إلى أن الحركات القصيرة أقل حجماً، وأقصر استمرارية من الطويلة، وهذه الأخيرة يمكن تصنيفها في اللغة العربية من النوع البسيط، ولا يوجد بها حركة طويلة من النوع المركب، مثلما هو وارد وشائع في باقي اللغات الأخرى.

نستخلص من خلال هذه النظرة السريعة لبعض الدراسات الصوتية العربية الحديثة أن إشكالية الصوائت قد نالت قسطاً وافراً من اهتمام الدارسين المحدثين، فدرسوها ببراعة فائقة، وتتبعوا مخارجها وصفاتها، مستنديين على معطيات العلم الحديث، فأدركوا بذلك قيمتها الوظيفية التي تؤديها في النسيج اللغوي، غير بعيد عن المسلمات التي سبق علماء العربية القدامى بالتأصيل لها، وأضافوا بعض المصطلحات إليها مثل الصوائت والأصوات الطليقة، الأصوات المتحركة...²

وما يؤخذ عن الكثير من الدارسين اللغويين المحدثين هو تأثيرهم الواضح بالدراسات الغربية، وهو ما يخل بضوابط اللغة العربية وقواعدها نظراً لعدد صوائتها المحدود بخلاف اللغات الأجنبية.

وهذه النظرة السريعة و الاطلاع الموجز للأصوات الصائتة عبر التراث العربي دليل قاطع على مدى اهتمام النحاة واللغويين القدامى، وكذا علماء التجويد والفلاسفة المسلمين بالصوائت، وهذا الاهتمام يُنم عن وعي تام بأهمية هذا النوع من أصوات اللغة العربية، لاسيما دورها في التغيرات المورفولوجية للوحدات اللغوية.

¹ ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص33.

² ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 197.

ولما كانت اللّغة العربية لغة تصريفية، فقد وجب الاهتمام بالقسم المسؤول عن مثل تلك التغيّرات: «فالأمر نفسه حدث مع الصوائت القصيرة التي أدت -ولا تزال- وظيفة حفظ درجات الترتيب النطقي وفق ما يقتضيه القانون الصرفي، ومثله الحفاظ على وظائف الوحدات اللّغوية داخل التراكيب للتمييز بين المعاني»¹.

فلهذه الأهمية البالغة التي تؤديها الصوائت من وظائف نطقية ونحوية ودلالية وصرفية، كلّها كانت دافعا وراء هذه العناية من الدّراسة بهذا الصنف من الأصوات، فحظيت باهتمام علماء العربية القدامى، وعالجوها بدقّة رغم اعتمادهم على الملاحظة الذاتية، ووضعوا لها أسسا وقواعد بنى عليها المحدثون فيما بعد أفكارهم وطوّروها وفقا لمعطيات العلم الحديث.

¹ أمينة طيبي، علم أصوات اللغة العربية، حامل بيداغوجي، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، الجزائر، 2005-2006م، ص 50.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الدراسة الصوتية للصوائت العربية القصيرة

المبحث الأول : دراسة الصوائت على مستوى الأفراد 

المبحث الثاني : دراسة الصوائت على مستوى التركيب 

تمهيد:

لقد اشتغل علماء العربية في دراستهم للأصوات العربية على النوع؛ حيث قسموها إلى قسمين: صائتة (vowel)، وصامتة (consonnes)، فعدّوا الصوت صائتاً إذا كان النفس الذي يؤدي إلى إصداره يجري طليقاً، لا يعترضه عائق حتى يخرج بحرية من الفم، واعتبروه صامتاً إذا صادف النفس الذي يؤدي إلى إصداره عائقاً في نقطة ما، يعترض طريقه - على مستوى أعضاء النطق - حتى خروجه من الفم¹.

وهذا التقسيم مبني على أسس سمعية، متعلقة بطول الصوت وارتكازه ودرجته، لذا لوحظ أنّ الأصوات الصائتة، أشدّ وضوحاً في السمع إذا قيست بالأصوات الكلامية الأخرى، في حالة نطقها بالطريقة العادية².

وتعتمد العربية من حيث تقسيمها للصوائت النظام الثلاثي؛ الذي يتكون من ثلاثة صوائت قصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)، ومن نظائرها الطويلة (الألف والياء والواو)، وهذا لا يعني أنّ اللغة العربية تقتصر على هذه الصوائت دون غيرها، بل تنشأ عنها تعريفات ثانوية، «ليست ذات قيمة فونيمية، أي ليست ذات أثر في المعنى، فالإمالة والتفخيم والإشمام مثلاً، لا تغيّر معنى الكلمة، وإن كانت تنحو بأحد صوائتها، منحاً مغايراً لأصل الاستعمال»³. فهذه التعريفات أو المصطلحات ما هي إلا صور نطقية، تعبر عن ظواهر لهجية وجدت في بيئات مختلفة.

وعلى هذا الأساس فقد استقر رأي النحاة وعلماء اللغة عبر جميع مراحل الدراسة الصوتية العربية على أنّ، الصوائت ستة من أصل واحد، «يتشابه كل اثنين منها تشابهاً كبيراً بحيث لو

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 28، وينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 150-151.

² ينظر: محمود السعران، علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - ص 150.

³ رمزي منير بعلبكي: فقه اللغة المقارن، دراسات الأصوات العربية و صرفها ونحوها على اللغات السامية، دار الملايين للعلم، بيروت، لبنان، د ط، 1999م، ص 43.

مطلنا الصوت بأحدهما لكان الآخر، ولو قصرناه بالآخر لكان الأول، وهي الفتحة والألف، والكسرة والياء، والضمة والواو»¹.

والمتبع لدراسة المنطوق العربي يجد بأنه لا يخلو في أبنيته من الحرف الخالي من الحركة، حيث ينقطع النفس والهواء، ولا تتحرك الشفتان ولا اللسان، إلا أن السامع يستشعر جرسا قصيرا للحرف المنطوق، لذلك ألحق السكون بالصوائت القصيرة وظيفة² إضافة إلى التنوين³ الذي هو مضاعفة الحركات الثلاث، وهو هيئة نطقية تلحق أواخر الكلم.

وما نحاول تركيز الاهتمام عليه في هذه الدراسة هو الصوائت العربية القصيرة، والمتمثلة أساسا في: [الفتحة والضمة والكسرة].

1/ الفتحة [ا]: وقد سُميت بالفتحة والنسبة، فالفتحة من فتح الشفتين، والنسبة من انتصاب وتسطح اللسان، وتعد الفتحة صائت وسطي بين الرفع والانكسار، كما أن الحركات الرنينية تكون أكثر اتساعا، سواء في التجويف الخنجري أو الفموي، وذلك لأن اللسان يكون في حالة راحة، والشفتان في حالة انفتاح تام، وقد تنبه قدماء العربية إلى وظيفة الفتحة في مختلف المباني والتراكيب، وما قالوه عن الفتحة أن لها وظائف متعددة دلالية و صرفية ونحوية.⁴

2/ الضمة [اُ]: سُميت بالضمة والرفعة، فالضمة من ضم الشفتين إلى حين تشكل الاستدارة، أما الرفع فيعود نسبة إلى رفع اللسان، قال سيبويه لما تحدّث عن الرفع: «ترفع لسانك معه».⁵ رفعا يتجه إلى مؤخرة اللسان نحو اللاهات و الحنك الصلب، فالضمة لهذا الصائت خلفي⁶.

3/ الكسرة [اِ]: سُميت بالكسرة، وبالخفض والجر، والكسر لانكسار الشفتين أثناء النطق بها، إذ تعتبر هيئة نطقية تحيل الشفتين إلى وضعية أشد ضيقا، ففيها تقترب آسلة اللسان في أبعاد

¹ حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللّهجية والصوتية عند ابن جني، ص193.

² ينظر: أحمد زرقعة، أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1993م، ص16.

³ ينظر: ديزيرة سقال، الصّرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص16.

⁴ ينظر: أحمد زرقعة، أسرار الحروف، ص34.

⁵ سيبويه: الكتاب، ج3، ص465.

⁶ ينظر: أحمد زرقعة، أسرار الحروف، ص36.

نقطة له مع الواجهة الأمامية للحنك الأعلى، كما أنّ مصدر حدوثها هو الجزء الأمامي أو العلوي في الحنجرة، على غرار باقي الصوائت الأخرى، لذا صنّفت بأنّها صائت أمامي¹، أمّا من حيث وظيفتها التركيبية، فهي علامة على الخفض، وقد جعل العرب «الكسرة علماً للإضافة»²، في المضاف إليه أو المجرور.

بعد هذا العرض للتصنيف الثنائي للأصوات اللغوية، وتحديد الرأي الذي استقر عليه معظم دارسي علماء العربية والأصوات - قديماً وحديثاً - ارتأيت أن أقسم هذا الفصل الخاص بالدراسة الصوتية للصوائت العربية القصيرة إلى مبحثين رئيسيين وفقاً لما يلي:


المبحث الأول: وخصصته لدراسة الصوائت على مستوى الأفراد

أمّا المبحث الثاني: فهو خاص بدراسة الصوائت على مستوى التركيب

¹ أحمد زرقعة، أسرار الحروف، ص 35.

² مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد و توجيه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1964م، ص 67.

المبحث الأول: دراسة الصوائت على مستوى الإفراد

المطلب الأول: من حيث مخارج الصوائت 

المطلب الثاني: عدد الصوائت القصيرة و علاقتها بالطويلة 

وتصنيفها من حيث الخفة و الثقل

المطلب الثالث: إشكالية التنوين و السكون 

المطلب الأول : من حيث مخارج الصوائت

اهتم الدارسون اللغويون - القدماء والمحدثون - بدراسة مخارج الحروف، فميّزوا بين الأصوات المتحددة المخارج من خلال ما تتميز به من صفات، فقالوا في بعض الأصوات إنّها حنجرية، وفي الأخرى حلقية وفي الثالثة لهوية... ثمّ صنّفوها تبعاً لصفاتها، فقالوا إنّ هذا الصوت مجهور، وهذا مهموس وقالوا في أصواتٍ أخرى هذا شديد، وهذا رخو، وذلك بين الشدة والرخاوة، وهكذا .

ويراد بالمخرج عند علماء اللّغة هو: « مكان النطق »¹، أو « هو النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء ، والتي يصدر الصوت فيها »² . بمعنى موضع النطق.

وتتميز مخارج الصوائت عن مخارج الصوامت باتساعها، وهو الأمر الذي جعل دراسة الصوائت وتحديد ملامحها الصوتية يسبب إشكالاً اختلف العلماء فيه اختلافاً زاد على اختلافهم في جُلّ المسائل الصوتية قديماً وحديثاً، حيث اشتكى من صعوبة دراستها بعضهم ، قال ابن سينا : « ثم أمر هذه الثلاثة عليّ كالمشكل »³ ، وقال برجشتراسر : « للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة ، غير أنّ تحديدها وتمييزها مُشكلٌ »⁴ ، فصعوبة وصف هذه الأصوات ناشئة عن اتساع مخارجها قياساً بالصوامت، فلا يلتقي عضوان من أعضاء النطق التقاءً تاماً أو شبه تام يجعل وصفها ميسوراً .

ونظراً لاشتراك أكثر من جزء من أجزاء الجهاز النطقي في إنتاج الصوائت من جهةٍ أخرى ؛ ارتأيت تقسيم هذا المطلب إلى ثلاثة أقسام:

- 1- علاقة الحلق والجوف بإنتاج الصوائت .
- 2- علاقة اللسان بإنتاج الصوائت .
- 3- علاقة الشفتين بإنتاج الصوائت .

¹ ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 84.

² محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللّغة، ص 40.

³ ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 85 .

⁴ برجشتراسر: التطور النحوي، ص 40.

1- علاقة الحلق والجوف بإنتاج الصوائت:

اتفق علماء الأصوات قديماً وحديثاً على أن اتساع أعضاء النطق عند إنتاج الصوائت من شأنه أن يعطي للهواء الحرية في المرور عبر تجويف الحلق والفم، وهذا هو الأساس الذي بني عليه تصنيف الأصوات إلى صامتة وصائتة. غير أن مرور الهواء عبر هذه التجاويف يتأثر بمجموعة عوامل تعطي الصوائت صفتها، وإلا استحال الصوت نفساً، ومن هذه العوامل وجود ما أطلق عليه العلماء مصطلح (الجوف).

ولعلّ أوّل إشارة لهذا المصطلح هي قول الخليل بن أحمد: « وسمّيت جوفاً لأنّها تخرج من الجوف ، فلا تقع في مدرجةٍ من مدارج اللسان. ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة، إنّما هي هاوية في الفم فلم يكن لها حيزٌ تنسب إليه إلا الجوف...»¹.

وهذا ما أكده مكّي بن أبي طالب حين قال: « سمّاهن الخليل بذلك لأنّهن نسبن إلى آخر انقطاع مخرجهن، وهو الجوف»².

واستخدم الخليل - إضافة إلى مصطلح (الجوف) - مصطلحاً آخر هو مصطلح (هاوية)، وقد نظر في هذا المصطلح إلى اتساع تجويف الفم عند نطقها.

ولعلّ ما يقرب الصورة أكثر، هو قوله كذلك عن حروف المد واللين (الصوائت الطويلة): «وأصلهن من عند الهمزة، ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن، كقولك للمرأة: (افعلّ) وتسكت، وللإثنين (افعلّ) وتسكت، وللقوم (افعلّ) وتسكت، فإنّما يهمن في تلك اللّغة، لأنّهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن، فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة»³.

¹ الخليل بن أحمد: معجم العين، ج1، ص57.

² مكّي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص142.

³ الأزهرى: تمذيب اللّغة، ج1، ص51.

ولما صنّف مخرج الهمزة من أقصى الحلق، فإننا نستطيع أن ندرك فهم الخليل لطبيعة هذه الأصوات من أنّها تنشأ في هذه المنطقة التي اصطلح على تسميتها فيما بعد بالأوتار الصوتية، ومن هنا يمكن أن نفهم من قولي الخليل السابقين أنّه يعني بالجوف المنطقة التي تلي الحلق؛ وهي الوتران الصوتيان، فخانه نقص المعرفة التشريحية، وأطلق عليها مصطلح (الجوف) مثلما ذكرنا في الفصل السابق .

وفكرة الخليل هذه أقرّها سيبويه حين قال عن هذه الحروف : « ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة، ولا لسان، ولا حلقٍ كضم غيرها، فيهوي الصوت إذا وجد متسعاً، حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة »¹.

وقد لاحظنا سابقاً أنّ أقوال علماء التجويد في هذا الجانب تبدو تكراراً لما أقرّه علماء اللّغة قبلهم ، وهذا الأمر عند المتقدمين منهم أمثال مكّي بن أبي طالب²، وأبي عمرو الداني³، وعبد الوهاب القرطبي⁴، وغيرهم.

كما أكّد بعض علماء التجويد أقوال علماء العربية إلى درجةٍ تتفق مع ما توصل إليه الدّرس الصوتي الحديث بدرجةٍ كبيرة⁵.

وبمكّنتنا في هذا المجال أن نخلص إلى أنّ مذهب علماء العربية ؛ بخصوص دور الحلق و الجوف في إنتاج الصوائت ما ذكره علي القاري (ت 1014هـ) حين قال : « هذه الحروف

¹ سيبويه: الكتاب، ج4، ص 176.

² ينظر: مكّي ابن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 126 — 127.

³ ينظر: أبو عمر الداني: التحديد في الإتيان والتجويد، ص 110، 122.

⁴ ينظر: عبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد، ص 78، 79 .

⁵ ينظر: حسام سعيد النعمي: الدّراسات اللّهجية والصوتية عند ابن جني، ص 302، وينظر: غانم قدوري الحمد، الدّراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص193.

تنتهي إلى هواء الفم من غير اعتمادٍ على جزءٍ من أجزائه، ولذا يقال لهذه الحروف جوفية وهوائية¹.

وبالتالي فمذهبه في هذا الجانب هو أن الصوائت تبدأ في تجويف الحلق والفم، وهو بالنسبة لها ليس المخرج المحقق، وتمتد هذه الحروف وتستطيل حتى تنقطع بانقطاع هواء الفم، وهو الهواء الخارج من الصدر، الذي عبر عنه ابن جني بأنه يخرج غفلاً بغيرِ صنعة²، فخرج هذه الأصوات بهذه الكيفية من اتساع تجويف الحلق والفم أقرب في طبيعتها إلى صوت الصدر؛ ومع ذلك فإنهن يتميزن بتصدُّ الألف، وتسفل الياء، واعتراض الواو، أمّا نسبتها إلى الجوف فلاّته « آخر انقطاع مخرجها »³، حيث لا توجد نقطة التقاء معروفة في جزءٍ من أجزاء جهاز النطق فيما فوق الجوف.

ولم يغب مصطلح الحلق عند المحدثين في تحديدهم لمخارج الصوائت وصفاتها، حيث نورد في هذا الشأن ما قاله محمود السعران في تحديده لمفهوم الصوت الصائت بأنه: « الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما، أو تضيق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا »⁴.

ويبدو أن محمود السعران قد أكد على دور الحلق في إنتاج الأصوات الصائتة؛ وذلك لما تحدّث عن معايير تصنيف الأصوات اللغوية، حيث فسّر طريقة مرور الهواء من الحلق و الفم أو

¹ علي القاري (الملا علي بن سلطان محمد المكي)، المنح الفكرية على متن الجزرية، مطبعة الميمنية، مصر، د ط، د ت، ص 10.

² ابن جني ينظر: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 8.

³ علي القاري: المنح الفكرية على متن الجزرية، ص 10.

⁴ محمود السعران: علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 148.

الأنف عند النطق بالصوت المعين، مشيراً إلى أنّ الأوتار الصوتية ، تكون غالباً في وضع الذبذبة عند النطق بالحركات ، وأنّ الهواء أثناء النطق بها يمر حراً طليقاً من خلال الحلق و الفم¹.
يتضح مما سبق ذكره أنّ الصوائت تتميز عن غيرها من الأصوات بحرية مرور الهواء أثناء النطق بها؛ مع إبراز أهم أعضاء النطق التي تساهم في إصدار هذا الصنف من الأصوات والمتمثلة أساساً في الحلق.

¹ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص 149 - 150.

2- علاقة اللسان بإنتاج الصوائت:

تنبه علماء العربية القدامى إلى دور اللسان في إنتاج الصوائت؛ ومن ذلك ما أشار إليه الخليل بن أحمد من خلال قوله: « والياء والواو والألف اللينة منوطات بها [الهمزة] ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء محتفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ...»¹.

وقد أوضح سيبويه عبارة الخليل من خلال تصنيفه مخارج هذه الأصوات ، فالألف مع الهمزة والهاء من أقصى الحلق، والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى حيث يخرج الجيم والشين، والواو من بين الشفتين من مخرج الباء والميم². ولعل هذه أول إشارة صريحة إلى عمل أعضاء النطق في إنتاج الصوائت.

أما الفراء (يحيى بن زياد) فقد أشار إلى استئصال العرب لبعض أشكال تنابعات الصوائت القصيرة، في مثل قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مِمَّا كَسَبُوا﴾³، حيث يقولون: أَنْزَلْنَاهُمْ مِمَّا كَسَبُوا — بإسكان الميم — فيستقلون كسرة بعدها ضمة، أو ضمة بعدها كسرة، أو كسرتين متواليتين، أو ضميتين متواليتين ، فالضمتان قوله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾⁴ ، والكسرتان في قولنا: (الإبل) وعليه فقد علل الفراء (207 هـ) هذا الاستئصال بتعليل حدد فيه مخارج الصوائت بصورة دقيقة بناءً على وضع الفم حيث قال: « فَإِنَّمَا يَسْتَقِلُّ الضَّمُّ وَالْكَسْرُ؛ لِأَنَّ لِمَخْرَجِيهِمَا مَوْوَنَةً عَلَى اللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ، تَنْضُمُ الرِّفْعَةَ بِهَمَا، فَيَثْقُلُ الضَّمُّ، وَيَمَالُ أَحَدُ الشَّدَقَيْنِ إِلَى الْكَسْرَةِ ، فَتَرَى ذَلِكَ ثَقِيلاً، وَالْفَتْحَةَ تَخْرُجُ مِنْ حَرَقِ الْفَمِ بِلَا كُفَّةٍ »⁵.

¹ الأزهرى: تهذيب اللغة، ج1، ص51.

² ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص433.

³ سورة هود: الآية 28.

⁴ سورة الأنبياء: الآية 103.

⁵ الفراء: معاني القرآن، ج2، ص13.

يبدو من هذا النقل عن الفراء أن علة الاستثقال هنا تتعلق باللسان؛ وما يحصل له من كلفة في الأداء الصوتي، خاصة عندما تتوالى بعض الصوائت القصيرة.

إضافة إلى هذا فقد بيّن المبرد (285 هـ) ما يلعبه اللسان من دور في إنتاج الصوائت من خلال قوله: «ومن الشفة مخرج الواو والباء والميم، إلا أن الواو تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد، وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، فهذه الاتصالات تقرب بعض الحروف من بعض، وإن تراخت مخارجها»¹.

وفي هذا إشارة واضحة لما يؤديه اللسان من دور في إنتاج الصوائت.

وتشترك الصوائت القصيرة عند المبرد — كما عند بقية علماء العربية — مع الصوائت الطويلة في المخرج، وهو ما أكده بقوله: «الفتحة من مخرج الألف»²، وقوله: «الضمة من الواو في محل الفتحة من الألف»³، وهذا الأمر يصدق على الكسرة.

وفصّل في هذا الأمر ابن جني بأكثر وضوح حين قال: «أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغطٍ أو حصر. وأمّا الياء فتجد معها الأضراس، سفلاً وعلواً، وقد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأمّا الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت. فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك قولك في الألف (أَ أ) ، وفي الياء (إِي) ، وفي الواو (أُو)»⁴.

ومن هنا يبدو أن نظرة ابن جني لم تختلف عما جاء به سابقوه، من أن الألف تخرج مع صوت الصدر في لين من غير كلفة على اللسان والشفتين، وأن بقية الأصوات، تخرج بالاعتماد

¹ المبرد: المقتضب، ج 1، ص 194.

² المصدر نفسه، ص 155.

³ المصدر نفسه، ص 156.

⁴ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 8.

على تغيير ممر الهواء من قبل اللسان أو الشفتين، وهذا لا يعني أن اللسان لا يتحرك في نطق الألف، بل أنه يتحرك حركة قليلة مقارنة مع غيره من الصوائت الأخرى.

وغير بعيد عن هذه المسلمات لم يغفل الدارسون المحدثون عن دور اللسان في عملية إنتاج الصوائت، من أمثلة ذلك ما أشار إليه إبراهيم أنيس لما تحدث عن مخرج الواو حيث قال: «أما مخرج الواو فليس الشفتين فقط كما ظن القدماء، بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يلتقي بأقصى الحنك؛ غير أن الشفتين حين النطق بهما تستديران، أو بعبارة أدق تكمل استدارتهما»¹.

وفي هذا القول إشارة واضحة لعمل اللسان وتأكيد على دوره البارز أثناء إصدار الصوائت .

وهذا لا يعني أن اللسان لا يتحرك في نطق الألف البتة، فهو يتحرك حركة قليلة لا تحسب إذا ما قورنت بحركته مع غير الألف.

¹ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص45.

3- دور الشفتين في إنتاج الصوائت:

أجمع علماء العربية أن أول بداية اهتمام بنقط الإعراب كانت على يد أبي الأسود الدؤلي (69 هـ) - مثلما ذكرنا سابقاً - ولعل أول إشارة إلى دور الشفتين في إنتاج الصوائت ما روي عنه في قصته المشهورة حين أراد وضع نقط الإعراب، فأحضر كاتباً، وصبغاً يخالف لون المداد، وقال لكاتبه: « إذا رأيتني لفظت بالحرف، فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين»¹.

فهذه الرواية المنقولة عن أبي الأسود الدؤلي تشير إشارة واضحة إلى الشكل الذي تتخذه الشفتان عند نطق كل صائت، ولا يختلف هذا الأمر عمّا قاله علماء التجويد من اتخاذ الفم شكلاً أنبويّاً من مؤخرة اللسان الذي يمثل الجزء المرتفع، حتى يشمل هذا الوضع الشفتين اللتين تتخذان شكلاً مستديراً يشابه شكل الفم، فالشفتان تنفردان بهذا الوضع عند نطق الواو، أمّا الباء والميم فإن الشفتان تنطبقان عند إنتاجهما².

كما أن الرازي قد أكد على دور الشفتين في أكثر من عبارة، وهو تأكيد قائم على معرفة تامة بما يؤديه كل جزء من أجزاء الفم من عملٍ في هذا الجانب، حيث قال: « أثقل الحركات الضمة؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبيتين الواصلتين إلى طرف الشفة، وأمّا الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة، وكما دلّت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه، فالتجربة تظهره أيضاً»³.

¹ أبو عمر الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص 6-7.

² ينظر: عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص 78-79.

³ الرازي: التفسير الكبير، ج 1، ص 54.

وقال في موضعٍ آخر: « من أراد أن يتلفظ بالضمة، فإنه لا بد له من ضم شفثيه أولاً، ثم رفعهما ثانياً، ومن أراد التلفظ بالفتحة، فإنه لا بد له من فتح الفم، بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح، ومن أراد التلفظ بالكسرة، فإنه لا بد له من فتح الفم فتحاً قوياً، والفتح القوي لا يحصل إلاّ بانجرار اللحي الأسفل وانخفاضه، فلا جرم أن يسمى ذلك جراً وخفضاً وكسراً؛ لأنّ الانجرار القوي يوجب الكسر...»¹.

ويبدو من هذين النصين المنقولين عن الفخر الرازي العمل الواضح والدور البارز الذي تؤديه الشفتان أثناء إصدار الصنف الثاني من الأصوات -الصوائت - وما تبذله العضلتان الصلبتان الواصلتان إلى طرف الشفة من جهد حسب نوع كل صائت.

وقد أثبت الدارسون المحدثون ما نقلناه من كلام علماء العربية بشأن دور الشفتين في إنتاج الصوائت، وهذا عند وصفهم لمخارجها، ومن ذلك ما ذكره كمال بشر أثناء حديثه عن معايير تصنيف الأصوات، حيث أشار إلى أنّ الشفتين تأخذان أوضاعاً خاصة عند النطق بالحركات، وهذه الأوضاع هي في الحقيقة أساس للتفريق بين أنواع الحركات، لا بينها وبين الأصوات الصامتة².

وقال رمضان عبد التّواب في هذا الباب: « لا شك أنّ الشفتين لهما أثر في إحداث كل حركة من هذه الحركات جميعها لا يمكن إغفاله، فهما منفرجتان مع بعض هذه الحركات ومستديرتان مع بعضها الآخر»³.

يتضح مما سبق ذكره أنّ للشفتين دوراً بارزاً في تحديد أنواع الصوائت والتمييز بينها، تبعاً لما تتخذه من أوضاع، فقد تنضم الشفتان كما يحدث في نطق « الضمة » بنوعيتها أيضاً، وتفتحان بصورة محايدة في نطق الفتحيتين⁴.

وفي كلّ الأوضاع تأكيد على الدور الكبير للشفتين في تكوين الأصوات الصائتة.

¹ الرازي: التفسير الكبير، ج1، ص55.

² ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام - الأصوات - ص 150.

³ رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص 93.

⁴ ينظر: محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 184.

المطلب الثاني: عدد الصوائت القصيرة وعلاقتها بالطويلة

وتصنيفها من حيث الخفة والثقيل

1_ عدد الصوائت والعلاقة بينها:

من المتفق عليه لدى الدارسين اللغويين وعلماء الأصوات أنه لا خلاف بين قديم ومحدث في أن عدد الصوائت ثلاثة من حيث النوع، وستة من حيث الكم، قال ابن جني: « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة...¹». وقال كمال بشر: « الحركات الأساسية في اللغة العربية ثلاث هي الفتحة والكسرة والضمة، هذه الحركات تكون قصيرة وطويلة، فالقصيرة معروفة، وهي التي سماها ابن جني حركات بالفعل، والطويلة ما سماها بحروف المد واللين...²».

يبدو من هذين القولين أن الصوائت العربية ثلاثة من حيث النوع، وستة بحسبان الطول و القصر، ولا فرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة سوى الاختلاف الكمي.

وقد أدرك علماء الأمم من غير العرب العلاقة بين هذه الأصوات، حيث ذكر الخوارزمي أن: «الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة، وكذلك الضم وأخواته، والكسر وأخواته ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت: الواو الممدودة ضمة

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب ج 1، ص 17، وينظر: الخصائص، ج 2، ص 315.

² كمال بشر: علم اللغة العام (قسم الأصوات)، ص 191، وينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 38.

مشبعة. وعلى هذا القياس الروم والإشمام إلى هذه الحركات كنسبة الحركات إلى حروف المد واللين، أعني الألف و الواو و الياء»¹.

وفي هذا القول إشارة واضحة للعلاقة الكمية التي تجمع بين الصوائت الطويلة والقصيرة، أو بين حروف المد واللين والحركات؛ كما صنّفها علماء العربية القدامى، وهذا ما نلمسه أكثر من خلال قول سيوييه: « فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمّة من الواو. فكلّ واحدة شيء مما ذكرت لك »².

وقال أيضا: « وإمّا الحركات من الألف و الياء و الواو »³.

وقد عالج ابن جنّي مسألة عدد الصوائت والعلاقة بينها باستفاضة كبيرة من خلال كتابيه [سر صناعة الإعراب، والخصائص]، فقال بعد نصه الذي نقلناه في بداية هذا المبحث: « ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف أنّك متى أشبعت واحدةً منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عمر) فإنّك إن أشبعتها حدث بعدها ألف ، فقلت : عامر، وكذلك كسرة عين (عنب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك : عَينب ، وكذلك ضمة عين (عُمر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة، وذلك قولك : عُوَمر، فلولا أنّ الحركات أبعاضٌ لهذه الحروف، وأوائل لها لما تنشأت عنها، ولا كانت تابعةً لها ... فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنّها توابع للحركات ومنتشئةٌ عنها، وأنّ الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة ... »⁴.

¹ الخوارزمي: مفاتيح العلوم ، ص 31.

² سيوييه: الكتاب ، ج 4 ، ص 242.

³ المصدر نفسه، ص 101.

⁴ ابن جنّي: سر صناعة الإعراب ج1، ص 18 - 23.

وقال في موضع آخر: « أن الحركة حرف صغير؛ ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة، ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها، وذلك قولك في إشباع حركات (ضُربَ) ونحوه: (ضوريا) ... »¹.

يتضح مما سبق نقله عن ابن جني أن الصوائت القصيرة حروفٌ كبقية الحروف، وإنما سميت حركات « لأنها تعلق الحرف الذي تقترن به وتجذب نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذب نحو الياء، والضمة تجذب نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ مداها تكملت الحركات حروفاً، أعني ألفاً وياً وواواً »².

أما العلاقة التي تجمع بين الصوائت الطويلة والقصيرة فهي علاقة الجزئية والكلية، فالصوائت القصيرة جزء من نظيرتها الطويلة، وما الفارق بين الصنفين سوى في الكم الزماني.

ومجمل القول أن كلام ابن جني في هذه القضية طويل، وهو لا يخرج في مجمله عما ذكرناه من معرفته للطبيعة الواحدة للصوائت الطويلة والقصيرة، وأن الفرق بينهما هو في الكمية.

وتحدث في هذا السياق ابن سينا عن هذه المسألة لما عالج الصوائت الطويلة وأحوالها فقال: « ولكني أعلم يقيناً أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمن الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة »³. فتحديده هنا للصوائت الطويلة بأنها تقع في ضعف أو أضعاف زمن وقوع الصوائت القصيرة، وهو ما وافق تماماً ما سبق علماء العربية بالإشارة إليه، قال أبو عمر الداني حين ذكر حروف المد واللين أنها سميت بذلك: « لضعفها

¹ ابن جني: الخصائص ج2، ص315، وينظر: ص318.

² ابن جني: سر صناعة الاعراب ج1، ص26 - 27.

³ ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص17.

وخفائها، وأنّ الحركات مأخوذة منها، فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو»¹.

ولم يخرج الدارسون المحدثون عن هذه المسلّمات التي سبق بها الدارسون القدامى لما أشاروا إلى الفارق الكمي؛ حيث اعتبروا أنّ الفرق بين الصوائت القصيرة والصوائت الطويلة ينحصر في المدّة الزمّية بين صائت قصير وآخر طويل من جنسه، قال إبراهيم أنيس: « فكيّفة النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كلّ المماثلة كيّفة النطق بما يسمّى الألف اللينة، مع ملاحظة فرق الكميّة بينهما»².

كما أكدّ كمال بشر على أنّ الفرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة إنّما هو راجع إلى فرق الكميّة، باعتبار أنّ نطق الطويلة منها يستغرق زمناً أطول نسبياً من نطق القصيرة،³ ونفى وجود فرق كيّفيّ بين الحركات الطوال والقصار وهو ما يتضح من خلال قوله: « ليس هناك فرق في الكيف بين هذين النوعين، وإنّما الفرق في الكمّ، وهو القصر والطول»⁴.

والرأي ذاته تبناه محمد الأنطاكي الذي أكدّ أنّ الصوائت الطويلة تماثل الصوائت القصيرة في جميع صفاتها وأحكامها إلاّ في صفة الطول.⁵

وقال غانم قدوري الحمد: « وذلك لأنّ الواقع يوضح أنّ كل صوت من الأصوات الذائبة، قصيراً كان أم طويلاً، يمثل إمكانية من إمكانيات الجهاز النطقي عند الإنسان، وأنّه يمكن أن نقول أنّ بعض هذه الأصوات ينتج بطريقة تماثل إنتاج صوتٍ آخر، وأنّ الاختلاف بين الاثنين هو في الكمية مثلاً، فلو قصرنا الصوت الطويل لأدّى إلى القصير، ولو طولنا القصير لأدّى إلى الصوت الطويل»⁶.

¹ أبو عمر الداني: التحديد في الاتقان و التجويد، ص: 109.

² إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 40.

³ ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص: 134.

⁴ المرجع نفسه، ص: 102.

⁵ ينظر: محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها و صرفها، ص: 36، 37، 38.

⁶ غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 296.

لذلك وجدنا أن بعضاً من العلماء من حدّد مقدار الصائت الطويل بضعف نظيره القصير، قال شهاب الدين القسطلاني: « ووزن الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها، ولذلك سمّوا الفتحة الألف الصغرى، والكسرة الياء الصغرى، والضمة الواو الصغرى، فنقص الحركة عما أجمع عليه لحن¹».

وهذا ما يثبت أن الفرق بين الصوائت القصيرة والطويلة هو مضاعفة المدّة الزمنية الخاصة بنطق الصوائت القصيرة مقابل نظيرتها .

أمّا الدّراسة التّشريحيّة أثبتت أن هناك فرق آخر في كميّة النطق، فزيادة على الفرق الكمي فإنّ موقع اللّسان مع كلّ منهما يخالف الآخر بنسبة معيّنة بموقعه في الإنتاج الحركي، قال أحمد مختار عمر: « الدّراسة التّشريحيّة أثبتت أن الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة (منعزلة) ليس خلافاً في الكميّة فقط، وإّما في الكميّة كذلك، فموقع اللّسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلاً²».

فالفرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة عند أحمد مختار عمر لا يكمن في الكم "Duration" فقط، وإّما يرجع أيضاً إلى موضع اللّسان وموقعه أثناء النطق.

¹ القسطلاني: لطائف الإشارات لفنون القراءات ج1، ص187.

² ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص329.

2- أقسام الصوائت القصيرة من حيث الخفة و الثقل:

حاول علماء العربية القدماء معالجة مسألة الخفة والثقل التي تتميز بها الصوائت، باعتبار أنّ هاتين الميزتين من الأمور الأساسية في الحديث عن علاقة الصوائت ببعضها، فالألف وأختها الفتحة — عندهم — أخف الحركات، يليها في ذلك الياء وأختها الكسرة، ثم الواو وأختها الضمة، وهذه الخفة في الألف وأختها ناشئة عما أشرنا إليه سابقا من طبيعة أعضاء النطق عند إصدار الصوائت، قال سيبويه: « وإِثْمَا خفت الألف هذه الخفة؛ لأنّه ليس منها علاج على اللسان والشفة، ولا تُحرك أبداً، فإِثْمَا هي بمترلة النفس، فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم ولا الياء، لما ذكرت لك من خفة مؤنثها»¹.

وبالتالي فأسبقية تصنيف الفتحة ثم الكسرة ثم الضمة؛ مردها إلى الجهد الذي تبذله أعضاء النطق أثناء إصدار صوت الضمة قياسا بالجهد المبذول أثناء إصدار صوت الكسرة ثم الفتحة على الترتيب .

وغير بعيد عن هذه المسلّمات فقد وافق الدارسون المحدثون ما سبقهم به علماء العربيّة القدامى بشأن هذا التصنيف، بناء على مقارنة كل صائت بقرينه خفة وثقلا، وانطلاقا من الوضعيات التي تأخذها أعضاء تشكيل الحركة أثناء النطق، فقالوا بأنّ الفتحة أخف على العرب من الكسرة والضمة²، واستدلوا على ذلك بوصفهم للحركة الانبساطية التي يأخذها اللسان، والانفتاح الوسطي الذي تتخذه الشفتان، كما أشاروا أيضا إلى أنّ الكسرة أخف عليهم من الضمة³، ودليلهم أنّ الجهد الذي يؤدّيه اللسان انكسارا من الحنك الأعلى، أدنى من ارتفاعه و تحذب وسطه إلى الغار الأعلى، وهذا للنطق بصوتي الكسرة والضمة .

¹ سيبويه: الكتاب، ج4، ص335، 336.

² ينظر: عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، ص273.

³ المرجع نفسه، ص 273.

ولما اختصت الأصوات الصائتة بصفة الجهر؛ وهذا بتأكيد الدراسات المخبرية باستعمال مقياس « jesperson » المؤلف من ست درجات والتي تتضح من خلالها مستويات الجهر، حيث أكد هذا المقياس بأنّ الفتحة والألف هي أكثر الصوائت جهرا، تليها الكسرة فالضمة.¹ وما يمكن قوله في خلاصة هذا المطلب هو أنّ رؤية علماء العربية لعدد وعلاقة الصوائت فيما بينها، دليل على أنّهم كانوا مدركين لطبيعة هذه الأصوات، ولعلاقتها بصورة تامة، ولكنهم عاملوها من الناحية العملية على أنّها صوامت فرسموا قبلها حركات من جنسها²، وهذا انطلاقا من ملاحظاتهم الذاتية فقط، فتميزت بذلك جهودهم بالدقة والتفصيل وإجادة الوصف في دراسة أصوات لغتهم.

¹ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، الأردن، 1998م، ص121.

² ينظر: غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية، ص: 181.

المطلب الثالث: إشكالية التنوين والسكون

1- التنوين:

أشار علماء العربية القدامى إلى التنوين أثناء حديثهم عن العلامات الإعرابية والبنائية منذ أول إشارة للحديث عن الصوائت العربية، حيث نبّه إليه أبو الأسود الدؤلي مع الحركات العربية الثلاث لما قال: «فإذا ضمنت شفّي بغنة فاجعل نقطتين»¹.

والظاهر من هذا القول أنّ التنوين في مفهومه التركيبي والبنائي من العلامات الإعرابية، وأنّه عبارة عن حركة قصيرة متبوعة بنون ساكنة خفية.

ولم يغب مصطلح التنوين عند الدارسين المحدثين، بل أنّهم اتفقوا حتى في تعريفه مع القدماء حيث قال إبراهيم أنيس: «التنوين حركة قصيرة بعدها نون»².

ويبدو من خلال التعريفين للتنوين التأكيد الواضح على النون الساكنة الخفية التي تلحق الصائت القصير لفظاً، وهذا على أساس أنّه: «نون ساكنة تلحق الآخر لفظاً لا خطأ ووقفاً»³.

ويعود تاريخ الإشارة إلى التنوين كعلامة صوتية مع الصوائت العربية القصيرة الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة) منذ البداية الأولى للتعقيد اللغوي لهذا الصنف من الأصوات على يد أبي الأسود الدؤلي، حيث سمّاها بالغنة، والتي سمّاها سيبويه بالنون الخفية؛ وذلك لما تحدّث عن الحروف الأصلية والحروف الفرعية⁴.

¹ أبو عمر الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص 06

² إبراهيم أنيس: أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1962م، ص 39.

³ مكّي درار: الوظائف الصوتية و الدلالية للصوائت العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة السانية، وهران،

2002م-2003م، ص 407.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 432.

أمّا سبب تسميتها بالتنوين فيما رواه جلال الدين السيوطي بقوله : «وإنّما خصّها النحويون بهذا اللقب وسموها تنويناً، ليفرقوا بينها وبين النون الزائدة المتحركة التي تكون في التنئية والجمع».¹

وفي هذا النقل عن السيوطي إشارة إلى الاختلاف بين الصوت الصامت (النون)، والنون الخفيفة (التنوين)؛ والذي يكمن أساساً في التسمية وموضع الاستعمال.

لهذا قال ابن منظور في تعريفه للغنة: «صوت في الخيشوم، وقيل صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف».²

يتضح من هذا القول أنّ التنوين والغنة يتفقان في مخرج واحد وهو الخيشوم.

ولما كان التنوين تضعيف كمي للصائت القصير، أي أنّه يتكرر بصورته البصرية في الجهاز النطقي؛ فقط استدعى ذلك التكرار إضافة صوت من جنس الصائت خطأ، وهو ما عبّر عنه أبو الأسود الدؤلي بقوله: «فاجعل النقطة نقطتين».³

أمّا من حيث الصورة الصوتية لهذا الصوت فهي ما اصطلح عليها بالغنة؛ نحو قولنا: في كتاب «كتاباً» في الصورة الخطية، و«كتابن» في الصورة النطقية.

وقد صنّف الدارسون المحدثون التنوين ضمن الأصوات الغناء وذلك: «بأن ينحبس الهواء حسباً تاماً في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف، ومن أمثال الصوائت الغناء، الميم و النون».⁴

¹ السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص: 323.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة (غنن)، المجلد الخامس، ص: 3307-3308.

³ أبو عمر الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص: 06.

⁴ محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص: 168.

ويبدو من خلال ما سبق ذكره أنّ الوظيفة الأساسية للتونين هي وظيفة صوتية تنحصر أساساً في مجال الغناء والتغني، وهو ما يوحي بتحسين الصوت وتجميله،¹ بغض النظر عن القواعد النحوية والصرفية.

¹ مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص 421-422.

2- السكون:

يعد السكون من أهم قضايا اللغة العربية التي يصعب الفصل فيها، إذ أنه يعتبر نقيضا للحركة، لهذا عبّر عن الحرف غير المتحرك بفتح أو كسر أو ضم الساكن (الحرف الصامت) ، و ذلك نحو : ب/م/ف، إذ سُمّيت صوامت لذات العلة، قال عبد الرحمان الحاج صالح: « أن الحركة تمكّن من إخراج الحرف والسكون لا يمكن من ذلك ». ¹ فالصائت بهذا المعنى يعتبر سبب رئيسي في حدوث الحرف من عدمه.

وقد وصف السيوطي أعضاء النطق حال حدوث السكون بقوله: « خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف ». ² على أساس أن الأعضاء تركز عدا مصدر حدوث الصوت الصامت.

وأشار ابن جني إلى السكون بقوله: « وأما السكون فعلى ضربين: ساكن يمكن تحريكه، وساكن لا يمكن تحريكه، الأوّل منهما جميع الحروف إلاّ الألف الساكنة المدّة، والثاني هو هذه الألف: نحو ألف كتاب و حساب و باع و قام ، والحرف الساكن الممكن تحريكه على ضربين: أحدهما ما بني على السكون، والآخر ما كان متحركا ثم أسكن ، الأوّل منهما يجيء أولا، وحشوا، وطرفا ». ³

يتضح من هذا النقل عن ابن جني أن مفهوم السكون هو الذي لا يقبل الحركة، وهذا السكون اختصت به جميع الأصوات الصامتة، إضافة إلى الألف (من الحروف)، أما الصنف الثاني فهو المسكن أو الذي يقبل التسكين، والذي تختص به جميع الحروف ماعدا الألف الساكنة المدّة.

¹ عبد الرحمان الحاج صالح ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص179-180.

² السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج1، ص270.

³ ابن جني، الخصائص، ج2 ، ص337.

ويبدو أنّ ابن جنّي قد تبع في تصنيفه هذا للسكون مذهب سيبويه الذي قسّم السكون إلى قسمين أساسيين الأول سمّاه : السكون الميّت؛ والذي اختصت به الصوائت الطويلة الثلاث (الألف والواو والياء)؛ إذا سبقت بصوائت قصيرة من جنسها، واصطُح عليها بالأصوات الميتة، أمّا الثاني: فسّماه بالسكون الحي؛ والذي اختصت به الصوائت واصطُح عليها بالأصوات الحية.¹

وقد تبع سيبويه في هذا التصنيف ابن الطحان (ت 560هـ)، في كتابه (مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ)، حين قال : « وأما حدّ السكون، فالسكون نوعان: حي وميّت، فالحي: هو الذي يتهيأ له العضو، ويأخذه، فيسمع قرعه به، مثل: (حُكْم) و(غَيْر) فأنت تجد (الكاف) و (الياء) ظاهريّ الجسم والقرع ؛ لإعمال العضو فيهما، كما يعمل في المحرك مثل: (حَكَم) و (مِيلَ)، والمتحرك حيٌّ، فكذلك السكون الذي يوجد فيه أخذ العضو إياه حيٌّ أيضاً. والسكون الميّت لا يكون إلّا في حروف المد واللّين الثلاثة، في الألف الثابتة السكون، وفي الواو بعد الضم، وفي الياء بعد الكسر».²

وعليه فالظاهر من خلال هذا النص المنقول عن ابن الطحان أنّه نظر في هذه المسألة إلى طبيعة أعضاء النطق عند إصدار الأصوات؛ حيث أنّ الصوائت سكوتها حي لاشارك أعضاء النطق في إصدارها ولديها القابلية على قبول الصائت (الحركة)، أمّا الصوائت الطويلة فسكوتها ميّت لعدم قبولها للصائت، ولا تعمل أعضاء النطق في إصدارها إلّا بشكل يسير، فهذا من منطلق الطبيعة الفيزيولوجية.

أمّا المحدثين فقد صنّف بعضهم السكون باعتباره وحدة صوتية رابعة، إضافة إلى الصوائت العربية القصيرة الثلاثة - الفتحة والضمة والكسرة - إذ يساهم في التّأليف الفونولوجي العربي،

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب ج4، ص 356، ج3 ص355، ص469.

² ابن الطحان (عبد العزيز بن علي السماقي) : مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار النشر للطباعة و النشر، عمان، الأردن، ط1، 1419هـ، 1999م، ص 58.

لما له من إمكانات الضم والكسر والفتح، لذلك عدت هذه الإمكانيات ذات قيمة على المستوى الوظيفي،¹ وذهب كمال بشر إلى أن للسكون قيمة فونيمية خاصة به، فهو يمثل فونيمًا لقدرته على التمييز بين المعاني، وله وظيفة تقارن بوظائف الصوائت القصيرة، وهذا على مستوى التركيب، غير أن هذا الفونيم يعد ثانويًا خارج التركيب². بمعنى على مستوى الأفراد.

إضافة إلى هذا فإن السكون على مستوى النظام المقطعي يؤدي دورًا أساسيًا في تأليف بعض المقاطع الصوتية على نحو المقطع الطويل المغلق بحركة قصيرة مثل: مَنَ و عَنَ، والمقطع الطويل المغلق بحركة طويلة مثل: -بَابُ- والمقطع الزائد في الطول* مثل: بِنْتُ.³

كما يعدّ وسيلة للتخلص من توالي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة؛ وهو ما يستثقل على اللسان العربي على نحو ضربت، من ضَرَبَ — ضَرَبْتَ، ضَرَبْتِ — ضَرَبْتُ.⁴

وهذا ما يسمى بظاهرة التخفيف، إضافة إلى الوظيفة النحوية الإعرابية التي يؤديها السكون (علامة الجزم)؛ وذلك في الأفعال المضارعة المجزومة نحو: (لم يكتب، لم يجد).

ولما كان السكون من ناحية النطق عدم أو لا شيء، أو ما يسمّى بحركة الصفر، وليس له أيّ تأثير سمعي؛ جاز إهماله في الدرس اللغوي، غير أن القيم الوظيفية في النظام الصوتي وما يؤديه داخل الإطار العام لأصوات اللغة العربية؛ وقواعدها النحوية والصرفية يجعل السكون جديرًا بالدراسة بوصفه من الظواهر الصوتية واللغوية ولا ينبغي الإغفال عنه.

¹ ينظر: غالب فاضل المطلي - في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية، ص 335.

² ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص 186-187.

* المقطع الطويل المغلق بحركة قصيرة: هو ما تألف من صامت + حركة قصيرة + صامت مثل: كم - هل.

المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة: هو ما تألف من صامت + حركة طويلة + صامت مثل: باب.

المقطع الزائد في الطول: هو ما تألف من صامت + حركة قصيرة + صامت مثل: زيت.

³ ينظر: رمضان عبد التواب: فصول في اللغة ص 102.

⁴ ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص 280.

وقد لخص هادي نهر مظاهر هذه القيمة فيما يلي:

- للسكون وظيفة في التمييز بين الحرف الخالي من الحركة وتظهر هذه القيمة في عين الكلمة الثلاثية، فهناك: فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ، فَعُلَ.
 - له وظيفة موسيقية في نهاية الكلمة أو الجملة، وتتجلى هذه الوظيفة في باب خاص أولاه العرب أهمية خاصة وهو باب الوقف.
 - يؤدّي السكون دورا كبيرا في تشكيل أنماط وحدات التفعيلات العروضية المبنية على أنساق صوتية (موسيقية).
 - أنه دليل إعرابي في حالة الوقف في صور نحوية خاصة.
 - للسكون إمكانية من إمكانيات البناء في اللغة، فهناك ألفاظ تلازم البناء على الفتح، أو الضم، أو الكسر، أو السكون.¹
- وعلاوة على ما سبق ذكره يظهر أنّ للسكون قيمة لغوية بفضل ما يؤدّيه من وظائف صوتية ودلالية ونحوية وصرفية في نظام اللغة العربية لا ينبغي تجاهلها، ولكن رغم ذلك فإنّ هذا لا يجعل السكون صائتا [كالفتحة والضمة والكسرة]، فلا يعدّ وحدة صائتية رابعة خلافا لما ذهب إليه بعضهم.

¹ ينظر: هادي نهر، علم الأصوات النطقي - دراسات وصفية تطبيقية - عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2011م، ص:220.

المبحث الثاني: دراسة الصوائت العربية القصيرة على مستوى التركيب

المطلب الأول: موقعية الصّوت الصّائت من الصّوت الصّامت 

المطلب الثاني: التّغيّرات النوعية التي تلحق الصوائت على 

مستوى التركيب

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لصور الإمالة بحسب تصنيف 

المحدثين

المطلب الرّابع: الظواهر الكميّة التي تلحق الصوائت العربيّة 

القصيرة على مستوى التّركيب

المطلب الخامس: المقطع الصّوتيّ (Syllable) 

المطلب الأول: موقعية الصائت من الصامت

اعتنى علماء العربية المتقدمون بالبحث في موقعية الصائت من الصامت، أهو قبله أم معه، أم بعده ؟ فجاءت أقوالهم بادئ الأمر متباينة إلى حد الاختلاف الجذري ، ولعلّ السبب في ذلك هو ما قاله أبو علي الفارسي فيما نقله عنه تلميذه أبو الفتح عثمان ابن جني من أنّه يعود إلى « لطف الأمر وغموض الحال، فإذا كان هذا أمر يعرض للمحسوس الذي إليه تتحاكم النفوس فحسبك به لطفًا، وبالتوقف فيه لبسًا ». ¹ فهذه المسألة من الدقة بحيث يصعب الوصول فيها إلى حكم نهائي.

ولخص ابن جني آراء ومواقف متقدموا علماء العربية في قوله: « أمّا مذهب سيوييه فإنّ الحركة تحدث بعد الحرف، وقال غيره معه، وذهب غيرهما إلى أنّها تحدث قبله » ². يتضح من هذا القول أنّ آراء الدارسين اللغويين لموقعية الصائت من الصامت تباينت بين ثلاث فئات :

الفئة الأولى : وترى أنّ الصائت يحدث بعد الصامت، وهو مذهب سيوييه، وحجّته في ذلك أنّ الحركة « فاصلة بين المثليين ؛ مانعة من إدغام الأول في الآخر » ³.

الفئة الثانية : وهي مذهب أبي علي الفارسي الذي يرى أنّ الحركة تحدث مع الحرف لا قبله ولا بعده، وحجّته في ذلك أنّه: « يقوي قول من قال إنّ الحركة تحدث مع الحرف أنّ النون الساكنة مخرجها مع حروف الفم من الأنف، والمتحركة مخرجها من الفم، فلو كانت

¹ ينظر: الخصائص، ج2، ص:321 .

² ابن جني: الخصائص، ج2، ص:321.

³ المصدر نفسه، ص:322.

حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة أيضاً من الأنف، وذلك أن الحركة إنما تحدث بعدها، فكان ينبغي ألا تغني عنها شيئاً؛ لسبقها هي لحركتها»¹.

الفئة الثالثة : وترى أن « الحركة تحدث قبل الحرف »²، أي أن الصائت يحدث قبل الصامت، والصائت جزء من الصوت العام، والجزء سابق للكّل في الظهور³.

وقد اعترض ابن جنّي على احتجاج الفارسي الذي خالف فيه الكثير من العلماء ممن تقدموه، أو عاصروه بقوله : « ... ورأيته معنياً بهذا الدليل ، وهو عندي ساقطٌ عن سيويه ، وغير لازمٍ له »⁴.

وفصّل ابن جنّي القول في مذهب كل فريق، وذكر احتجاجه، والناظر في كلامه يرى أنّه عند ذكر احتجاج كل فريق يبدو في عبارته وكأنّه يؤيد هذا القول، كما أن ابن جنّي أبدى تأكيداً لبطلان الرأي القائل بأنّ الصائت يحدث قبل الصامت حين قال : « اعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه، فلا يجوز وجودها قبل وجوده، وأيضاً لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلاً ، ألا ترى أنّك تقول (قطع) فتدغم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت حركة الطاء الثانية في الرتبة قبلها لكانت حاجزة بين الطاء الأولى وبين الطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية »⁵.

¹ ابن جنّي، الخصائص، ج2، ص:324 .

² المصدر نفسه، ص: 325.

³ ينظر: مكّي درار، المحمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر ، ط2 ، 2006 م، ص:102.

⁴ ابن جنّي، الخصائص، ج2، ص:324.

⁵ ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، ص:28 .

و لابن جني في هذا الموضوع واستدلاله حيزاً كبيراً من كتابيه (سر صناعة الإعراب والخصائص)، ولو أحصينا جميع أدلته في هذا المقام لاستغرق ذلك منا الكثير من الحديث ولخرجنا عن موضوعنا إلى الدخول في موضوع الإعلال والإبدال وتفصيلاته.

ويرجح أن ابن جني قد انحاز إلى مذهب سيوييه في تحديده لموقعية الصائت من الصامت مستدلاً بقوله: « فهذا كله يشهد بصحة مذهب سيوييه في أن الحركة حادثة بعد حرفها المحرك بها، وقد كنا قلنا فيه قديماً قولاً آخر مستقيماً، وهو أن الحركة قد ثبت أنها بعض حرف، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو، فكما أن الحرف لا يجامع حرفاً آخر فينشآن معاً في وقت واحد، فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرفٍ آخر في وقت واحد، لأن حكم البعض في هذا جارٍ مجرى حكم الكل¹».

وفي هذا الرأي نفي بعدم حدوث الصوت الصائت مع الصامت في آن واحد، بدليل أن الصوائت القصيرة هي أجزاء وأبعاض الصوائت الطويلة، وقد عدّ حسام سعيد النعيمي هذا القول أقوى حجج ابن جني في هذا الجانب²، حيث قال: « والأدلة التي ساقها ابن جني لإثبات كون الحركة بعد الحرف أدلة قوية من حيث الشواهد اللغوية، أو من حيث المنطق والعقل، إلا أننا نعتقد أنه لو اتجه اتجاهها صوتياً محضاً؛ واكتفى بالحجة التي أشرنا إلى أنها أقوى حججه لأغناه ذلك عما استدل به، فالحركات صوائت قصيرة مجهورة، فكل منها صوت قائم بنفسه، وأي حرفٍ من حروف المعجم صوتٌ مستقلٌ أيضاً، فكيف يتصور خروج صوتين مستقلين في آن واحد. وقد يكون الصامت مهموساً، فيختلفان حينئذ مخرجاً وصفة³».

ويبدو من هذا النقل عن حسام سعيد النعيمي استحالة اجتماع الصوت الصائت مع الصامت في وقت واحد؛ باعتبار أن كل منهما صوت قائم بذاته.

¹ ابن جني: الخصائص ج2، ص: 327.

² ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 334.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 335.

ومن علماء التجويد نجد عبد الوهاب القرطبي رغم نقله لأدلة ابن جني، ومناقشته الموضوع على نحو ما ناقشه؛ فإنه قد نبه على ملاحظة تتعلق بتتابع الصامت والحركة في درج الكلام، حيث قال: «ومما يبينه أيضاً أنّ الحركات الثلاث إنّما عملهن بالفم، فإذا ضمته حدث الضم، وإن كسرتة حدث الكسر ومتى فتحتة حدث الفتح، وفي حال تحريك الحرف بالضم يكون اللافظ به قاطعاً للصوت على مخرج الحرف وضاماً شفثيه معاً في حالة واحدة، من غير أن يتخلل بينهما زمان محسوس، وكذلك في حال كسر الحرف يكون كاسراً بفمه مع قطع الصوت على مخرج الحرف المكسور، وكذلك في حال الفتح يكون قاطعاً للصوت على مخرج الحرف مع فتح فمه من غير فصلٍ بينهما، وهذا دليلٌ على أنّ الحركة تحدث مع الحرف المتحرك من غير تقدمٍ عليه ولا تأخر عنه»¹.

واستناداً إلى هذا النقل عن عبد الوهاب القرطبي يبدو أنه يتفق مع مذهب أبي علي الفارسي إلى حد ما، وفي الوقت ذاته لا يخرج عما قاله ابن جني، فالتتابع الصوتي للصامت والحركة يجعل إمكانية الفصل بينهما صعبة، فيظهران كالأشياء الواحد، رغم ما بينهما من فرق، بدليل ما ساقه القرطبي من براهين تتعلق بالأداء.

ولعلّ المتأمل في كلام القرطبي يجد أنّ ملاحظته دقيقة إلى حدّ كبير، فأعضاء النطق عند التلفظ بالقاف في مثل: قُرب، وقول، وقسم، تتخذ أشكالاً معينة، تختلف في الكلمة الثانية عن الكلمة الأولى وكذلك الحال بالنسبة للكلمة الثالثة، فهي تختلف عن الكلمتين الأولى والثانية على الرغم من أنّ الكلمات الثلاث تتفق في البدء بصوت القاف، فحين نطق الكلمة الأولى نجد أنّ الناطق يضم شفثيه في الوقت نفسه الذي يبدأ بنطق صوت القاف، بينما يفتح شفثيه في الكلمة الثانية، ويكسرهما في الكلمة الثالثة، وهذا إنّما يدلّ على شدة اتصال الحركة بالحرف، حتى إنّ أعضاء النطق تنهياً لنطق الصوت الثاني، وهو الراء في كلمة (قُرب)، والواو

¹ عبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد، ص: 75.

في كلمة (قول)، والسين في كلمة (قسم)، قبل الفراغ من نطق الصوت الأول، وهذا التداخل يؤدي إلى حدوث التأثير بين الأصوات المتجاورة¹.

ومن الفلاسفة المسلمين نجد الفخر الرازي يبدي برأيه في موقعية الصامت من الصائت والممثل في قوله أن: «الحركة الإعرابية متأخرة عن الحرف تأخراً بالزمان، ويدل عليه وجهان: الأول أن الحروف الصلبة كالباء والتاء والذال وأمثالها إنما تحدث في آخر زمان حبس النفس وأول إرساله، وذلك أن فاصل ما بين الزمانين غير منقسم، والحركة صوت يحدث عند إرسال النفس، ومعلوم أن ذلك الآن متقدم على ذلك الزمان، فالحرف متقدم على الحركة، الثاني: أن الحروف الصلبة لا تقبل التمديد، والحركة قابلة للتمديد، فالحرف والحركة لا يوجدان معاً؛ لأن الحركة لا تتقدم على الحرف، فبقي أن يكون الحرف متقدماً على الحركة»².

ويبدو من خلال هذا الطرح أن الرازي قد اقتفى أثر ابن جنّي في استدلاله على أن الصوت الصامت يأتي في المرتبة بعد الصامت، وهذا استناداً على الفاصل الزمني الذي يفصل بين فترة أداء كل منهما، إذ أن الصامت يحدث آخر زمن الاعتراض لممر الهواء أثناء النطق به، في حين يحدث الصوت الصائت عند لحظة إرسال النفس.

ويبدو من جميع الأقوال السالفة الذكر أن الرأي الراجح في مسألة موقعية الصامت من الصائت، هو رأي سيوييه، والذي عليه أكثر علماء العربية من بعده أمثال ابن جنّي.

كما أنه يمكن تسجيل ميل الدارسين المحدثين لهذا الرأي، أمثال حسام سعيد النعيمي بقوله: «والأدلة التي ساقها ابن جنّي لإثبات كون الحركة بعد الحرف أدلة قوية من حيث الشواهد اللغوية أو من حيث المنطق والعقل، إلا أننا نعتقد أنه لو اتجه اتجاهها صوتياً محضاً، و اكتفى بالحجة التي أشرنا إلى أنها أقوى حججه لأغناه ذلك عما استدل به، فالحركات صوائت

¹ ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 495.

² الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1، ص: 53-54.

قصيرة، فكل منها صوت قائم بنفسه، وأي حرف من حروف المعجم صوت مستقل أيضا فكيف يتصور خروج صوتين مختلفين في آن واحد، وقد يكون الصامت مهموسا فيختلفان مخرجا وصفة»¹.

وبالتالي فالاختلاف بين بعض الأصوات في الهمس مقابل صفة الجهر التي تتصف بها الصوائت الصامته من أقوى الأدلة على حدوث الصوت الصائت بعد الصامت.

وعليه فهذا الرأي هو الذي رجحه الكثير من المحدثين من خلال حديثهم عن المقطع، الصوتي في الكلام، إذ يرى عبد الصبور شاهين أنّ الكلام في العربية لا يبدأ بحركة، وإّما بصوت صامت، والحركة تأتي بعده، أي صامت + حركة (ص+ح)، وهذا هو الأساس²، على نحو ما يأتي تفصيله في دراسة المقاطع الصوتية.

¹ حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني، ص: 335.

² عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 41.

المطلب الثاني: التغيرات النوعية التي تلحق الصوائت على مستوى

التركيب

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول أثناء تتبعنا للدراسة التاريخية للصوائت عند علماء التجويد إلى بعض التغيرات الصوتية التي تطرأ على الصوائت الأصول، حيث تتشكل منها صوائت وفروع ناتجة عن تنويعات نطقية عند بعض اللهجات، فهي مجرد « أصوات فرعية بسبب أنها نشأت من جراء تعامل أصوات المد العربية الأساسية فيما بينها في هذه اللهجات ، ولم تستقل هذه الأصوات يوماً ما؛ لتعبر عن قيم فونيمية خاصة بها، بل بقيت صورة نطقية حسب، تميز لهجة من لهجة أخرى من غير أن تثير إشكالا دلاليا»¹.

ويمكن حصر التغيرات النوعية التي تلحق الصوائت من خلال ما يلي: التفخيم ويقابله الترقيق، الإمالة ويقابلها الفتح، وهذه الظواهر تكاد تنحصر في الألف وأختها الفتحة، أما الواو والياء وأختاهما الضمة والكسرة ، فإنهما أقل تأثراً.

¹ غالب فاضل المطلي: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد، ص:162.

1- الترقيق والتفخيم: يراد بالترقيق: « الأثر السمعي الناشئ عن عدم تراجع مؤخرة اللسان؛

بحيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت»¹، وعدم التراجع هذا يؤدي إلى صغر فراغ الفم عند نطق الصوت، مما يؤدي إلى اختلاف حجرة الرنين، وبالتالي ظهور صوت يختلف عن غيره، وهو الصوت المرقق.

أما التفخيم فهو: « الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان، بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت»².

وقد ورد مصطلح التفخيم عند علماء اللغة المتقدمين في مقابل مصطلح الإمالة، ولكنهم لم يتطرقوا إلى ذكر مصطلح الترقيق، حيث أشار سيبويه إلى ألفٍ فرعية سمّاها ألف التفخيم، بقوله: « وألف التفخيم، يُعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة»³. فألف التفخيم هنا ظاهرة صوتية نوعية تتبع لهجة معينة، وهي لهجة أهل الحجاز، ولذلك عدّها سيبويه من الفروع.

وفي هذا السياق نجد ابن جني قد أوضح العلاقة بين ألف التفخيم، وبين الحركة التي تمال نحو الضمة، فألف التفخيم هي: « التي تجدها بين الألف والواو، نحو قولهم: سلامٌ عليك، وقام زيدٌ، وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحياة بالواو لأنّ الألف مالت نحو الواو»⁴.

¹ عبد العزيز سعيد: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000م، ص:150، وينظر: عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، بغداد، د.ط، 1966م، ص: 105.

² عبد العزيز سعيد: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 145، وينظر عبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة، ص:105.

³ سيبويه: الكتاب ج 4، ص: 432.

⁴ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 50.

أمّا الفتحة الممالة نحو الضمة فهي التي: « تكون قبل ألف التفخيم ، وذلك نحو: الصلاة، والزكاة، ودعاً وغزاً، وقام، وصاغ، وكما أنّ الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هي مشوبة بشيء من الضمة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة؛ لأنّها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها»¹.

فحكم تفخيم الألف هنا من الأمثلة الواردة في « الصلاة، الزكاة... » كونها مسبوقة بحركة من جنسها، وما كان متفرعاً عنها فهو في حكم الأصل، على ما ذكرناه سابقاً، فالألف يفخم بعد حركة مفخمة، وهي الفتحة.

والجدير بالذكر أنّ من الدارسين من احتمل للألف وجهين في صورة واحدة : إمّا (الإمالة والتفخيم)، وإمّا (الإمالة والترقيق)، ويدل على ذلك قول الرضوي الاستربادي: « وإنما تسمى إمالة إذا بالغت في إمالة الفتحة نحو الكسرة، وما لم تبلغ فيه يسمى (بين اللفظين) و(ترقيقاً)، والترقيق إنّما يكون في الفتحة قبل الألف فقط»². والألف يمكن أن تقع بين الألف الخالصة، وبين الياء.

وقد أشار إلى هذه التغيّرات أبو البركات ابن الأنباري في كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾³، حيث قال: «(حمارك) يقرأ بالتفخيم والإمالة، فمن قرأه بالتفخيم فعلى الأصل، ومن قرأه بالإمالة فلكسرة الراء بعد الألف»⁴.

والذي يظهر من خلال هذا القول هو أنّ الألف هنا تحتل الوجهين (التفخيم والإمالة)، وكلاهما حجته صحيحة في القراءة.

¹ ابن جني: سر صناعة الإعراب ج 1، ص: 52.

² الرضوي الاستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص: 04.

³ سورة البقرة، الآية 259.

⁴ أبو البركات ابن الأنباري: البيان في غريب القرآن، ج 1، ص: 171، تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، دار الكتاب العربي، مصر، دط، 1969 م.

أمّا من حيث مواضع التفخيم والترقيق، فالتفخيم يرد مع الأصوات المفخمة، ولعلّ هذا ما يوافق قول محمد المرعشي في كتابه « جُهدُ المُقلِّ »: « ولعل الحق أن الواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم »¹.

التفخيم عند المحدثين *Vélarisation*:

عبارة عن «أثر سمعي ينتج عن عوامل فيسيولوجية متداخلة ندرك منها عاملين مهمين، أوّلهما: ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك، أو (الحنك اللين)، فيحدث تغيير في التجويف الفموي، محدثا رنيناً مسموعاً، ثانيهما: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث له في أثناء النطق بالأصوات المرققة»².

يتضح من خلال القول أنّ التفخيم ظاهرة فيزيولوجية خاضعة لجانبين اثنين هما:

1- الجانب النطقي (العضوي): وهو موضع اللسان وما يتبعه في الفم.

2- الجانب السمعي: يدرك أثناء السمع (ناتج عن النطق).

والسبب في ذلك يعود أساساً إلى « توتر نسبي في أعصاب الرقبة، ورمزه في الكتابة الصوتية ~ ، ملحقاً برمز الصوت المرقق المقابل له، فالصاد مثلاً رمزه: ~ في مقابل S لنظيره المرقق وهو السين»³.

ومصطلح التفخيم هو الأكثر شيوعاً عند الكثير من المتأخرين، خاصة عند القراء أمثال ابن الجزري الذي وظف هذا المصطلح توظيفاً واسعاً، وذلك حينما بيّن أنّ التفخيم مقصور على حروف الإطباق الأربعة، حيث قال: « وقيل حروف التفخيم، وهي الإطباق»⁴.

¹ محمد المرعشي: بيان جهد المقل، ص: 154.

² كمال بشر: علم الأصوات ص: 394.

³ المرجع نفسه، ص: 394.

⁴ ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 30.

وإذا كان يقابل الإطباق الانفتاح، والتفخيم يقابله الترقيق، فيمكننا القول بأن المصطلحين الأولين يشيران إلى العملية الفيزيولوجية عند النطق، أما مصطلحي "التفخيم و الترقيق" فيشيران إلى الأثر السمعي الناتج عن هذا النطق.

وفي هذا الإطار لم يختلف الدارسون المحدثون في تصنيفهم لصفة الصوائت من حيث التفخيم والترقيق؛ حيث أسندوها لطبيعة الصامت الذي تقترن به، قال كمال بشر: « الفتحة قد تكون مفخمة، وقد تكون مرققة، وقد تكون بين التفخيم والترقيق، فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والحاء والغين، ولكنها مرققة في المواقع الصوتية الأخرى، فلدينا إذن بحسب النطق الفعلي ثلاث صور للفتحة القصيرة ومثلها للفتحة الطويلة، فهي إذن ست صور نطقية للفتحة قصيرة وطويلة»¹.

ثم يضيف قائلاً عن الكسرة والضمة: «وما قلناه عن الفتحة ينطبق على الكسرة والضمة (طويلة وقصيرة)، فهما مفخمتان مع أصوات الإطباق، وبين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والحاء، ولكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى، فلدينا ثلاث كسرات قصار وثلاث طوال، وثلاث ضمات قصار وثلاث طوال، فالحركات العربية إذن بهذا النظر السياقي ثماني عشر حركة»².

بناء على ما تقدّم يبدو أن ظاهرة التفخيم أو الترقيق بالنسبة لكل صائت قصير مردها خاصية الصوت الصامت الذي تقترن به؛ وهذا تبعا لثلاث مواضع :

1. مفخم مع أصوات الإطباق (الصاد و الضاد و الطاء و الظاء).

2. بين التفخيم و الترقيق (القاف و العين و الحاء).

3. مرقق (مع باقي الأصوات).

¹ كمال بشر: علم اللغة العام (قسم الأصوات)، ص: 462 .

² المرجع نفسه، ص : 462 .

والأمر نفسه يُطبَّق على الصوائت الطويلة؛ حيث يعتريها ما يعتري نظيرتها القصيرة من تفخيم أو ترقيق أو بين بين، وعلى هذا الاعتبار وبحسبان الطول والقصر عدّ كمال بشر الصوائت العربية ثماني عشر حركة.

بينما فصل غانم قدوري الحمد الخلاف بين القدماء والمحدثين في نقطتين أساسيتين:

الأولى: اعتبار الحركات بين الترقيق والتفخيم بعد القاف والغين والخاء لدى المحدثين، بينما هي مفخمة لدى علماء التجويد، وهو ما يقرب بين وجهة نظر الطرفين.

والنقطة الثانية: شمول الضمة والكسرة وواو المد وياؤه بأحكام الترقيق والتفخيم لدى المحدثين، بينما كان كلام علماء التجويد يدور بشكل أساسي حول الفتحة والألف، لأنه أكثر ظهوراً فيهما¹.

¹ ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 404-405.

2 – الإمالة والفتح:

تعد الإمالة من الظواهر النوعية التي تلحق الصوائت العربية عند وقوعها في التركيب، وقد أولاهها علماء العربية والتجويد عناية كبيرة - مثلما لاحظنا في المبحث الثاني من الفصل الأول، حيث اعتبرها القراء وجها لقراءة قرآنية، فأولوها عناية من الدرس مستشهدين في ذلك بمذاهب القراء وآرائهم وحججهم بشأنها.

ولقد تعددت تسميات الإمالة عند علماء العربية القدامى؛ حيث سماها سيبويه - بالإضافة إلى تسميته إياها بالإمالة - (الإجناح)¹، واعتبرها ابن جني جزءاً مما سماه (المضارعة) و (التجانس)، وعبارته في ذلك مشهورة، حين قال: «واعلم أنك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف، فقد تجده أيضاً بين الحركات، حتى أنك تجد الفتحة مشوبة بشيءٍ من الكسرة أو الضمة منحوا بها إليهما»².

وقال بعد أن عرّف الإمالة، وضرب لها أمثلة بفتحة عين (عابد)، (عارف): «وذلك لضربٍ من تجانس الصوت»³.

أمّا من حيث الفائدة من الإمالة فهي كما قال ابن الجزري: «سهولة اللفظ، وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال. وأمّا من فتح، فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل»⁴.

لهذا انحصرت فائدة الإمالة في النطق، كون العربي من طبعه أنّه يميل إلى السهولة في الأداء النطقي؛ بهدف الاقتصاد من الجهد العضلي لجهاز النطق.

وترتبط الإمالة ببعض اللهجات العربية وبعض القراءات القرآنية، وقد لقي البحث في هذا الموضوع اهتماماً من قبل كثير من علماء العربية قديماً وحديثاً، فخصصوا له فصولاً

¹ ينظر سيبويه: الكتاب، ج 3، ص: 278.

² ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 51.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص: 52.

⁴ ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج 2، ص: 35.

ومباحث في كتبهم ، بل إنَّ بعض العلماء قد تجاوز ذلك إلى وضع كتاب مستقل في هذا الموضوع ، كما فعل عبد المنعم بن غلبون (389 هـ) الذي ألف كتاب (الاستكمال في التفخيم والإمالة، وأبو عمرو الداني الذي ألف كتاب (الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة)، وابن القاصح الذي ألف كتاب (قرّة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين)¹ . أمّا الفتح: فهو مصطلح مقابل للإمالة وسمي أيضا: بالنصب، أو الانتصاب،² والتفخيم³ ، ونجد كذلك مصطلح ترك الإمالة⁴ ، ومصطلح الفتح هو من مصطلحات سيبويه التي تبعة عليها العلماء فيما بعد.

وقد عدّ علماء التجويد الفتح هو أصل الكلام، قال مكّي ابن أبي طالب : « اعلم أنّ أصل الكلام كلّ الفتح، والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللّغات لعلّة ، والدليل على ذلك أنّ جميع الكلام ، الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه، في بعض اللّغات، لعلّة، فالأصل ما عمّ وهو الفتح»⁵ .

ويتجلى من هذا النقل عن مكّي بن أبي طالب أنّ الأصل في الكلام هو الفتح، أمّا الإمالة فهي فرع من فروع الكلام، بمعنى أنّها إحدى الصور النطقية أو الظواهر اللهجية.

وقد أشرنا سابقا في هذا المجال إلى أنّ الفتح يُنسب إلى لغة أهل الحجاز، أمّا الإمالة، فنُسبت إلى لغة قبائل نجد، قال ابن يعيش : « الإمالة لغة تميم ، والفتح لغة أهل الحجاز»⁶ .

لذا صُنّفت القبائل العربية إلى شعبتين : الأولى تؤثر الفتح، أو بعبارة أخرى لا تستقيم ألسنتها بغيره، أمّا الشعبة الثانية فقد شاعت فيها الإمالة⁷ .

¹ ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 371، (هامش 5) .

² ينظر: المرجع نفسه، ص 387 — 388.

³ ينظر: الاسترأبادي (رضي اللّدين محمّد بن الحسن): شرح شافية ابن الحاجب، ج 3، ص 255.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 129، وبنظر: المرّاد (أبو العبّاس محمّد بن يزيد): المقتضب، ج 3، ص: 42 .

⁵ مكّي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج 1، ص: 168.

⁶ ابن يعيش: شرح المفصل، ج 9، ص: 54.

⁷ إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ، ص: 53.

ونلخص إلى أن الفتح والإمالة مصطلحان متقابلان، فالأوّل يدل على الألف في حالتها الطبيعية، وتسمّى بالألف المعتادة، أمّا المصطلح الثاني (الإمالة) فهو يدل على تعيّر صوتي في نطق الألف يجعلها أقرب إلى صوت الياء.

مسألة الأصلية والفرعية بين الفتح والإمالة:

عالج علماء العربية والقراءات إشكالية الأصل والفرع بخصوص الإمالة والفتح، أيّهما الأصل والفرع الإمالة أم الفتح؟

فالأصل في لغة الحجازيين الفتح، والغالب على لغة بني تميم وغيرهم الإمالة، وكلاهما فصيح مستعمل، غير أن الدارسين اللغويين وعلماء القراءات فصلوا في الأصل والفرع بين الإمالة والفتح، واتفق جلّهم على أصالة الفتح وفرعية الإمالة، واستدل أبو عمر الداني في هذا على أن: «الإمالة لا تكون إلاّ عند وجود سبب... فإن فقدت تلك الأسباب، لزم الفتح، وإن وجد شيء منها، جاز الفتح والإمالة، فعلى هذا فما من كلمة تمال إلاّ وفي العرب من يفتحها، ولا يصح أن يقال: كل كلمة تفتح ففي العرب من يميلها»¹.

ويمكن لنا أن نقول بأنّ هذا الترجيح يبقى نسبياً، إذ نجد من خلال التتبع والاستقراء أنّ كثيراً من قبائل العرب الأصل في لغتها الإمالة والفتح عارض.

¹ عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد أبي محمد المالكي الشهير بـ (المالقي): شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م، ص: 458-459.

الإمالة عند المحدثين:

شغل موضوع الإمالة اهتمام الدارسين اللغويين المحدثين، فهي عندهم عبارة عن «ضرب من ضروب التأثر الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاور أو تتقارب، وهي والفتح صائتان، وقد يكونان طويلين أو قصيرين»¹.

والإمالة والفتح كما يراهما المحدثون من علماء الأصوات اللغوية: «صوتان من أصوات اللين، سواء كانا قصيرين أو طويلين»².

وقال جان كانتينو معرفاً بالإمالة بأنها: «نطق الفتحة (قصيرة كانت أو طويلة) نطقاً أمامياً»³.

وقال إبراهيم أنيس: «اللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى، بدأ حين إذن ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه أوّل اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى، وهو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة، فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة»⁴.

يتضح من الأقوال السالفة الذكر أنّ الإمالة صوت من أصوات اللين، كما أنّ الفرق بينها وبين الفتح ليس اختلافاً إلاّ في وضع اللسان في كلّ منهما؛ حين النطق بهذين الصوتين، و اللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح.

ولمّا كان الفرق بين أصوات اللين القصيرة والطويلة يكمن في الكمية فقط، فلا فرق بين أنّ تمال الفتحة أو تمال ألف المد، لأنّ العملية العضوية في الحالتين واحدة.

¹ عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: 137.

² إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص: 56.

³ جان كانتينو: دروس في علم الأصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2007م، ص: 156.

⁴ إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص: 57.

أقسام الإمالة:

تنقسم الإمالة إلى قسمين أساسيين:

1-إمالة شديدة: ومعناها أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا، ويقال لها المحضنة والإضجاع، وربما قيل لها الكسر.

2-إمالة متوسطة: وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء قليلا، وهي بين اللفظين، ويقال لها أيضا التقليل والتلطيف وبين بين¹.

قال ابن يعيش: «وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها»².

وتجدر الإشارة إلى أن الإمالة الشديدة هي المرادة عند الإطلاق، بشرط اجتناب القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه³.

كما عالج الدارسون المحدثون الإمالة، وحددوا موقعها ضمن الحركات المعيارية، قال إبراهيم أنيس: «فإذا كانت الإمالة شديدة، أمكن أن تكون الفتحة قريبة الشبه بالمقياس (e) ، أمّا في الإمالة الخفيفة، فيظهر أن الفتحة حينئذ تشبه إلى حد كبير المقياس (E)»⁴.

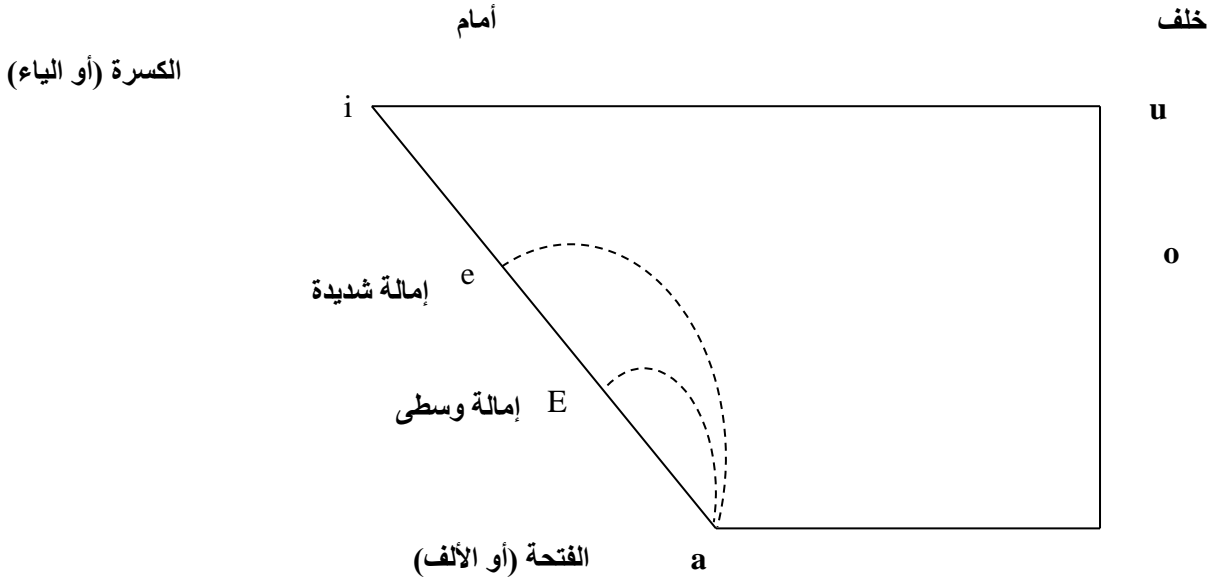
والشكل التالي يبين درجات الإمالة على جدول الحركات المعيارية:

¹ ينظر: عبد العزيز علي سفر: الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية، ج1، ص:118-119.

² ابن يعيش: شرح المفصل، ج5، ص:188.

³ ينظر: عبد العزيز علي سفر: الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية، ج1، ص:119.

⁴ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص:41.



يتضح من خلال القول والشكل الممين أعلاه أنّ الإمالة من الناحية الصوتية تنحصر في المنطقة الأمامية، فهي ليست إلاّ عبارة عن تغيير نقطة مخرج الحركة المنفتحة تغيراً طفيفاً.

أسباب الإمالة:

تعدّدت آراء الدارسين اللّغويين بشأن أسباب الإمالة، ومع ذلك يتفق أغلبهم على أنّها تعود لسببين اثنين هما الكسرة والياء.¹

أمّا سببويه فقد حصر أسباب الإمالة في ستة مواضع، جاء في كتاب الهمع للسيوطي: «وأسباب الإمالة فيما ذكر أبو بكر ابن السراج استخراجاً من كتاب سببويه ستة وهي: كسرة تكون قبل الألف وبعدها، وياء قبلها، وانقلاب الألف عن الياء، وتشبيه الألف بالألف المنقلبة عن الياء، وكسرة تعرض في بعض الأحوال وذلك ما لم يمنع من ذلك مانع»².

¹ ينظر: إبراهيم أنيس: في اللّهجات العربية، ص: 47. وينظر عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الإحتجاج للقراءات القرآنية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، ط 1427، 1هـ، 2006م، ص 183.

² السيوطي: الهمع، ج 2، ص: 20، نقلاً عن عبد العزيز علي سفر، الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية، ج 1، ص:

- وقد حصر الدارسون المحدثون أسباب الإمالة في عشرة علل نجملها كالآتي:
- 1- كسرة متقدمة، ولا بد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل، وأقله حرف واحد مفتوح نحو: كِتَابٌ و حِسَابٌ، وأمّا الفتحة الممالة، فلا فاصل بينها وبين الكسرة.
 - 2- ياء متقدمة، نحو: أَيَّامًا، الحِياة، شِيبان.
 - 3- كسرة متأخرة نحو: عابِد، عالم، من الناسِ، في النارِ.
 - 4- ياء متأخرة نحو، مَباعٍ.
 - 5- كسرة مقدرة في المحل الممال نحو: "خاف" أصله: خوِف.
 - 6- ياء مقدرة في المحل الممال نحو: يخشى، أتى.
 - 7- كسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة نحو: طاب، جاء، زاد... لأنّ الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث، فتقول مثلاً: أنا جِئْتُ، وأنتَ جِئْتَ، وهن جِئْنَ.
 - 8- إمالة لأجل إمالة نحو: "رأيت عماداً"، فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة.
 - 9- إمالة لأجل الشبه نحو: "الحسنَى"، قالوا: إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف "الهدى".
 - 10- إمالة لأجل كثرة الاستعمال نحو: الناس.¹
- أمّا عبده الراجحي فقد اعتبر أنّ أسباب الإمالة السالفة الذكر، تخضع للتأثر الرجعي أو التقدمي أو كليهما، فالإمالة للكسرة والياء المتقدمتين تأثراً تقديمياً، إذ يتأثر الصوت الثاني بالأوّل، والإمالة للكسرة والياء المتأخرتين تأثراً رجعياً، إذ يتأثر الأوّل بالثاني²، ويرى المالقي أنّه: «متى كان سبب الإمالة موجوداً في اللفظ، فإنّ الإمالة أقوى مما إذا كان السبب مقدراً، و

¹ ينظر: عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص: 136-137.

² ينظر، المرجع نفسه، ص: 137.

الإمالة لسبب مقدم أقوى منها لسبب متأخر، ومتى كان الفصل بين السبب ومحل الإمالة أقل، كانت الإمالة أقوى، والإمالة للكسرة اللازمة أقوى من الإمالة للكسرة العارضة»¹.
يتضح من خلال هذا النقل، أنّ شدة الإمالة تكون بحسب القرب أو البعد من المؤثر (الياء أو الكسرة)، فكلّما كانت قريبة منه كانت شديدة، مثل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾²، وكلّما ازداد عدد الفواصل بينها وبين المؤثر خفت الإمالة.

¹ المالقي: شرح كتاب التيسير للداني، ص: 458-459.

² سورة الضحى، الآية: 01.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لصورة الإمالة بحسب تصنيف

الدارسين المحدثين

بعد أن حصرنا أسباب الإمالة التي صنّفها الدارسون المحدثون يحسن بنا أن نورد بعض النماذج حسب كل سبب:

1-إمالة بسبب الكسرة المتقدمة:

ومن مواضع ورودها في مثل: "كلاهما" من قوله تعالى: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا﴾¹، وقد وردت عند حمزة و الكسائي إذ «أمالاه للكسرة التي على الكاف، ولم يعتد باللام، لأنّ الحرف الواحد لا يمنع ولا يحجز»². وهذا ما يثبت أنّ علّة الإمالة هنا هي الكسرة الواردة قبل الألف، ولأجل ذلك أميلت الألف من "كلاهما" إلى الياء. وقد ذكر ابن الجزري أنّ العرب أمالت الألف للكسرة التي قبلها، وقد حال بينهما حرفان نحو قولهم: (لن تضربها، وتريد أن تتزعا)، فأمالوا الألف لعلّة الكسرة السابقة لها، ولم يعتدوا بالهاء لخفائها، ولا بالباء ولا بالعين، باعتباره حرف واحد، فكأّتهم قالوا: (لن تضربا، و تريد أن تتزعا). واعتبر ابن الجزري بذلك أنّ الهاء لغو وحرف لا يحجز³.

¹ سورة الإسراء، الآية : 23.

² أبو محمد مكّي ابن أبي طالب القيسي: الكشف عند وجوه القراءات السبع و عللها و حججها، تحقيق محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، دط، 1974، ج1، ص: 168.

³ ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 59.

2-إمالة بسبب الياء المتقدمة:

وذلك في "طغيانهم" من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾¹، جاء في إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أنه: «أمال (طغيانهم) الدوري عن الكسائي، وفتحها الباقون»².
أمّا علّة الإمالة هنا فترجع إلى الياء التي وردت قبل الألف.

3-الإمالة للكسرة المتأخرة:

ومن أمثلة ذلك "النار" من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³، و "النهار" من قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁴.

ذكر مكي ابن أبي طالب القيسي، أن الإمالة في هذين المثالين، وردت عند أبي عمرو البصري و أبو عمر الدوري، أمّا العلّة في ذلك فإنّها: « لما وقعت الكسرة بعد الألف، قرب الألف نحو الياء لتقرب من لفظ الكسر، لأنّ الياء من الكسر، ولم يمكن ذلك حتى قربت الفتحة التي قبل الألف نحو الكسر، فحسن ذلك ليعمل اللسان عملاً واحداً مستقلاً، فذلك أخف من أن يعمل متصعداً بالفتحة والألف ثم يهبط متسفلاً بالكسرة»⁵.
وفي هذا القول إشارة واضحة لإمالة فتحة النون إلى الكسرة، والألف نحو الياء من المثالين "النار" و "النهار"، لتيسير عمل اللسان وتسهيل النطق بالكلمات.

¹ سورة البقرة، الآية: 15.

² أحمد بن محمد البنا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمى منتهى الأماني و المسرات في علوم القراءات، تح شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ج1، ص: 380.

³ سورة البقرة، الآية: 39.

⁴ سورة البقرة، الآية: 164.

⁵ مكي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج1، ص: 170-171.

4-إمالة لأجل الياء بعد الألف:

تمال الألف إذا ورد بعدها ياء، ومن أمثلة ذلك: قولهم: مبايع، وهداي، ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله عزّ وجل: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾¹، وقوله جلّ ثنائه: ﴿إِنَّهُ وَرَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾².
فالألف من "هداي" تمال لعلّة الياء الواردة بعدها.

وقد ذكر الداني أنّ الكسائي يقرأ بالإمالة في رواية الدوري، نحو قوله تعالى: "هداي"، و"مثنوي" و"محيي" و"رؤياك" في أوّل سورة يوسف³ من قوله عزّ وجل: ﴿قَالَ يَبْنَئَ لَأَ تَقْصُصَ رِئَايَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾⁴.

5-إمالة لأجل الكسرة المقدرّة في المحل الممال:

وذلك نحو: "خاف" بكسر عين الفعل المقدرّة، وهي الواو، فقلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها⁵، جاء في الكتاب: «أمّا إمالة خاف، فلأنّه على فَعِلَ، والأصل "خَوِفَ"، فللكسرة المقدرّة في الألف، جازت إمالته، ويكسر أيضا إذا جعلت الفعل لنفسك فقلت: خِفْتُ، وكل ما كان في فعل المتكلم مكسورا جازت إمالته من ذوات الواو أو من ذوات الياء»⁶.

ويتضح مما سبق أنّ الإمالة في ألف "خاف" ترجع لسببين اثنين:
الأوّل: الكسرة المقدرّة في عين الكلمة، بكسر الواو المقدرّة "خَوِفَ".

¹ سورة طه، الآية: 123.

² سورة يوسف، الآية 23

³ أبو عمر عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1404هـ، 1984م، ص42.

⁴ سورة يوسف، الآية 05.

⁵ ينظر: أبو محمد المالكي (المالقي): شرح كتاب التيسير للداني، ص: 458.

⁶ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 121.

الثاني: أن الفعل (خاف)، من الأفعال التي تمال فيها الألف، فتدل الإمالة على أن الأول منها - الأفعال - مكسور عند الإخبار بها (نحو: جاء ← جئت، شاء ← شئت، زاد ← زدت)، فلأجل الكسرة المقدرة قبل الألف حصلت الإمالة.

ومن أمثلة إمالة "خاف" في القرآن الكريم، قوله جل ثناؤه: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹.

ومن أوجه القراءة بالإمالة هنا، ما ذكره أبو حيان في تفسير البحر المحيط أنه: «أمال حمزة خاف»²، أي أنه قرأ "خاف" بإمالة الألف نحو الياء.

6- إمالة بسبب الياء المقدرة في محل الممال:

ومن أمثلة ذلك: "أتى، استوى، استسقى، طغى"³، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁴.

جاء في تفسير البحر المحيط: «استوى، أهل الحجاز على الفتح، ونجد على الإمالة»⁵، وقال مكي بن أبي طالب: «على هذه العلة تجري أكثر الإمالات»⁶.

كما ذكر أيضا أن هذه الظاهرة يميلها «حمزة و الكسائي، ليدلا على أن الألف قد صارت في حكم ما أصله الياء»⁷.

¹ سورة البقرة، الآية: 182.

² محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ج2، ص: 28.

³ لا تقتصر الإمالة في مثل هاته الحالة على الأفعال، بل حتى في الأسماء أيضا، و ذلك نحو: الهدى، فتى، موسى، يحيى، مجرى، منهى، العلى...

⁴ سورة البقرة، الآية: 29.

⁵ أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج1، ص: 280.

⁶ مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص: 177.

⁷ المصدر نفسه، ج1، ص: 178.

فلما كان أصل الألف الياء من "استوى"، وجبت الإمالة لتدل على أصل الألف، وكان حكمها بذلك ما أصله الياء، فينحون بالألف نحو أصلها -وهو الياء-، ولا يمكن ذلك حتى ينحوا بالفتحة التي قبلها نحو الكسرة.¹

وأشار ابن الجزري إلى أن ورشا يقرأ الألف بين اللفظين، على التوسط، لا ممال ولا مفتوح²، ويسمى أيضا التقليل.

7- إمالة لكسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة:

وهذا ما تفرّد حمزة بإمالاته في عينات الأفعال، وذلك نحو: زاد، جاء، طاب...، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾³. وقد علل مكي ابن أبي طالب إمالة الأفعال السالفة الذكر لعلل ثلاث:

الأولى: أن أوائلها تنكسر عند الإخبار عن المتكلم نحو قولنا: "جئت، زدت، شئت".

الثانية: أن عيناتها كلها أصلها الياء.

الثالثة: أن العين في المستقبل في جميعها مكسورة.⁴

لذلك قويت الإمالة فيها لاجتماع هذه العلل الثلاث.

8- إمالة لأجل إمالة:

ومثال ذلك "ترأى" من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾⁵، حيث أمليت الألف الأولى من أجل إمالة الألف الثانية المنقلبة عن الياء.⁶

¹ ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص: 34.

² المرجع نفسه، ص: 34.

³ سورة يس، الآية: 20.

⁴ ينظر: مكي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص: 175.

⁵ سورة الشعراء، الآية: 61.

⁶ أبو محمد المالكي (المالقي): شرح كتاب التيسير في القراءات، ص: 460.

ويسوق لنا سيبويه بعض الأمثلة من كلام العرب ومن ذلك: «أنَّهم قالوا معزانا في قول من قال: عمادا، فأماهما جميعاً، وهذا قياس من قال: عمادا قال معزانا، وهما مسلمان، وهذا قياس قول غيرهم من العرب، لأنَّ قوله "لِمان" بمتزلة "عماد"، والنون بعده مكسورة، فهذا أجدر»¹.

والظاهر من كلام سيبويه أنَّ العرب أمالوا ألفي "معزانا"، قياساً على ألفي "عمادا"، وهذا قياساً على إمالة الألف لعلة الكسرة اللاحقة بها، نحو كسرة النون من "مسلمان".

9- إمالة لأجل الشبه:

قال مكي بن أبي طالب في هذا الصدد: «على هذه العلة تجري أكثر الإمالات، وذلك أن تكون الألف أصلها الياء، أو تكون زائدة رابعة أو أكثر، فيكون حكمها حكم ما أصله الياء، أو تكون الألف للتأنيث...»².

ومن أمثلة ذلك: أتى، اصطفى، استوى... قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾³.

جاء في إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: «أمال (أتى) ابن ذكوان في رواية الأكثرين عن الصوري عنه، وحمزة و الكسائي، وخلف... ومثله "تعالى"»⁴.

فعلّة الإمالة هنا هي أنَّ الألف الممالة أصلها الياء، من (أتى) و (تعالى) فنقول في الماضي مثلاً: أتيت، تعاليت.

¹ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 127.

² مكي ابن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص: 177.

³ سورة النحل، الآية: 01.

⁴ أحمد بن محمد البنا: إتحاف البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج2، ص: 180.

10- إمالة لأجل كثرة الاستعمال: وقد مثل لها الدارسون اللغويون وعلماء القراءات بـ "الناس"، إذ اعتبروا الإمالة فيه مشهورة مستعملة¹، وكذلك إمالة "الحجاج" إذا كان اسم علم، وذلك «لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر، لأن الإمالة فيه أكثر في كلامهم»².
ومن أمثلة إمالة فتحة النون في "الناس" قوله سبحانه و تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾³.

جاء في كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمر الداني: «أقرئني الفارسي عن قراءته على أبي طاهر في قراءة أبي عمرو بإمالة فتحة النون من (الناس) في موضع الجر، وهي رواية إلى عبد الرحمن وإلى حمدون وابن سعدان عن يزيد عن»⁴.

ونستخلص مما سبق أن هذه الأنواع من الإمالات السالفة الذكر، لا تشكل إلا صورة من الصور النطقية في اللهجات العربية الفصحى المختلفة، إذ تعبر كلها عن التعدد اللهجي الذي ظهر في مختلف البيئات العربية.

وهذا لا يعني أن الدارسين المحدثين قد حصروا جميع أشكال الإمالة في اللهجات العربية الفصحى، وهذا بدليل أن ابن جني أشار إلى أنواع أخرى من الإمالة منها الفتحة الممالة نحو الضمة؛ والتي تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصلاة، والزكاة، وهذه الحركة التي قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هي مشوبة بشيء من الضمة، وكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة، بل لنفس الحركة السابقة في الصفة، فجرى عليها حكم الفتحة التي قبلها⁵.

والأمر نفسه بالنسبة للكسرة المشوبة بالضممة، والياء المشوبة بالواو، نحو: قيل، يُبع، غيض، سيق وكذا الضمة المشوبة بالكسرة، والواو المشوبة بالياء نحو: مررت، بمدعور...

¹ ينظر: مكي ابن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص: 174.

² سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 127.

³ سورة البقرة، الآية: 08.

⁴ أبو عمر عثمان بن سعيد بن عثمان الداني: التيسير في القراءات السبع، ص52.

⁵ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص: 52.

المطلب الرابع: الظواهر الكمية التي تلحق الصوائت العربية

القصيرة على مستوى التركيب

عرفنا سابقاً أثناء دراستنا للصوائت العربية على مستوى الأفراد أنها ثلاثة من حيث النوع، وستة من حيث الكم، كما تحدثنا عن مخارجها والعلاقة فيما بينها، أمّا على مستوى التركيب فقد تحدثنا عن موقعية الصائت من الصامت، وكذا الظواهر التوعية التي تلحق الصوائت، مثل التفخيم والترقيق والإمالة والفتح.

وهذا المطلب مخصص لدراسة الظواهر والتغيرات الكمية التي تطرأ على الصوائت العربية القصيرة.

وقد شغل موضوع العناية بكيفية نطق الحركات عند علماء العربية القدامى، وخاصة عند علماء التجويد منذ القدم، حيث أكدوا على أن عدم إعطاء الحركات حقها من الكم أثناء النطق، من غير زيادة ولا نقصان يؤدي إلى خروج الحركة عن طبيعتها المعتادة.

وتسمى الزيادة في نطق الصائت عند علماء العربية القدامى بـ: (الإشباع)، أمثال سيبويه وابن جني وغيرهم، أمّا نقصان الحركة عن مقدارها فتندرج تحته أربعة ظواهر، وهي: الرّوم، والإشمام، والاختلاس، والإخفاء، وهي ليست عيوباً في نطق الصوائت العربية القصيرة، وإنّما هي وجوه من الروايات لقراءات قرآنية تقع في عددٍ معينٍ من الآيات الكريمة.

ونظراً للتقارب الشديد بين مصطلحي الرّوم والإشمام، وبين مصطلحي الاختلاس والإخفاء، إرتأيت أن أقسّم هذا المطلب إلى ثلاثة أقسام وهي:

أولاً: الإشباع.

ثانياً: الرّوم والإشمام.

ثالثاً: الاختلاس والإخفاء.

1 - الإشباع:

يراد بالإشباع: الزيادة في كمية الحركة حتى ينشأ عنها حرف من جنسها؛ فينشأ عن الفتحة ألف، وعن الضمة واو، وعن الكسرة ياء¹.

وسماه ابن جني بالمطل؛ حيث أفرد له باباً سماه «باب في مطل الحركات»².

وقد عقد له سيبويه باباً سماه (هذا باب الإشباع في الجر والرفع، وغير الإشباع والحركة كما هي) قال فيه: «فأما الذين يشبعون فيمطّطون، وعلامتها واوٌ وياءٌ، وهذا تحكّمه لك المشافهة، وذلك قولك: يضربها ومن مأمّنك»³.

وورد الكلام عن الإشباع كذلك في العديد من المواضع الأخرى من الكتاب، قال سيبويه: «والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو فكل واحدة شيء مما ذكرت لك»⁴.

فإشباع كل صائت قصير ينشأ عنه صائت من جنسه، فالواو في قولنا مثلاً: زيّدو - والرجلُ هي ناشئة عن إشباع الضمة من { زيّد و الرجلُ }.

وعلل ابن جني رأيه في ظاهرة الإشباع بالفكرة المستقاة من آراء سيبويه، وهي الاستشهاد بالمنظوم من الشعر العربي⁵، قال حسام سعيد النعيمي: «والذي يؤكد حديث الإشباع هذا أن العرب ربما احتاجت في أشعارها إلى حرفٍ مجتلبٍ لإقامة الوزن، فتلجأ حينئذٍ إلى إشباع الحركة، فيتولد منها حرف»⁶.

¹ ينظر ابن جني: الخصائص، ج3، ص: 123.

² المصدر نفسه، ص: 121

³ سيبويه: الكتاب، ج 4، ص: 202.

⁴ المصدر نفسه، ص: 22.

⁵ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3، ص: 121-124.

⁶ حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 326.

وترد ظاهرة الإشباع في الوقف وفي غيره، وهو ما يتضح مما نقله سيبويه وابن جني من أمثلة، فمثاله في غير الوقف ما نقله ابن جني بقوله: « وحكى الفراء عنه: أكلت لحمًا شاة، أراد: لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفا. »¹

ومثاله في الوقف قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومترلي بسقط اللوى بين الدخول فحوملي²

ومثال الإشباع في غير الوقف { الوصل }، قول ابن هرمة في رثاء ابنه:

وأني حيثما يشري الهوى بصري من حيثما سلكوا أثنى فأنظور³

الشاهد فيه: إشباع ضمة « الظاء » من (أنظر)، فنشأت عنها الواو فأصبحت (أنظور)، وهو يقصد (أنظر)، وقد علل ابن جني رأيه بأن الصوائت القصيرة لو لم تكن أبعاضاً لحروف المد، وأوائل لها؛ لما تنشأت عنها ولا كانت تابعة لها⁴.
ويصنف هذا النوع من الإشباع بالسبب اللفظي.

وترد ظاهرة الإشباع في الوقف قصد التذكر، قال ابن جني: « وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن حتى يفين حروفا »⁵.

مثل ابن جني لذلك بالقول عند التذكر لما بعد الفاعل في جملة: (قمت يوم الجمعة)، ووقوفك على تاء (قمت) قبل ذكر يوم الجمعة: قمتًا، فتمطل الفتحة وتكون ألفًا، ومع الكسرة في نحو: (أنت عاقلة)، فتقول: أنتي عاقلة، ومع الضمة في نحو: قمتُ إلى زيد، فتقول: قمتو...⁶

¹ ابن جني: الخصائص، ج 3، ص: 123.

² ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4، ص: 205.

³ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 26.

⁴ ينظر المصدر نفسه: ص: 20.

⁵ ابن جني: الخصائص، ج 3، ص: 129.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص: 129.

فهذا الإشباع يوهم السامع بأن الكلام لم يتم، وأن السامع متذكر لما يريد الإخبار عنه و هذا ما يسمى بالسبب المعنوي.

أما المحدثون فقد درسوا ظاهرة الإشباع ضمن ما وصفوه (بثنائية التقصير والتطويل)، حيث صنّفوها ضمن الضرب الثاني (التطويل)، ومثلوا لها ب: « تطويل الصائت الأخير من المفرد المذكر لبناء جمع المذكر السالم ، وتطويل الصائت الأخير من المفرد المؤنث لبناء جمع المؤنث السالم».¹

ولتوضيح هذا الرأي نجتمع مثلاً كلمة (مسلم) جمع المذكر السالم ، وكلمة (غرفة) جمع المؤنث السالم، فإنّ التغير الصوتي الذي يطرأ عليها هو إطالة الضمة في حالة الرفع، (مسلمون)، والكسرة في حالة النصب والجر حتى يتولد منها حرف من جنسها، مع احتفاظ الكلمة ببقية أصواتها (مسلمين)، أما لواحق النصب فناشئة على الأغلب نتيجة المقياسية، أي تأثرها بصيغ لواحق الجر.

والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (غرفة)، حين تجتمع جمع مؤنث سالم ، فالتغيير الصوتي الذي يطرأ عليها هو إطالة صوت الفتحة، حتى يتولد منها ألف، فيقال في حالة الرفع: غرفات، وفي النصب والجر غرفات.²

وقد درس المحدثون ظاهرة الإشباع ضمن ما عُرف عندهم (بثنائية التقصير والتطويل)؛ وهي تقع عندهم ضمن الضرب الثاني (التطويل)، ومثالها: تطويل الصائت الأخير من المفرد المذكر لبناء جمع المذكر السالم، وتطويل الصائت الأخير من المفرد المؤنث لبناء جمع المؤنث السالم.³

¹ رمزي منير بعلبكي: فقه اللغة المقارن، ص: 90 .

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 91.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 90-91.

2- الإشمام و الروم:

للصوائت العربية القصيرة كميات - مقادير- صوتية يجب على الناطق أن يراعيها أثناء الأداء من غير زيادة أو نقصان، وإلا خرج الصائت عن طبيعته الصوتية المعتادة والموضوعة له في الأصل، وعلى هذا الأساس فقد أكد علماء التجويد على العناية بحفظ مقادير الصوائت ومراعاتها.

والإشمام والروم هما من الظواهر الكمية التي تتعرض لها الصوائت القصيرة عند النطق، قال سيبويه: « فأما المرفوع والمضموم، فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف¹. وقد عرّف أبو عمرو الداني الإشمام بقوله: « وأما المشمم من الحروف في حال الوصل أو الوقف، فحقه أن يخلص سكون الحرف، ثم يومئ بالعضو، وهما الشفتان، إلى حركته ليدل بذلك عليها من غير صوت خارج إلى اللفظ، وإنما هو تهيئة بالعضو لا غير، ليعلم بالتهيئة أنه يراد المهياً له، ولا يعرف ذلك الأعمى، لأنه لرؤية العين...»².

وقال أبو علي الفارسي في تحديده لمفهوم الإشمام بأنه: « تهيئة العضو لإخراج الصوت الذي هو الضم ليدل عليه، وليس بخارج إلى اللفظ »³.

وبالتالي فالإشمام هو إشارة بالشفيتين إلى الضمة من غير تصويت، لذا فهو علامة بصرية تدرك بالعين لا بالسمع، وهذا ما أكده ابن جني بقوله: « فأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن »⁴.

أما الروم عند اللغويين فهو: « ما يكاد الحرف يكون به متحركا »⁵.

¹ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 168، وينظر: أبو عمر الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، ص: 97.

² أبو عمر الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص: 98.

³ أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج1، ص: 212.

⁴ ابن جني: الخصائص، ج2، ص: 328.

⁵ المصدر نفسه: ص: 328.

وعند القراء فهو: « إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة، يسميها الأعمى ».¹
وقد جمع ابن الجزري تعريف الروم عند كل من القراء والنحاة، حينما قال: « وأما الروم، فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، وكلا القولين واحد، وهو عند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوتٍ خفي ... ».²

يظهر من هذا النقل عن ابن الجزري أنّ مفهوم الروم عند كل من النحاة والقراء - وإن اختلفا لفظاً - فإنّهما يعبران على معنى واحد لتعريف الروم؛ باعتباره إضعاف للصوت الصائت القصير بصورة نطقية يدرّكها السامع والأعمى بجاسته السمعية .

وقد بيّن عبد الصبور شاهين أنّ الحركة في الروم كما هي في الاختلاس تكون أقصر زمناً وتكاد تفقد الجهر، مثلما يحدث في الإسرار أو الوشوشة³ .

أمّا الغرض من استخدام الروم والإشمام، فهو معرفة أصل الحركة الموقوف عليها، كيف كانت قبل الوقف،⁴ ومعرفة أصل الحركة أبين في الروم منها في الإشمام، وذلك لأن الروم يسمع ويرى، في حين أنّ الإشمام يرى ولا يسمع.⁵

أمّا من حيث الصوائت التي تعربها ظاهرتا الإشمام والروم، فإنّ الإشمام يختص بالضم فقط بينما يختص الروم بالضم والكسر، قال سيبويه: « وأما الإشمام فليس إليه سبيل، وإنّما كان في الرّفع؛ لأنّ الضمة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أيّ موضعٍ من الحروف شئت،

¹ مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج1، ص:122.

² ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ج2، ص:121 .

³ ينظر: عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص: 370.

⁴ ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص122، وينظر: أبو عمر الداني، التحديد في الإتقان والتجويد 171.

⁵ ينظر: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص59، وينظر: مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات، ج1، ص122، وينظر: أبو عمر الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، ص171.

ثم تضم شفتيك؛ لأنّ ضمك شفتيك، كتحريك بعض جسدك، وإشمامك في الرّفْع للرؤية، وليس بصوت للأذن»¹.

وقال عبد الوهاب القرطبي: « وإّما كان الرّوم في المكسور والمضموم، إعراباً كان أو بناءً، دون المفتوح، وإن كان الأصل استواؤهما في الرّوم؛ لأنّ المفتوح أخفُّ، وحركته أسرع ظهوراً»².

وعلّل القرطبي اختصاص الإشمام بحركة الضم دون الكسر أو الفتح بقوله: « واختص به المرفوع والمضموم دون المكسور والمجرور والمفتوح والمنصوب؛ لأنّ الضم من الشفتين، وإذا أوماً بشفتيه نحوه أمكن الإيماء وأدركه الرائي، وإن انقطع الصوت لأنّ الرائي يدرك مخرج هذه الحركة، وهو الشفتان، فأمكن أن يدركها، أمّا في المجرور والمكسور والمنصوب والمفتوح، فإنّما امتنع؛ لأنّ الكسر ليس من الشفة، وإنّما هو من مخرج الياء، ومخرج الياء من شجر الفم، والنظر لا يدركه، فلم يدرك حركته، وكذلك الفتح من الألف، ولا آلة للألف يدركها النظر؛ لأنّ مخرجها من الحلق، والرائي لا يدركه، ولا يدرك حركته»³.

يبدو من خلال النصين السابقين أنّ اختصاص الإشمام بالضم دون غيره من الصوائت راجع لأسباب فيزيولوجية تتعلق بالأعضاء النطقية؛ التي تمكّن من أداء صوت الضمة على غرار باقي الصوائت القصيرة الأخرى.

أمّا عند المحدثين فلم يظهر للرّوم والإشمام أثر في النطق العربي المعاصر، ولم يلقيا من العناية لدى المحدثين من ناطقي العربية شيئاً، حتى بدى ذلك أمراً غريباً على السامعين، لا يعرفه إلاّ نفرٌ قليلٌ من علماء القراءة المتمسكين بالرواية⁴.

¹ سيبويه: الكتاب، ج4، ص: 171.

² عبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد، ص: 209.

³ المصدر نفسه، ص: 209 — 210.

⁴ ينظر: غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 431.

3- الاختلاس والإخفاء:

يعد الاختلاس من المصطلحات التي ذكرها سيوييه في ثنايا أبوابه من «الكتاب»، وذلك لما تحدث عن (باب الإشباع في الجر والرفع، وغير الإشباع، والحركة كما هي)، حيث قال: « وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قولك : يضربها، ومن مأمك، يسرعون اللفظ ... »¹.

وقد تبع سيوييه في استخدام هذا المصطلح علماء اللغة أمثال : المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)²، وابن جني³، وهو ما استقر عليه كذلك علماء التجويد⁴.

وأورد علماء التجويد تعريف الاختلاس بأن: « المختلس من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعاً يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة إلا أنها لم تمطط، ولا ترسل بها، فخفي إشباعها، ولم يتبين تحقيقها»⁵. يتضح من خلال هذا القول أن الاختلاس معناه النطق بالصائت في صورة سريعة يكاد أن يختفي، ولهذا فهو ضد الاشباع، وهو ما يثبت قول القسطلاني في موضع آخر بأن: « الاختلاس الإتيان ببعض الحركة »⁶.

ونخلص من الأقوال السالفة الذكر أن الاختلاس هو إضعاف كمي في نطق الصائت يقترب من إخفائه، بدليل إشارة الدارسين إلى عدم تنمة الحركة حال النطق بها، غير أن مقدار التقليل باعتباره تقديراً زمنياً يبقى مبهماً وغير محدد.

¹ سيوييه: الكتاب، ج 4، ص: 202 .

² ينظر المبرد: المقتضب، ج 1، ص: 243.

³ ينظر ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 56.

⁴ ينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 234 .

⁵ أبو عمرو الدّاني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص: 97-98، وينظر: القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، ج 1، ص: 187.

⁶ القسطلاني: لطائف الإشارات لفنون القراءات، ج 1، ص: 187 .

أما الإخفاء فقد قال فيه أبو عمرو الداني: « والمخفى شيئان: حرفٌ وحركةٌ، فإخفاءُ الحرفِ نقصانُ صوتِهِ ، وإخفاءُ الحركةِ نقصانُ تمطيطِها »¹.

واستخدمه سيبويه أيضاً للدلالة على نقصان تمطيط الحركة، حيث قال: « وإذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواءً ، حرف ساكن، لم يجز أن يسكن ، ولكِنَّك إن شئت أخفيت ... »².

وموضع الاختلاس لا يكون في الفتح، وتعليل ذلك ما ذكره سيبويه في قوله: « لأنَّ الفتح أخف عليهم ... »³ ، وهو خلاف مذهب علماء التجويد الذين يرون أنَّ الاختلاس يكون في الحركات كلّها⁴، فمذهب سيبويه ومن تابعه من العلماء في كون الاختلاس يختص بالضمّة والكسرة دون الفتحة، أمّا الفرق بينه وبين الروم ، فالاختلاس يقتضي بالوصل أمّا الروم فيختص بالوقف.

أما الفائدة من اللجوء إلى الاختلاس والإخفاء فهي طلب التخفيف على اللسان، قال ابن جنّي: « ما أبعدك عن تصور أحوالهم، وبعد أغراضهم ولطف أسرارهم، حتى كأنك لم ترهم وقد ضايقوا أنفسهم وخففوا عن ألسنتهم، بأن اختلسوا الحركات اختلاسا ، وأخفوها فلم يميكنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها؛ ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ ﴾

¹ أبو عمرو الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص: 98 .

² سيبويه: الكتاب، ج 4، ص: 202.

³ المصدر نفسه، ج 4، ص: 202.

⁴ ينظر: عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص: 196، 197 ، وينظر: أحمد بن محمد البنا، إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج 1، ص: 314.

يُوسُفَ ﴿١﴾، محتلساً، لا محققاً؛ وكذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ﴿٢﴾، مُخْفِي لا مستوفي ﴿٣﴾.

ومن فوائدهما كذلك التقليل من الحركات المتوالية في النطق، قال ابن الأنباري: «روي عن أبي عمرو اختلاس الكسرة في الهمزة من ﴿بَارِيكُمْ﴾ ﴿٤﴾، لكثرة الحركات طلباً للتخفيف»⁵.

ويشترك الإختلاس والإخفاء في كونهما تقصيراً للحركة، وهذا ما أكده أحمد بن محمد البنا بقوله عن القراء: «والاختلاس والإخفاء عندهم واحد، ولذا عبروا بكل منهما عن الآخر»⁶.

ويرى غانم قدوري الحمد أن كلا من الاختلاس والإخفاء إنما يستعمل في موضع معين، وكلاهما يرتبط بمذهب أبي عمرو ابن العلاء في القراءة.⁷

ومن الأمثلة التي ورد فيها الاختلاس قوله تعالى: ﴿مَالِكٌ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾⁸، فالصيغة (تأمننا) أصلها (لا تأمننا) بنونين؛ الأولى نون الفعل {تأمن} والثانية هي نون المفعولية وهنا وجب الاستغناء عن أحد النونين بالإزالة؛ والتي تسمى عند علماء اللغة بالإدغام.

¹ سورة يوسف: الآية: 11.

² سورة القيامة: الآية: 40.

³ ابن جني: الخصائص، ج1، ص: 72.

⁴ سورة البقرة: الآية: 54.

⁵ ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن، ج1، ص: 83.

⁶ أحمد بن محمد البنا: إتحاف فضلاء البشر، ج1، ص: 314.

⁷ ينظر: غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: 513.

⁸ سورة يوسف: الآية: 11.

ومن أمثلة الاختلاس قوله تعالى: ﴿لَا تَعْدُوا﴾¹؛ فقد قرأ قالون باختلاس حركة العين، لأنها حركة عارضة عليها، فأصلها «تعدوا»، (أصلها السكون)، ثم أدغمت التاء في الدال بعد أن ألقيت حركتها على العين، فاختلس حركة العين ليخبر أنها حركة غير لازمة، ولم يمكنه أن يسكن العين، لئلا يلتقي ساكنان: العين وأول المدغم، وكره تمكين الحركة، إذا ليست بأصل فيها².

ومن أمثلة الاختلاس لعلّة كراهية تتابع الصوائت قوله تعالى: ﴿بَارِكُمْ﴾³، وهذا باختلاس كسرة الهمزة لدرجة إسكانها بغرض تفادي توالي الحركات، ذكر سيوييه أن أبا عمرو لم يكن يسكن شيئاً من هذا، وإنما كان يختلس الحركة، فيظن من سمعه يختلس أنه أسكن⁴.

وذكر ابن جني من أمثلة الإخفاء قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ

الْمَوْتَى﴾⁵، مخفى لا مستوفى، فالأصل {يُحْيِي}⁶.

¹ سورة النساء، الآية: 154.

² ينظر: مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، ج 1، ص: 401-402.

³ سورة البقرة، الآية 54.

⁴ عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص: 199.

⁵ سورة القيامة: الآية 40.

⁶ ابن جني: الخصائص، ج 1، ص: 72.

المطلب الخامس: المقطع الصوتي (SYLLABLE)

اتفق الدارسون اللغويون - القدماء والمحدثون - على أن للصوائت دوراً في البناء الصوتي للكلمة، وما يطرأ عليه من تغيير في الشكل تبعاً لتغيير الصائت، وبالتالي تحديد المعنى الذي يعطيه هذا الشكل الجديد، فالصوائت تحمل الجذر الأصلي للكلمة، والصوائت تظهر المعاني المقصودة وتوضحها.

فمادة لغوية مثل (ك،ت،ب) تمثل عنصراً ثابتاً؛ أو مادة خام يمكن إجراء التحويلات عليها من خلال (الصوائت)؛ للحصول على معانٍ إضافية جديدة مثل: (كُتِبَ، كُتِبَ، كَاتَبَ، كِتَابَ، كُتِبَ... إلخ)، فهي هنا تمثل العامل الحاسم في التفريق بين كل شكل¹.

وهذه التحويلات الداخلية في الكلام لا تتم إلاً بواسطة الصوائت بنوعيتها - القصيرة والطويلة - لذلك فهي تعتبر مصدر الدلالة، وأيّ تغيير فيها يؤدي إلى تغيير المعنى، وهذه الأهمية دفعت الدارسين المحدثين إلى تقسيم الكلمة إلى مقاطع بحسب مواقع الصوائت فيها، والقول بأن الكتابة بدأت مقطعية قبل أن تكون هجائية، بناءً على إمكانية تحليل الكلام غير المفهوم إلى مقاطع لا إلى كلمات².

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبناء العربية، ص: 43 .

² ينظر محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، المطبعة الحديثة، حلب، سوريا، د ط، 1969، ص: 240.

1- تعريف المقطع الصوتي:

أورد الدارسون المحدثون عدة تعاريف للمقطع الصوتي نذكر منها : تعريف لعبد الصبور شاهين بأنه: «مزيج من صامت وحركة، يتفق مع طريقة اللّغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي»¹.

وعرّفه رمضان عبد التواب بأنه: «كمية من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها»².

وقال جان كانتينو في تحديده للمقطع القصير : « إن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملاً أو جزئياً ، هي التي تمثل المقطع»³. ويبدو من جميع الأقوال السالفة الذكر أنّ المقطع الصوتي تركيب متماسك؛ لا يمكن تفكيكه أو عزل أصواته عن بعضها.

غير أنّ المتبع لأقسام المقاطع الصوتية يجد بأنّ النوع الثالث مثلاً؛ والذي يتكون من {صامت + حركة قصيرة+صامت} ، لا يتفق مع تعريف الذي أورده عبد الصبور شاهين، والذي اعتبر تأليف المقطع مزيج بين حركة وصامت واحد فقط.

لهذا نرجح أن يكون مفهوم المقطع الصوتي باعتباره: « نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية، وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم ، ويأتي بعده من حيث البعد الزمني في النطق، والبعد المكاني في الكتابة، ويتكون من نواة مقطعية تكون عادة مؤلفة من صائت واحد مصحوب بصامت واحد أو أكثر، أو غير مصحوب»⁴.

ويبدو لي أنّ هذا التعريف يتناسب في مضمونه مع الأنواع الخمسة التي صنّفها الدارسون المحدثون من المقاطع الصوتية على نحو ما سيأتي تفصيله.

¹ عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 38 .

² رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللّغة و مناهج البحث اللغوي، ص:101.

³ جان كانتينو: دروس في علم الأصوات العربية، ص:191.

⁴ عصام نور الدين: علم الأصوات اللّغوية، الفونيتكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992 ، ص:189.

ومن هنا فإنّ المقطع يمثل مرحلة وسيطة بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات؛ والتي تمثل العناصر البسيطة¹ التي تتكون منها الكلمة العربية.*
وقد ذهب الدارسون المحدثون إلى أنّه لا تخلو كلمة لغوية من الصوائت -بنوعيتها - في بنيتها، سواء تألفت من مقطع واحد أو أكثر، وهي الفكرة المستوحاة من علماء العربية القدامى، ومن ذلك قول سيبويه: « فأما الأحرف الثلاثة، فإنّهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف، أو من بعضهن ...»².

وفي قوله: {بعضهن}، إشارة إلى الصوائت العربية القصيرة الثلاثة {ضمّة، فتحة، كسرة}.

وقال في موضع آخر لما تحدث عن الألف: « ليس في الكلام حرف إلاّ وبعضها فيه أو بعض الياء و الواو »³.

وقال الرضي الاسترأبادي لما تحدث عن حروف العلة: « وتتغير هذه الحروف لطلب الخفة ليس لغاية ثقلها، بل لغاية خفتها، بحيث لا تحتمل أدنى ثقل لكثرتها في الكلام ، لأنّه إن خلت كلمة من أحدها فخلوها من أبعاضها - أعني الحركات - محال ...»⁴.
ونلخص من الأقوال السالفة الذكر أنّ للصوائت العربية دور كبير في تأليف المقاطع الصوتية إذ يستحيل هذا التأليف في غياب الصائت الملازم للصامت في التشكيل المقطعي.

ولم تخل مؤلفات علماء العربية وحتى علماء التجويد من الحديث عن هذه المسألة، خاصة في ثنايا الحديث عن تأليف الكلام ، قال مكّي بن أبي طالب : « الكلام كلّهُ أُلّف من أربعة

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي في البنية العربية، ص:38.

* تجدر الإشارة هنا أن هناك كلمات ذات معنى لا تتعدى في بنيتها مقطعا واحدا مثل ما سنشير إليه في أقسام المقاطع الصوتية نحو: في، لم.

² سيبويه: الكتاب، ج 4، ص: 318.

³ المصدر نفسه، ص: 310.

⁴ الرضي الاسترأبادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج 3، ص:68.

أشياء: من حرف متحرك، ومن حرف ساكن، ومن حركة ومن سكون، وذلك يرجع إلى شيئين: حرف متحرك وحرف ساكن، والحرف المتحرك في كلام العرب أكثر من الساكن، كما أن الحركة أكثر من السكون».¹

وفي هذا النقل إبراز لدور الصائت وحضوره المتميز في ثنايا أجزاء الكلام وتأليف مختلف المباني اللغوية.

وللفلاسفة فضل السبق أيضا في الإشارة إلى المقطع الصوتي، قال الفارابي في تعريفه للمقطع بأنه: «مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت».²

كما بين الفارابي كيفية تكون المقطع وأنواع المقاطع، ومن ذلك قوله: «وكل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون الصوائت القصيرة حركات، وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلاً، وهو يمكن أن يقرن به، فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسميه المقطع الطويل، وكل حرف متحرك اتبع بحرف ساكن، فإن العرب يسمونه السبب الخفيف...».³

وفي كلام الفارابي هذا إشارة لتحديد ماهية المقطع الصوتي، مع وجوب اقتران الصائت بالصامت لتكوين المقطع الصوتي، وكذا بيان بعض أنواع المقاطع وتحديد تسمياتها عند علماء العربية.

¹ مكّي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة، ص: 97.

² الفارابي: الموسيقى الكبير، ص: 1073.

³ المصدر نفسه، ص: 1075.

2-أنواع المقاطع الصوتية: اتفق الدارسون اللغويون المحدثون على أن المقاطع الصوتية تنقسم إلى خمسة أنواع، تنشط بدورها إلى قسمين رئيسيين هما: المقاطع المتحركة، التي تنتهي بصوت صائت قصير أو طويل، أما المقاطع الساكنة فهي المقاطع المغلقة، فهي التي تنتهي بصوت ساكن*.

وإذا رمزنا للصوت الصامت بالرمز {ص}، والصوت الصائت {ح}**، فإننا سنصنّف المقاطع الصوتية الخمسة وفقاً لما يأتي:

النوع الأول: مقطع قصير مفتوح: ويتكوّن من { صامت + حركة قصيرة }، ويرمز له بالرمز [ص ح]، أو { CV }، ومثال ذلك: كَ - مَ.

النوع الثاني: مقطع طويل مفتوح: ويتكوّن من { صامت + حركة طويلة }، ويرمز له بالرمز [ص ح ح]، أو { CVV }، ومثال ذلك: (مًا)، و (سًا)، في (مَال)، و (سَال).

النوع الثالث: مقطع طويل مغلق: ويتكوّن من { صامت + حركة قصيرة + صامت }، ويرمز له بالرمز [ص ح ص]، أو { CVC }، ومثال ذلك: (عَن)، و (يَد) في (يدعو).

النوع الرابع: مقطع طويل حركته طويلة: ويتكوّن من { صامت + حركة طويلة + صامت }، ويرمز له بالرمز [ص ح ح ص]، أو { CVVC }، ومثال ذلك: (بَاب).

النوع الخامس: مقطع زائد في الطول: ويتكوّن من { صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت }، ويرمز له بالرمز [ص ح ص ص]، أو { CVCC }، ومثال ذلك: (بِنْتُ)¹.

ويمكن أن نعبر عن هذه الأنواع الخمسة بالشكل الآتي:

* يرى تمام حسان أن المقاطع في العربية تحتوي على صامت واحد أو أكثر، وصائت واحد فحسب (سواء كان قصيراً أو طويلاً) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص132.

** لكل باحث اختياره للرمز المناسب للصوائت والصوامت، فمثلاً اختار تمام حسان ومن سار على نهجه الرمز (ص) للصحيح، واختار الرمز (ع) للصوائت التي يسميها (العلل)، أما عبد الصبور شاهين فاختر (ص) رمزا للصوامت، و(ح) رمزا للصوائت التي يسميها (الحركات)، أما أحمد مختار عمر فقد اختار الرمز (س) للصوامت التي يسميها (السواكن)، واختار الرمز (ع) للصوائت التي يسميها (العلل). ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص:141، و عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية، ص:38، و أحمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوي، ص:299.

¹ ينظر عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص:63، عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص:40، وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص:164.

- 1- صوت ساكن + صوت لين قصير، مثل: بَ ، وَ } مقطعان مفتوحان
2- صوت ساكن + صوت لين طويل، مثل: مَا ، لَأ .

- 3 - صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن ، مثل: لَمْ ، قَدْ } مقاطع منغلقة
4- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن، مثل: بَابُ.
5- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان، مثل: فرد-بنت.¹

ولم يخرج أغلب الدارسين المحدثين عن هذا التصنيف ما عدا تغيير في بعض رموز الأصوات، فمنهم من يرمز للصوت الصامت بالرمز (ص)، و منهم من يرمز له بالرمز (س) بمعنى ساكن، أمّا الصوت الصائت فغالبا ما يرمز له بالرمز (ح) بمعنى حركة.

غير أن تمام حسان زاد مقطعا آخر سادسا، واعتبره المقطع الأقصر -حسب رأيه - والذي يمثل حرفا صحيحا مشكلا بالسكون، مثل لام التعريف وسين الاستفعال، ولا بد لهذا الحرف الذي يكون مقطعا كاملا، أن يكون مشكلا بالسكون متلوا بحرف متحرك، وأن يكون في بداية الكلمة مسبوqa بمزة وصل، وقد رمز له بالرمز (ص)، وسمّاه «المقطع الأقصر»²، في حين خالف الدارسين المحدثين في تسمية أنواع المقاطع دون أيّ تغيير في التركيب وفقا لما يلي:

النوع الأول: سمّاه بالمقطع القصير، ورمز له ب (ص، ح) مثل: ك_____.

النوع الثاني: سمّاه بالمقطع المتوسط، ورمز له ب (ص، م) مثل: مَا

النوع الثالث: سمّاه بالمقطع المقفل، ورمز له ب (ص، ح، ص) مثل: لَمْ

¹ ينظر: جان كاتينو: دروس في علم أصوات العربية، ص: 191-192، وينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 159-163، وينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص: 78.

² ينظر: تمام حسان: اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 69.

النوع الرابع: سّمَاه بالمقطع الطويل بالمد والإسكان، ورمز له ب (ص، م، ص) مثل: بَابُ.
النوع الخامس: سّمَاه بالمقطع الطويل بالتقاء الساكنين، ورمز له ب (ص ح، ص ص) مثل: رَيْبٌ¹.

ومن خلال المقارنة بين المقاطع الصوتية، التي وافق أغلب المحدثين على تصنيفها، وبين التصنيف الذي أتى به تمام حسان، يبدو أنّه يمكن التخلي عن النوع الرابع المكون من صامت + حركة طويلة + صامت (ص ح ص)، مثل: بَابُ، فيحتمل أن نقسّمه إلى مقطعين:
الأول: مقطع مفتوح (صامت + حركة طويلة) [بَا] في (بَابُ)، وهو ما يندرج ضمن النوع الثاني.

الثاني: ويندرج ضمن ما سّمَاه تمام حسان بالمقطع الأقصر، ويتمثل في الصامت، وهو الجزء المتبقي (بُ).

وتجدر الإشارة إلى أنّه في حالة الإدغام فإنّه يُفكّ أولاً، نحو (الدار)، ليكون التقطيع الصوتي كالآتي:

اَ - ذُ / دَ - عَ / رُ - حُ
ص + ح + ص / ص + ح + ح + ص / ص + ح + ص

فكلمة (الدار) مؤلفة من ثلاثة مقاطع صوتية: فالمقطع الأول يتكون من الصّاد الأولى لهزمة الوصل متبوعة بالحركة، والصّاد الثانية للدّال المدغمة غير المتحركة (أ ذُ)، أمّا المقطع الثاني فالصّاد فيه للدّال الثانية المتحرّكة، والحاء الأولى والثانية رمز ألف المدّ التي بعد الدال (دَا)، أمّا المقطع الأخير فهو للصوت الصامت (الراء) مع حركتها (رُ) (في حالة الوصل).
أمّا التّنوين في نحو (وكَدُّ) فيرمز له (ص+ح/ص+ح/ص+ح+ص) وذلك باعتباره نونا ساكنة² بحيث يكون التقطيع الصوتي كالآتي:

و - لَ / د - نُ
ص + ح / ص + ح / ص + ح + ص

¹ ينظر: تمام حسان: اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 69.

² ينظر: مكّي درار وسعاد بسناسي، المقرّرات الصّوتية في البرامج الوزاريّة للجامعة الجزائرية (دراسة تحليلية تطبيقية)، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ب.ت، ص 124.

3- عدد المقاطع الصوتية المحتملة في النسيج اللغوي العربي:

تتوزع المقاطع الصوتية في الكلمة العربية؛ سواء أكانت اسماً أم فعلاً ، مجردة أو مزيدة ، في مقاطع منتظمة ، تساعد على تحديد الدلالة في المنظور اللغوي كالاتي:

أ- أحادية المقطع مثل : عَن = عَ - نْ = ص ح ص.

ب- ثنائية المقطع مثل : أُكْتُبُ = أ - كُ / ت - بُ = ص ح ص + ص ح ص.

ج- ثلاثية المقطع مثل : كَاتِبٌ = ك - ا - ت - ب - نُ.

ص ح ح / ص ح / ص ح ص

د- رباعية المقطع مثل : مَدْرَسَةٌ = م - ذ - ر - س - ت - نُ

ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح ص

هـ- خماسية المقطع مثل : مُتَعَلِّمٌ ، مُتَسَابِقٌ

م - ا - ت - ع - ل - ل - م - نُ

ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ص

و- سداسية المقطع مثل : اسْتَقْبَلَاتُهُمْ.

ا - س - ت - ق - ب - ل - ا - ت - ه - م

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ص (في حالة الوقف)

ز- سباعية المقطع مثل : اسْتَقْبَلَاتُهُنَّ.

ا - س - ت - ق - ب - ل - ا - ت - ه - ن - ن

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح / ص ح ح (في حالة الوصل)¹.

ح- ثمانية المقطع:

ويضيف أحمد مختار عمر قائلاً: "فالكلمة المشتقة في اللغة العربية اسماً كانت أو فعلاً، حين

تكون مجردة لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع ، ويندر أن تجدها تتكون من خمسة مقاطع... أمّا

¹ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ، ص: 220-221.

نحو (فسيكفيكهم) في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾¹، فهي مكونة من أكثر من كلمة (فَ+ سَ+ يَكْفِي+ كَ+ هُمْ)، وهذا في حالة الوصل، و لعل هذه الكلمة هي: واحدة من أكثر التجمعات المقطعية التي تقع في اللغة العربية... وكذلك كلمة «أفنزلكموها»، حيث تحوي الأولى ستة مقاطع (عند الوقف وسبعة عند الوصل) والثانية «أفنزلكموها» (ثمانية مقاطع)².

فعند كتابة (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) كتابة مقطعية صوتية تكون كالآتي:

فَ / سَ / يَكْ / فِ / كَ / هُ / مْ

ص+ح/ص+ح/ص+ح/ص+ح/ص+ح/ص+ح/ص+ح.

وعند كتابة (أَفَنْزَلْكُمْوَهَا) كتابة مقطعية صوتية تكون كالآتي:

أَ / فَ / نَ / لَ / زَ / مْ / كَ / مْ / هُ / هَ / هَ / هَ

ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح.

¹ سورة البقرة، الآية: 137.

² أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 306.

4-النبر و التنغيم:

أولاً: النبر (stress):

يعد النبر من الظواهر الأدائية التي عالجها علماء اللغة وعلماء الأصوات بوجه الخصوص، حيث إنه يساهم مساهمة فعّالة في تحديد المستوى الدلالي للكلام، وأسباب تشكيل هذه الظاهرة الصوتية هو المقطع الصوتي الذي يقع عليه هذا التلوين الصوتي، فبالإضافة إلى التنغيم، فتحدد بذلك مستويات الإيقاع في اللغة، ومما لاشك فيه أنّ هذه الظواهر الأدائية ينشأ عنها تعدد في المعاني داخل التراكيب اللغوية، ومن هنا فإنّه من الضروري التعرّيج على مفهوم النبر. ويراد بالنبر في اللغة: الهمز، جاء في لسان العرب: « النبر بالكلام: الهمز، وكل شيء رفع شيئاً، فقد نبره، والنبر: مصدر نبر الحرف ينبره نبراً همزه... والنبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبراً إذا تكلم بكلمة في علو»¹.

اصطلاحاً: تعددت مفاهيم النبر عند علماء اللغة المحدثين، وكلها اتفقت على أنّه مصطلح صوتي؛ يعني الضّغط على صوت أو مقطع معين في نطق الكلمة، فيتميز هذا الصوت بالعلو والارتفاع، وقد عرفه تمام حسان أنّه: « وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضّغط والتنغيم»².

وقال إبراهيم أنيس: « والمرء حين ينطق بلغته، يميل عادة إلى الضّغط على مقطع خاص من كلّ كلمة، ليجعله بارزاً أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضّغط هو الذي نسميه بالنبر»³.

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص:175، مادة نبر .

² تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص: 160.

³ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 98.

ورأى كمال بشر أن النبر في اللغة « معناه البروز والظهور، ومنه (المنبر) في المساجد ونحوها، وهذا المعنى العام ملحوظ في دلالاته الاصطلاحية، إذ هو في الدرس الصوتي يعني نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره»¹. من خلال ما سبق ذكره من التعاريف المختلفة والمتعددة في تحديد ماهية مصطلح «النبر»؛ فإنّ القاسم المشترك بينها هو أنّ النبر وضوح سمعي يتميز به مقطع من المقاطع الصوتية المكوّنة لبنية الكلمة.

ومن هذا المنطلق يبدو أنّ مفهوم النبر عند الدارسين المحدثين لم يختلف عما سبق به الدارسون القدماء؛ فكلاهما يتفق على أنّه ضغط على مقطع معين من أصوات الكلمة، قال عبد الصبور شاهين: «لم يختلف التصور الحديث لفكرة النبر عن تصور اللغويين القدماء له كثيراً، فقد تصور أصحاب المعاجم النبر على أنّه ضغط المتكلم على الحرف، ونظم المحدثون هذا المعنى حين خصوه بالمقطع... غير أنّ المحدثين لاحظوه كظاهرة ذات تأثير في نسق اللغة المنطوقة، في حين غفل القدماء عن وجوده كظاهرة صوتية تحتاج إلى علاج علمي»².

فالنبر عند القدماء - بحسب عبد الصبور شاهين - اختص بحرف من حروف الكلمة، في حين خصه الدارسون المحدثون بأحد المقاطع الصوتية المكوّنة لبنية الكلمة. وهو الرأى الذي جاء به جان كاتنينو لما قال: « النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع بأن تقوي إمّا ارتفاعه الموسيقي، أو شدّته أو مداه، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة»³.

مواضع النبر في الكلمة العربية :

إذا كان النبر يختص بالضغط على مقطع معين من بنية صوتية ما؛ فإنّه من الضروري تحديد هذا المقطع الذي يقع عليه هذا الضغط، ولم يعثر في مؤلفات علماء العربية القدامى على دليل يحدد موضع النبر في اللغة العربية، كما نطق بها في العصور الإسلامية الأولى، وقد لخص إبراهيم

¹ كمال بشر: علم الأصوات، ص:512.

² عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دط، 2009م، ص: 25.

³ جان كاتنينو: دروس في علم أصوات العربية، ص: 194.

أنيس مواضع النبر في الكلمة العربية بقوله: « لمعرفة موضع النبر في الكلمة العربية، ينظر أولاً إلى المقطع الأخير، فإن كان من النوعين الرابع و الخامس، كان هو موضع النبر، وإلا نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث، حكمنا بأنه موضع النبر، وأما إذا كان من النوع الأول نظر إلى ما قبله فإن كان مثله، أي من النوع الأول أيضاً، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول»¹.

ولتوضيح هذه المواضع نمثل لها بما يلي:

- نبر المقطع الأخير في مثل: نستعين، فالنبر يقع على المقطع [عَيْنٌ] ، و هو من النوع الرابع، وكذلك (ذَاكَرْتُ) ، فالنبر يقع على المقطع: [كَرْتُ]، وهو من النوع الخامس .

- نبر المقطع قبل الأخير في مثل : يعادي و قاتل فالنبر يقع على المقطع [عَا] و هو من النوع الثاني .

- نبر المقطع الثالث من الآخر، في مثل: كَتَبَ، فالنبر يقع على المقطع [كَ] وهو من النوع الأول .

- نبر المقطع الرابع من الآخر، في مثل: بَلَحَةٌ، سَمَكَةٌ² فالنبر يقع على المقطعين [بَ - سَ] من كلتا الصيغتين ، وهو من النوع الأول.

¹ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 101.

² ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 105.

ثانياً: التَّنْغِيم Inotnation:

التَّنْغِيم ظاهرة صوتية، تشترك فيها اللغة العربية مع غيرها من اللغات، لكونها تؤثر في تغيير الدلالة دون أن تتغير المفردات، وهو مصطلح صوتي يدل على: «الارتفاع (الصعود) والانخفاض (المهبوط) في درجة الجهر في الكلام.

وهذا التغير في الدرجة يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية، ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، يدل على لحن الكلام»¹.

فإبراز بعض أجزاء الجملة إنما يتم بمساعدة النغمة الموسيقية، لذلك عدّ التنغيم شكلاً من أشكال النبر، فأطلق عليه النبر الموسيقي أو نبر التنغيم.

إضافة إلى هذا فالتنغيم عامل مهم في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة، من إثباتية واستفهامية وتعجبية... إذ تصاغ كل واحدة منها وفقاً للون موسيقي معين، بالرغم مما قد تحويه الجملة من أدوات صرفية من شأنها أن تساعد على تحديد نوعها كأدوات الاستفهام، وصيغتي التعجب. وفي كثير من الأحيان يكون التنغيم وحده هو الفيصل في الحكم على نوع الجملة، كما يحدث ذلك حين تخلو الجمل الاستفهامية من أدوات الاستفهام، أو حين يخرج الاستفهام عن أصله ليفيد غرضاً جديداً، كما يؤدي التنغيم إلى توجيه الإعراب وتفسير صورته المختلفة.²

ولعل أفضل جنس أدبي يسجل فيه التنغيم حضوراً متميزاً؛ حسب ما ذهب إليه القدماء هو فن الخطابة إذ: «يستعمل في القول الخطي لوجوه منها تخيل الانفعالات أو الخلق، كذلك أيضاً لثلاثة أوجه: أحدها عندما يريد المتكلم أن يخيل بأنه بذلك الانفعال أو الخلق عند السامعين، مثل: أنه إذا أراد أن يخيل فيه الرحمة رقق صوته، وإذا أراد أن يخيل فيه الغضب عظم

¹ محمود السعران، علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ص 192.

² ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1986 م، ص، 24-25.

صوته، كذلك إنّما كان ذلك كذلك، لأنّ هذه الأصوات توجد بالطبع صادرة من الذين يفعلون أمثال هذه الانفعالات»¹.

لهذا فتتويع درجات الصوت خفضاً وارتفاعاً له دوراً أساسياً في تحديد الدلالات، والتي تبرز من سياق الكلام، مما يجعل الخطيب يؤثّر في نفوس السامعين. ومما لا شك فيه أنّ للصوائت العربية دوراً في تلوين هذا الأداء، لما يلحقها من نبر وتنغيم، باعتبارها العنصر الأساسي في تكوين المقاطع والبنى الصوتية المختلفة.

¹ أمينة طيبي: الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين، ص: 288.

الفصل الثالث



الفصل الثالث: الدراسة النحوية والصرفية والدلالية

المبحث الأول: الدراسة النحوية للصوائت العربية القصيرة 

المبحث الثاني: الدراسة الصرفية للصوائت العربية القصيرة 




المبحث الثالث: الدراسة الدلالية للصوائت العربية القصيرة 

المبحث الأول: الدراسة النحوية للصوائت العربية القصيرة

المطلب الأول: تعريف الإعراب وأقسامه 

المطلب الثاني: الوظيفة النحوية للفتحة 

المطلب الثالث: الوظيفة النحوية للضمّة 

المطلب الرابع: الوظيفة النحوية للكسرة 

نستطيع أن نقول بكل اطمئنان أن النحو العربي إنما نشأ قرآنياً، كما أن معظم الدراسات العربية دارت حوله، هذا العلم الذي فجرته رسالة الإسلام، حيث حاولت علوم كثيرة مقارنته واستيعابه، وما كان أن يستقيم له فهم في غياب النحو، إذ الغاية التي نشأ من أجلها النحو العربي؛ هي ضبط اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - بغية صونه وحمايته من اللحن وذيوعه على ألسنة العامة، فكان ذلك إيذاناً لعلماء اللغة والقراءات القرآنية بوضع ضوابط تصونه من الانحراف والزلزل الذي يؤدي إلى سوء الفهم لمعانيه ومراميه .

ومن هنا ظهر اهتمام منقطع النظير؛ بمختلف الميادين التي لها صلة باللغة العربية وضوابطها النحوية والصرفية والدلالية، ولعل أبرز المحاور الأساسية التي كانت محل اهتمام الدارسين النحويين هي الإعراب؛ الذي له علاقة وطيدة بالصوائت العربية القصيرة التي هي مجال بحثنا.

المطلب الأول: تعريف الإعراب وأقسامه

1- تعريف الإعراب:

أ- لغة: ورد الإعراب في المعاجم العربية بمعنى الإبانة والإفصاح، جاء في لسان العرب: «أعرب الرجل أعرب عنه لسانه، أي أبان و أفصح»¹.

ب- اصطلاحاً: عرفه النحويون بأنه: « أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة»².

ويعد الإعراب المحور الأساسي الذي دارت حوله الدراسات النحوية؛ حيث حظي باهتمام وعناية كبيرة من الدارسين اللغويين، قال ابن فارس: « من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب، الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة للفظ، وبه يعرف الخير، الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوع؛ ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»³.

وقال في موضع آخر: « فأما الإعراب فبه تتميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلًا لو قال: ما أحسن زيد - غير معرب - لم يوقف على مراده، فإذا قال : ما أحسن زيدًا، وما أحسن زيدًا، أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده»⁴.

يبدو من النصين المنقولين عن ابن فارس أن الإعراب يرتبط بالبني الصوتية المكوّنة للتراكيب النحوية، حيث يؤدي وظيفة أساسية يتضح من خلالها المعنى، ويُزال اللبس أو الإبهام

¹ ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص: 588.

² جمال الدين عبد الله بن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2000م، ج1، ص: 64.

³ أحمد ابن فارس ابن زكريا: الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص: 43.

⁴ المصدر نفسه: ص: 190.

داخل النسيج اللغوي، كما يساهم في توضيح الصلة بين البنية الصوتية وما جاورها داخل الجملة الواحدة.

وهو ما أكدّه ابن جنّي في تعريفه للإعراب بقوله: « هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت - برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، و لو كان الكلام شَرَجاً واحداً (أي نوعاً واحداً) لا استبهم أحدهما من صاحبه»¹.

وفي هذا النقل إبراز لدور الإعراب في التميّز بين العناصر المكونة للتركيب النحوي، و الذي من شأنه أن يحدد الدلالة والمعنى المقصود، ومن هنا يظهر الأثر الواضح للصوائت العربية القصيرة داخل التراكيب النحوية*، وكذلك ما تؤديه من وظيفة دلالية ضمن النسيج اللغوي.

2- أقسام الإعراب:

ينقسم الإعراب إلى قسمين رئيسيين هما: الإعراب الظاهر والإعراب المقدر.

أ- الإعراب الظاهر:

وهو الذي يكون في الكلمات الصحيحة الآخر، حيث تظهر علامات الإعراب على الحرف الأخير دون ثقل فتظل حركة الإعراب قائمة بدون تغيير.²

¹ ابن جنّي: الخصائص، ج1، ص: 35.

* للصوائت دور أساسي في بيان المعاني النحوية إذا كانت علامات ظاهرة وأمن اللبس حينها، أمّا إن تعدّرت ظهور الصوائت فإنّه يلجأ إلى نظام الرتبة، (أي ترتيب الكلمات في التّمط الأساس للجملة)، وهو النظام الذي تتخذه الوظائف النحوية للمفردات في اللغة العربية، ومثال ذلك أنّ الجملة الفعلية يأتي ترتيبها على شكل: فعل-فاعل-مفعول به، فإذا تعدّرت ظهور العلامة الإعرابية يكون للرتبة الحسم في بيان الوظيفة النحوية نحو: "أكرم موسى عيسى"، والأمر نفسه مع المعطوف عليه الذي يسبق حرف العطف والمعطوف، وكذا وجود الصّفة قبل الموصوف وهكذا... ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص: 109.

² ينظر: أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996، ص: 248.

ب- الإعراب المقدر:

وهو الإعراب الذي يأتي نتيجة انتهاء الكلمة بحرف معتل ضعيف، «والحروف المعتلة إمّا ضعيفة تستقل عليها الحركات، ويتمثل ذلك في الياء والواو، وإمّا يتعذر إتيان الحركات عليها، ويتمثل ذلك في الألف»¹، وقد علّل المبرد هذا الاستثقال بقوله: «والحركات مستثقلة في حروف المد واللين، فلذلك أسكنت استخفافاً»².

يتضح مما سبق ذكره أنّ الإعراب الظاهر هو ما تظهر فيه علامة الإعراب في آخر اللفظ المعرب، أمّا الإعراب المقدر فهو ما تعذر فيه ظهور علامة الإعراب استثقالا.

وقد ربط علماء العربية ضعف حروف العلة بثقل الصوائت القصيرة (الحركات) وخفتها، فالكسرة والضمة ثقيلتان على الياء والواو، لهذا قدرتا عليهما في الإعراب، أمّا الفتحة فهي الحركة الخفيفة التي يتحملها حرف العلة، لذا ظهرت في كل الأحوال على الواو والياء³.

وعلّل المبرد هذا الاستثقال بالتمثيل له بإعراب الاسم المنقوص، والفعل المعتل والآخر بالواو والياء بقوله: «أمّا في موضع النصب فتقول: رأيت قاضياً وغازياً، لخفة الفتحة، كما كنت تقول في الفعل: لن يغزوا، ولن يرمي يا فتى، فتحرك أواخر الأفعال بالفتح»⁴.

وفي هذا القول تأكيد على أنّ الاسم المنقوص والفعل المعتل الآخر بالواو والياء، في حالة النصب تظهر عليهما الفتحة عند الإعراب.

¹ أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص: 248.

² المبرد: المفتض، ج4، ص: 248.

³ ينظر: أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص: 249.

⁴ المبرد: المفتض، ج1، ص: 248.

البناء: هو لزوم الكلمة حالة واحدة من الإعراب، أي أنّ آخر الكلمة يلزم علامة واحدة لا تتغير بتغير العوامل، عكس ما هو الحال في الإعراب الظاهر والمقدر،¹ وتنقسم الكلمات المبنية إلى ثلاثة أنواع وهي:

- كل الحروف مثل: «هل» حرف استفهام مبني على السكون لا محل له من الإعراب
- بعض الأفعال مثل: «كَتَبَ»، فعل ماضي مبني على الفتح.
- بعض الأسماء مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها.

3- الوظيفة النحوية للصوائت العربية القصيرة:

للصوائت العربية دور كبير في التفريق بين المواقع النحوية لمختلف المباني في الجملة الواحدة، حيث يتضح ذلك من خلال الأثر الواضح في تغيير دلالات الأسماء والأفعال، وقد أطلق الدارسون المحدثون على هذه المسألة بـ «قانون المغايرة»، قال غالب فاضل المطلبي: «إنّ لقانون المغايرة عن طريق أصوات المد أهمية كبرى في العربية في التفريق بين المواقع النحوية للكلمات في الجملة، وظاهرة الإعراب من قبل النظرة الصوتية تمثل تطبيقاً جيّداً لهذه المغايرة، فالفاعل يغيّر المفعول في حركة آخره وكذلك يغيّر المضاف إليه، ولا نستطيع أن نفسر تفسيراً تعليلياً أسباب اختيار صوت مد بعينه في كل موقع»².

نكشف من هذا النص القيمة الأساسية للصوائت العربية، والتي تكمن أساساً في الوظيفة النحوية، كونها - الصوائت - تساهم بصورة فعالة في التفرقة بين المعاني النحوية، من فاعل ومفعول ومضاف وغيرها.

ويعود تفسير سبب اختيار صائت بعينه وتخصيصه في كل موقع نحوي؛ حسب ما ذهب إليه أبو إسحاق في تعليقه لرفع الفاعل ونصب المفعول، وإثما فعل ذلك للفرق بينهما، «وذلك

¹ ينظر: عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 29.

² غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية، دراسة في الأصوات المد العربية، ص: 257.

أنّ الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فَرُفِعَ الفاعل لقلته ونُصِبَ المفعول لكثرتة، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون»¹.

يتضح من هذا القول أنّ علة اختصاص الرفع بالفاعل والنصب بالمفعول به راجعة لمسألة الاستثقال والاستخفاف، فالعرب من سليقتهم أنّهم اختاروا حركة الرفع (الضمة) لثقلها، فخصوها بالمواضع التي يقل ورودها (مثل الفاعل)، في حين اختاروا حركة النصب (الفتحة) لخفتها، فخصوها بالمواضع التي يكثر ورودها.

غير أنّ البعض من الدارسين المحدثين من اعترض هذا الرأي؛ أمثال غالب فاضل المطلي، والذي يرى أنّ هذا التعليل لا يمكن الاطمئنان إليه كل الإطمئنان، بدليل أنّ البحث في الظواهر الموغلة في القدم، من غير أن يكون لها سند من نصوص ووثائق ومأثورات هو أمر يخرج عن طريق منهج البحث العلمي الصحيح.²

ومجمل القول أنّ الوظائف النحوية للصوائت العربية إنّما تنحصر في الدلالة على المواقع الإعرابية؛ والتي تمثل بدورها علامات لثلاث مواضع نحوية، فالعربية استعملت الضمة علامة على فكرة «الإسناد» والكسرة علامة على فكرة «الإضافة»، أمّا الفتحة فهي علامة على أنّ الموقع ليس موقع إسناد أو إضافة.³

¹ ابن جني: الخصائص، ج 1، ص: 49.

² ينظر: غالب فاضل المطلي، في الأصوات اللغوية، ص: 257-258.

³ المرجع نفسه، ص: 258.

المطلب الثاني: الوظيفة النحوية للفتحة / _ / :

اهتم علماء العربية القدامى بوظيفة الصوائت النحوية، والتي تتعلق بمختلف المواقع والمباني من خلال ما تؤديه من وظائف نحوية متعددة، ومما لا شك فيه أن الفتحة حركة يميل إليها الناطق العربي لخفتها على اللسان، سواء كانت حركتها حركة إعراب أو بناء، وقد لجأ إليها الناطق، إما في بادئ الأمر، وإما هروبا من ثقل الضمة والكسرة¹، لهذا ثبت أن الفتحة هي الأكثر شيوعا واستعمالا في المنطوق العربي على غرار باقي الصوائت القصيرة.

والمتبع للوظيفة النحوية للصوائت العربية القصيرة من خلال المؤلفات النحوية واللغوية يجد أن أغلب الكلمات المنصوبة تقع فضلة في التركيب النحوي، وهذا ما أقره النحاة القدماء الذين اعتبروا أن الفضلة تأتي بعد تمام معنى الجملة، قال ابن الحاجب (646هـ): « الفتحة هي علم الفضلة»².

ومن هنا فعلة نصب هذا الصنف من المواقع النحوية؛ هوكون الفضلات تأتي زائدة في التركيب النحوي، كما تنبه معظم النحاة إلى أن أبواب النصب في الدراسات النحوية تفوق أبواب الرفع والجر؛ وهذا نظرا لتعدد معاني المنصوبات وكثرتها، وقد جمعها ابن أجيروم الصنهاجي بقوله: « المنصوبات خمسة عشر وهي : المفعول به، والمصدر، وظرف الزمان وظرف المكان، الحال، والتمييز، والمستثنى، واسم لا، والمنادى، والمفعول لأجله، و المفعول معه، وخبر كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها، والتابع للمنصوب، وهو أربعة أشياء : النعت والعطف والتوكيد و البديل»³.

وسأحاول بإيجاز عرض المنصوبات التي اتفق عليها جل الدارسين النحويين.

¹ ينظر: أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص: 244-245.

² ابن الحاجب: الكافية في النحو، شرح رضي الدين الأسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1979، ص:23.

³ محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنية في شرح الأجرومية، مطبعة مالك ابن أنس، الجزائر، ط01، 2001م، ص: 221.

1- المفعول به:

هو الذي يقع عليه فعل الفاعل، جاء في شرح المفصل أن المفعول به « هو الذي يقع عليه فعل الفاعل؛ في مثل قولك: (ضرب زيداً عمراً) و (بلغتُ البلدَ)، وهو الفارق بين المتعدي من الأفعال وغير المتعدي، ويكون واحداً فصاعداً... ويجيء منصوباً بعامل مضمَر مستعمل إظهاره أو لازم إضماره»¹.

وبالتالي فالحكم الإعرابي الذي يستلزمه المفعول به هو النصب؛ سواء كان عامل النصب (الفاعل) ظاهراً مثل ضرب زيداً عمراً، أو مستتراً نحو ضرب عمراً، ففي كلتا الحالتين يبقى (عمراً) مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

2- المصدر:

والمراد به المفعول المطلق، « وسمي بذلك لأن الفعل يصدر عنه، ويسميه سيبويه الحدث والحدثان، وربما سماه الفعل»².

كما سمي بذلك « لأن من حقه أن لا يقيد بحرف من حروف الجر تقييد سائر المفاعيل، لأنه مفعول فحسب، والحدثان بمعنى الحادث، أمّا علة تسميته بالفعل لأنه يقوم مقام الفعل»³.

والمفعول المطلق هو الاسم المنصوب في قولنا: ضربت زيدا ضرباً، ف « ضرباً» مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص: 308.

² القاسم ابن الحسين الخوارزمي، (ت 617)، شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتحميم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ج1، ص: 296-297.

³ ينظر: المصدر نفسه: ص 297.

ولعل المتأمل للمعاجم العربية يلاحظ أنّ المصدر يذكر بعد تحديد الماضي ثم المضارع من أي فعل: وهو ما أكدّه صاحب التحفة السنّية بشرح الأجرومية بقوله أنّ المصدر « هو الاسم المنصوب الذي يجيء ثالثاً في تصريف الفعل، نحو ضرب، يضرب، ضرباً »¹.

3- التمييز:

يعد التمييز من المنصوبات التي ذكرها علماء اللّغة والنحو، جاء في شرح المفصّل أنّ «التمييز، ويقال له: التبيين، والتفسير، وهو رفع الإبهام عن الجملة أو مفرد بالنص، على أحد محتملاته، فمثاله في الجملة (طاب زيد نفساً)، و(تصبّب عرفاً)...، و(امتلاً الإناء ماء)»²، ويرد التمييز في التركيب اسماً مفرداً أو جمعاً.

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾³، وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾⁴.

فالكلمة: شيباً: تميز منصوب علامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وقد ورد هنا اسماً مفرداً.

أمّا "عُيُونًا" فهي أيضاً تمييز منصوب علامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وورد هنا بصيغة الجمع، فعُيون جمع "عين".

¹ محمد محي الدين عبد الحميد، التحفة السنّية بشرح الأجرومية، ص: 153.

² القاسم ابن الحسين الخوارزمي: شرح المفصّل في صنعة الإعراب، الموسوم بالتخمير، ج 1، ص: 447.

³ سورة مريم، الآية: 04.

⁴ سورة القمر، الآية: 12.

4-الحال:

هو اسم نكرة منصوب يبين هيئة صاحبه حين وقوع الفعل، « وهو ما دلّ على هيئة وصاحبها متضمنا ما فيه معنى، غير تابع ولا عمدة، وحقه النصب، وقد يجر بياء زائدة*»¹؛ ومثاله: جئت ماشيا، وخرج خائفا، و منه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾²؛ فكلمة "خائفاً" حال منصوب و علامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره .

5-المستثنى :

وقد صنّفه ابن يعيش ضمن المنصوب على المستثنى، قال الزمخشري : « المستثنى في إعرابه على خمسة أضرب؛ أحدها منصوب أبدا وهو على ثلاثة أوجه: ما استثني بـ «إلا من كلام موجب، وذلك (جاءني القوم إلا زيدا، و ب (عدا) و (خلا) بعد كل كلام»³. ومن أمثلة الاستثناء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾⁴؛ فكلمة (عجوزا): مستثنى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

ومن الأمثلة التي أوردها ابن يعيش عن المستثنى المنصوب بعد « خلا » و « عدا » أنك تقول: قام القوم خلا زيدا وعدا عمرا، وفي الكلام المنفي: « ما قام أحد خلا زيدا، و عدا عمرا ومنه قول الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل⁵

* ورد في شرح التسهيل أنّ الحال قد يرد مجرور بحرف الباء الزائدة في بعض النعوت، ومثال ذلك: مررت برجل متكئ، لأنّ المعنى المراد: مررت برجل في حال اتكاء، ينظر: جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجبالي الأندلسي (ت672هـ)، شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق عبد الرحمان السيد، هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990، ج 2، ص: 321.

¹ ابن مالك، جمال الدين ابن عبد الله محمد ابن مالك : تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد في النحو، المطبعة الميرية مكة، السعودية، ط1، 1319هـ، ص:34.

² سورة القصص، الآية: 21.

³ ابن يعيش: شرح المفصل، ج02، ص:46.

⁴ سورة الصافات، الآية: 134 - 135.

⁵ ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج2، ص: 49.

فلفظ الجلالة " الله " مستثنى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، إذ المعنى المراد: كل شيء باطل إلا الله عزوجل .

6- اسم لا النافية للجنس:

والمراد بها "لا" الناصبة العاملة عمل "إن"، قال ابن يعيش: قال جار الله (الزمخشري): «المنصوب بلا التي تنفي الجنس هي كما ذكرت محمولة عن إن، فلذلك نصب بها الاسم و رفع الخبر»¹، ومثل ذلك قولنا: لا رجل في الدار (بنصب رجل)، بمعنى جواب للسؤال هل في الدار من رجل؟ فيكون الجواب: لا رجل في الدار، فتعرب كلمة "رجل" اسم لا النافية منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

7- المنادى:

وهو الاسم المنصوب بفعل مضمر تقديره "أدعو" أو "أنادي"، قال السيرافي في هامش شرح الكتاب أن: «سيبويه وسائر البصريين جعلوا المنادى بمتزلة المفعول به، وجعلوا الأصل في كل منادى النصب، واستدلوا بنصبهم المنادى المضاف والموصول والنكرة ونعوتها، وقد ذكروا أن ما يقدر ناصبا هو (أدعو) أو (أنادي)»².

وبالتالي فعلة نصب «رجلاً» في قولنا: يا رجلاً هي كونها مفعول به لفعل محذوف، تقديره أدعو أو أنادي رجلاً؛ على اعتبار أنه منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وكثيرة هي مواضع نصب المنادى في القرآن الكريم، نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ

¹ القاسم ابن الحسين الخوارزمي: شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، ج 1، ص: 495.

² سيبويه الكتاب، ج 2، ص: 182.

أَلَكْتَبِ لِمَرْتَلِبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٧١﴾¹، ويصنف هذا النوع من المنادى بالمعرب .

● أمّا المنادى المبني فهو الذي يبنى على ما يرفع به في محل نصب،² وينقسم إلى قسمين:
أ- العلم المفرد: نحو يا عليّ أقبل .

ب- النكرة المقصودة: نحو: يا رجلُ أقبل، فكلّ من الكلمتين (عليّ) و (رجلُ) تعربان: منادى مبني على الضم في محل نصب.

ومن أمثلة المنادى المبني في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَصْلِحْ أَنْتَ بِنَايِمًا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾³، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾⁴.
8-المفعول من أجله:

ويسمى أيضا بالمفعول له، يراد به: «علة الإقدام على الفعل، وهو جواب لـ (مه) *، وذلك قولك : (فعلت كذا مخافة الشر) ... (وفعلت كذا أجل كذا)». ⁵ وعرفه النحويون بأنّه: « مصدر يأتي لبيان سبب الحدث العامل فيه، ولا بد أن يشاركه في الزمان وفي الفاعل». ⁶
ومن أمثلة المفعول لأجله قولنا: قمت إجلالاً لأستاذي، فالمفعول لأجله هنا هو (إجلالاً)، وهو عبارة عن مصدر، لأنّه جواب عن السؤال: لماذا قمت ؟ وهو يشارك هذا الحدث في الزمان لأنّ

¹ سورة آل عمران، الآية: 71.

² ينظر: عبده الراجحي في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 278-281.

³ سورة الأعراف، الآية: 77.

⁴ سورة الأعراف، الآية: 19.

* مه بمعنى : لماذا.

⁵ ابن يعيش: شرح المفصل في صنعة الإعراب، ج1، ص: 449.

⁶ عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 236.

القيام والإجلال حدثا في وقت واحد، ويشاركه في الفاعل؛ لأنّ القيام والإجلال صدرا من فاعل واحد، أمّا حكمه الإعرابي عند النحاة فهو النصب.¹

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله جلّ ثناؤه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾².

وقال تعالى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾³.

فكلمة (حذر) مفعول لأجله منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وكأنّها وردت جوابا للسؤال: لماذا يجعلون أصابعهم في آذانهم؟ والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (حسداً) فحكمها الإعرابي أنّها مفعول لأجله منصوب بالفتحة الظاهرة، وكأنّها وردت جوابا للسؤال لماذا يردونكم من بعد إيمانهم كفّارا؟

9- المفعول فيه:

والمراد به ظرفا الزمان والمكان، مثلما عبّر عنه صاحب التحفة السنية في شرح الأجرومية في القول الذي ذكرناه سابقا، قال سيوييه في حديثه عن باب ما ينتصب من الأماكن والوقت، معللاً سبب نصبها: « وذلك لأنّها ظروف تقع فيها الأشياء وتكون فيها، فانتصب لأنّه موقع فيها، ومكون فيها، وعمل فيها ما قبلها»⁴ وفصل عبده الراجحي في هذه المسألة بأكثر

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص: 236.

² سورة البقرة، الآية: 19

³ سورة البقرة، الآية: 109.

⁴ سيوييه: الكتاب، ج 1، ص: 303-304.

وضوح بقوله: « وقد سُمِّي ظرفاً لأنه لا يتصور وجود مكان أو زمان دون أن يكون هناك حدث يحدث فيهما، ولذلك يقدرّون الظرف بأنّ معناه حرف الجر (في)». ¹

ولهذا فقولنا مثلاً: حضر عليُّ يومَ الجمعة، فإنّ معناه: حضر علي في يوم الجمعة، ويضيف معللاً سبب تسميته بالظرف « لأنّ المكان أو الزمان وعاء يحتوي الحدث؛ أي أنّه ظرف والحدث مطروف فيه». ²

أمّا حكمه الإعرابي فهو النصب لفظاً أو محلاً، بشرط أن يتعلق الظرف بالحدث*، ومثال ذلك: أيجزر علي غدا؟ فكلمة غدا ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

10- خبر كان وأخواتها واسم إنّ وأخواتها:

يعد كل من خبر كان واسم إنّ وأخواتها من المنصوبات، قال صاحب المفصل: « لما شُبِّه العامل في البابين بالفعل المتعدي شُبِّه ما عمل فيه بالفاعل والمفعول » ³.

وعلة النصب هنا بحسب ما أورده ابن يعيش أنّه: « شُبِّه كل واحد من (كان)، و (إنّ) بالفعل المتعدي، لاقتضاء كل واحد منهما اسمين بعده» ⁴.

ومذهب جمهور النحاة أنّ (كان) وأخواتها و (إنّ) وأخواتها تدخلان على الجملة الاسمية؛ فأما (كان) وأخواتها فترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، وأما (إنّ)

¹ عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرف، ص: 240.

² المرجع نفسه، ص: 240.

* قد يعرب ظرف الزمان حسب موقعه من الجملة، وذلك في الحالة التي لا يتعلق فيها بالحدث (غير مشتمل على الحدث) نحو: اليومُ مشرقٌ، فاليوم هنا مبتدأ مرفوع بالضممة الظاهرة على آخره، و اليوم هنا (اسم محكوم عليه بحكم وهو الإشراق) و الجملة مبتدأ+ خبر، ينظر: عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 240.

³ ابن يعيش: شرح المفصل، ج 2، ص: 84.

⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص: 84.

وأخواتها فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها¹، ومن أمثلة ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾²، فكلمة غفوراً خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، أمّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾³، فلفظ الجلالة (الله) هو اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

11-التوابع:

يراد بالتوابع: « الأسماء التي لا يمسه الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها، وهي خمسة أضرب: تأكيد، وصفة، وبدل، وعطف بيان، وعطف بحرف ». ⁴ بمعنى أن التوابع هي الأسماء التي تتبع متبوعا في النصب أو الرفع أو الجر، وهذا تبعا للحركة الإعرابية التي تلحق متبوعها السابق لها، ومن النحاة من يحصرها في أربعة أوجه فقط، قال ابن مالك في ألفيته:

يتبع في الإعراب الاسم الأول نعت وتوكيد وعطف وبدل⁵.

وأهم أوجه نصب التوابع نذكرها في مايلي:

النعت: أوالصفة، في مثل شجعت الطالب المجتهد، فكلمة المجتهد هي نعت منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره .

التوكيد: وينقسم إلى قسمين: معنوي ولفظي.

1- المعنوي: ومن أشهر ألفاظه: نفس - عين - كل - جميع - عامة...

نحو: رأيت زيدا نفسه، فكلمة (نفس) هي توكيد منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

¹ ينظر: عبده الراجحي في التطبيق النحوي و الصرفي، ص: 111 و ص: 142.

² سورة النساء: الآية: 152.

³ سورة النور، الآية: 30.

⁴ ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص: 218.

⁵ محمد محي الدين عبد الحميد: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، ص: 299.

2- اللفظي: ويراد به تكرار المؤكد بلفظه، أو بما في معناه، ويعرب توكيدا لفظيا على نحو: أنصحك الاجتهاد الاجتهاد، فكلمة (الاجتهاد) الثانية هي توكيد لفظي منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره .

البدل: وهو تابع مقصود بالحكم، أي أن معنى الكلام يتوجه إليه وحده، ومع ذلك فهو يتبع اسما سابقا عليه يسمى المبدل منه «¹، وينقسم إلى عدة أقسام، ومن أمثله في النصب قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾².

فكلمة صراط الثانية هي بدل منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره³.

العطف : وينقسم إلى قسمين:

1- عطف البيان: مثل تلقيت منه كتابا رسالة، ف {رسالة} هي عطف بيان من (كتابا)

2- عطف النسق: وهو العطف بحرف من حروفه المعروفة،⁴ مثل قولنا: صافحت محمداً وزيداً، أو قولنا : صافحت زيدا ثم محمداً .

وتجدر الإشارة إلى أن التوابع لا تقتصر على النصب فحسب، بل يمكن أن ترد أيضا في حالتي الرفع والجر؛ بحسب الحركة الإعرابية التي تعرب بها المتبوعات السابقة لها ، وهذا على نحو ما سنرى لاحقا.

¹ عبده الراجحي: في التطبيق النحوي و الصرفي، ص: 338

² سورة الفاتحة، الآية: 06-07..

³ ينظر : عبده الراجحي في التطبيق النحوي و الصرفي، ص: 338.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 341-342.

المطلب الثالث: الوظيفة النحوية للضمة / ُ / :

من المعروف أنّ الصوائت العربية القصيرة الثلاث وجدت منذ التعقيد اللغوي من أجل التفرقة بين مختلف المعاني؛ سواء كانت دلالية أو صرفية أو نحوية، قال ابن يعيش في شرحه للمفصل عن القول في وجوه إعراب الاسم: « وهي الرّفْع والنّصب والجر، وكلّ واحد منها عَلِمَ على معنى، فالرّفْع علم الفاعلية والفاعل واحد ليس إلاّ، وأمّا المبتدأ و خبر "إنّ" و أحواتها و " لا " التي لنفي الجنس، واسم " ما " و " لا " المشتبهتين ب (ليس) ، فملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب»¹.

وبالتالي فعلامات الإعراب الثلاث إنّما هي معاني لمختلف الأسماء، وما تؤدّيه من وظائف نحوية متعددة، من مرفوعات ومنصوبات وغيرها.

وقد ذكرنا من قبل أنّ قدماء النحاة جعلوا الفتحة علما للفضلة في الكلام، في حين اعتبرت الضمة علما للعمدة؛ كما أشرنا إلى أنّهم اختاروا علامة النّصب للفضلة وهذا لكثرتها - الفضلة - واختاروا علامة الرّفْع (الضمة)؛ باعتبارها أثقل الحركات للمرفوعات، بدليل قلتها في كلام العرب.

ولعل الحديث عن المرفوعات في الكلام يقودنا حتما إلى فكرة الإسناد التي أشار إليها سيبويه في باب المسند والمسند إليه، واللّذين عرفهما بقوله: « وهما ما لا يَغْنَى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد منه المتكلم بدءا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبدُ الله ، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للإسم الأول بدءُ من الآخر في الابتداء»².

¹ ابن يعيش: شرح المفصل، ج 1، ص: 196.

² سيبويه: الكتاب، ج 1، ص: 23.

ويبدو من خلال هذا القول أنّ سيبويه قد أطلق مصطلح المبني على المبتدأ أو الخبر، قاصداً بذلك الإسناد؛ فالمبني عليه شيء؛ لا بد أن يكون هذا الشيء أساساً له حين يسند إليه، كما أنّ الإسناد لا يقتصر على الجملة الاسمية فحسب؛ بل يشمل الجملة الفعلية أيضاً، فالمبتدأ أو الفاعل، ونائب الفاعل مسند إليها، أمّا الخبر والفعل فهما مسندان؛ لأنّ الخبر لا بد أن يبنى على المبتدأ، والفعل لا بد له من اسم¹ (بمعنى فاعل).

ومن هنا يمكن لنا أن نجمل أهم المرفوعات التي أشار إليها الدارسون التحويون من خلال مؤلفاتهم، وفقاً لما تحكمه القواعد النحوية العربية:

1-الفاعل:

وهو الركن الأساسي في تركيب الجملة الفعلية، وحكمه الإعرابي هو الرفع، قال الزمخشري في تعريفه للفاعل: « هو ما كان المسند إليه، من فعل أو شبهه مقدماً عليه أبداً؛ كقولك: " ضرب زيدٌ " و " زيدٌ ضاربٌ غلامه " و " حسنٌ وجهه " ، وحقه الرفع ، ورافعه ما أُسندَ إليه »².

ولعلّ ما يوضح هذا التعريف بصورة أكثر قولنا: " قام زيدٌ " ، و " سيقوم زيدٌ " ، و " هل يقوم زيدٌ؟ " ، فكلمة (زيدٌ) في جميع هذه الأمثلة، هي فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، وفعل القيام مسند إليه (بمعنى مسند إلى زيد) ، ومقدم عليه سواء فعل أو لم يفعل، أمّا إذا قدم الفاعل عن فعله، فتتغير بالضرورة وظيفته النحوية فيصير مبتدأ، قال ابن يعيش معللاً سبب اختصاص الفاعل للرفع: « الضمة أثقل من الفتحة ، فأعطوا الفاعل الذي هو قليل ؛ الرفع الذي هو ثقيل، وأعطوا المفعول الذي هو كثير؛ النصب الذي هو خفيف »³.

¹ ينظر: عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د ط، 1988م، ص: 32.

² ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري ، ج 1، ص: 200.

³ المصدر نفسه: ص 202.

وقد يرد الفاعل ضميرا مستترا أو مصدرا مؤولا، فيكون حكمه البناء في محل الرفع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾¹، فالفاعل للفعلين (أسمع) و (أبصر) ضمير مستتر في محل رفع فاعل تقديره أنت.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾²، فالفاعل للفعل (يأن) هو المصدر المؤول (أن تخشع)، لأن تقدير الكلام: ألم يأن الخشوع للذين آمنوا.

2- نائب الفاعل:

يعد نائب الفاعل من المرفوعات وهو: « اسم يحل محل الفاعل المحذوف، ويأخذ أحكامه... ويصير عمدة لا يصح الاستغناء عنه، وحكمه الرفع »³.

ويرد نائب الفاعل اسما صريحا أو مؤولا، فالصريح في مثل قولنا: فُهِمَ الدَّرْسُ، "فالدرس" نائب فاعل مرفوع و علامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

أمّا المؤول فهو في مثل قولنا: عُلِمَ أَنْ زَيْدٌ نَاجِحٌ، فالمصدر المؤول من أَنْ ومعموليهما في محل رفع نائب فاعل، لأن تقدير الكلام: عُلِمَ نَجَاحُ زَيْدٍ.

وقد أطلق سيبويه على نائب الفاعل أو ما يسمّى في كلام العرب ببناء الفعل للمجهول حينما تحدث عن "باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول"، ومثّل له بقوله: « وذلك قولك: كُسِيَ عَبْدُ اللَّهِ الثوبَ، وَأُعْطِيَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَالَ، رَفَعَتْ عَبْدَ اللَّهِ هَهُنَا كَمَا رَفَعْتُهُ حِينَ قُلْتَ: ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ، وَشَغَلَتْ بِهِ كُسِي وَأُعْطِيَ كَمَا شَغَلَتْ بِهِ ضَرْبَ، وَانْتَصَبَ الثوبَ وَالْمَالَ لِأَتَهُمَا مَفْعُولَانِ تَعْدَى إِلَيْهِمَا فَعَلَ مَفْعُولٌ، وَهُوَ بِمَثَلَةِ الْفَاعِلِ »⁴.

وفي كلام سيبويه هذا إشارة واضحة على أنّ الفاعل يحذف عند بناء الفعل للمجهول، فيسند الفعل إلى المفعول به، وينوب عن الفاعل، ويكون له حق الرفع، ومن أمثلة ذلك أيضا

¹ سورة مريم، الآية: 38.

² سورة الحديد، الآية: 16.

³ عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 189.

⁴ سيبويه: الكتاب، ج 1، ص: 41-42.

قوله تعالى : ﴿ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ ﴾¹ ، فكلمة "الشمس" هي نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

3- المبتدأ والخبر:

صنّفهما سيبويه ضمن باب الإسناد حين قال: « وهما ما لا يَغْنَى واحد منهما على الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدْءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ». ² ولعلّه قصد بقوله : (المبني عليه)، الخبر باعتباره متمماً أساسياً للمبتدأ في تركيب الجملة الاسمية .

والمبتدأ والخبر ركنان أساسيان متلازمان تلازماً مطلقاً لا يمكن حضور أحدهما في غياب الآخر، فالمبتدأ هو الاسم الذي يقع في أول الجملة، لكي نحكم عليه بحكم ما، وهذا الحكم يتمثل في الخبر الذي يكمل الجملة الاسمية مع المبتدأ ويتم معناه الرئيسي³، ويشترط ذلك خلوهما من « العوامل التي هي (كان) ، و(إنّ)، و (حسبت) وأخواتها، لأنّهما إذا لم يخلوا منها، تلعبت بهما، و غصبتهما القرار على الرفع »⁴.

وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى أنّ رفع المبتدأ أو الخبر مرهون بتجردهما من النواسخ؛ التي تغيّر من حركة إعرابهما عند دخولها على الجملة الاسمية، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۝٥ ﴾⁵ ، فكلمة (محمدٌ) مبتدأ مرفوع علامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، أمّا كلمة (رسولٌ) فهي خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

4- اسم كان وأخواتها وخبر إنّ وأخواتها:

ذكرنا سابقاً خلال حديثنا عن المنصوبات أنّ "كان" وأخواتها تدخل على الجملة الاسمية؛ فترفع المبتدأ ويسمّى اسمها وتنصب الخبر ويسمّى خبرها، أمّا " إنّ " وأخواتها فتنصب المبتدأ ويسمّى اسمها وترفع الخبر ويسمّى خبرها، وهذا بحكم إجماع النحاة قاطبة، أمثال ابن مالك

¹ سورة القيامة، الآية: 09.

² سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 23

³ ينظر: عبده الراجحي: في التطبيق النحوي و الصرفي، ص: 78.

⁴ ابن يعيش: شرح المفصل، ج 1، ص: 221.

⁵ سورة الفتح، الآية: 29.

الذي اصطلح على الصنف الأول بـ «باب الأفعال الرَّافعة الاسم النَّاصبة الخبر»¹، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا﴾²، فكلمة (فؤادُ) هي اسم أصبح مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره*.

كما اصطلح على الصنف الثاني بـ «باب الأحرف النَّاصبة الاسم الرَّافعة الخبر»³، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁴، فكلمة (خبيرٌ) هي خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

5- خبر لا النافية للجنس:

"لا" النافية للجنس حرف يدخل على الجملة الاسمية، فيعمل فيها عمل "إن" من نصب المبتدأ، وتفيد نفي الحكم عن جنس اسمها⁵، وقد ورد في شرح المفصل أن هذا يرد في قول أهل الحجاز، ومثل له بقولهم: (لا رجلَ أفضلُ منك) و (لا أحدَ خيرُ منك)⁶، فالكلمتان (أفضلُ و خيرٌ) هما خبران لـ (لا) النافية للجنس مرفوعان بالضمة الظاهرة على آخره.

ومن النَّحاة من يسميها بالنافية للجنس على سبيل الاستغراق؛ لأنَّ نفيها يستغرق جنس اسمها كلّهُ، ومثال ذلك [لا انسان مخلدٌ] فهو نفي الحكم بالخلود عن جنس الانسان، بمعنى أنَّ النفي استغرق الجنس كله .

¹ ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، ص: 18.

² سورة القصص، الآية: 10.

* يضاف إلى أسماء كان وأحوالها الحروف العاملة عمل (ليس) وهي أربعة حروف تفيد معنى النفي ، وتعمل عمل ليس، فترفع المبتدأ و تنصب الخبر و هذه الحروف هي [ما - لا - لات - إن] وهذا في لغة الحجازيين ، نحو : (ما زيدٌ قائما) و (لا خير ضائعا) و (لات حين مندم) و (إن الخير ضائعا)، ينظر: عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 129-136.

³ ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، ص: 21.

⁴ سورة النور، الآية: 30.

⁵ ينظر: عبده الراجحي: في التطبيق النحوي والصرفي، ص: 167.

⁶ ابن يعيش: شرح المفصل، ج 1، ص: 262.

ويضاف إلى المرفوعات السالفة الذكر التوابع الأربعة [النعت، التوكيد، العطف، البدل]، والمتفق عليها عند جمهور النحاة، والتي ذكرناها سابقا مع المنصوبات، إذ أنها تابعة لمتبوعها في حركة الإعراب؛ من رفع أو نصب أو جر، ومن أمثلة ذلك في حالة الرفع: قوله تعالى: ﴿وَلَا كِنَّ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾¹، فكلمة (عليم) نعت مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾²، (كل) توكيد مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

كما يضاف إليها كذلك الأفعال المضارعة المرفوعة سواء بالضمة الظاهرة، في الأفعال الصحيحة نحو: أنا أكتبُ، وأنت تكتبُ، وهو يكتبُ، وهي تكتبُ، أو الضمة المقدرة في الأفعال المعتلة نحو أنا أقضي، وأنت تقضي، وهو يقضي، هي تقضي...

ونخلص مما سبق ذكره حول المرفوعات في الكلام العربي إنما جاءت في صورها النحوية للدلالة غالبا على العمدة في تركيب الكلام؛ والذي يشكل المحور الأساسي الذي تبنى عليه التراكيب النحوية، وهذه العمدة تتمثل غالبا في الفاعل والمبتدأ والخبر.

كما لاحظنا قلة المرفوعات مقارنة بالمنصوبات، لذلك اختير الصائت القصير (الضمة) حركة إعرابية للمرفوعات باعتبارها أثقل الصوائت، ولعل هذا ما يثبت رأي ابن جنّي في تعليقه لاختيار العرب الضمة للمرفوعات؛ لأنها أقوى الصوائت العربية فجعلوها لما يستثقلونه في كلامهم نظرا لقلته، في حين اختاروا الفتحة لخفتها لما يستخفون به في كلامهم³.

¹ سورة النور، الآية: 21.

² سورة ص، الآية: 73.

³ ينظر ابن جنّي: الخصائص، ج1، ص: 49.

المطلب الرابع: الوظيفة النحوية للكسرة / — /

أجمع علماء العربية على أن الصائت العربي القصير [الكسرة] علم الإضافة، قال صاحب المفصل لما تحدث عن علامات الإعراب؛ والتي تشمل الصوائت العربية القصيرة الثلاث المتمثلة في: «الرفع والنصب والجر*»، وكل واحد منها علم على معنى، فالرفع علم الفاعلية... والنصب علم المفعولية.. والجر علم الإضافة»¹، وقد سبق وأن أشار سيبويه إلى اعتبار الكسرة علم إضافة لما قال: «والجرُّ إنّما يكون في كل اسم مضاف إليه، واعلم أنّ المضاف إليه ينجر بثلاثة أشياء: بشيء ليس باسم ولا ظرف، وبشيء يكون ظرفاً، وباسم لا يكون ظرفاً. فأما الذي ليس باسم ولا ظرف فقولك: مررتُ بعبد الله، وهذا لعبد الله.. وأما الحروف التي تكون ظرفاً، فنحو خَلْفَ و أَمَامَ و قُدَامَ و وَرَاءَ و فَوْقَ و تَحْتَ... وأما الأسماء فنحو: مثل وغير وكلّ وبعض ومثل ذلك الأسماء المختصة»².

يكشف لنا هذا النص بصورة واضحة عن أقسام المجرورات في الكلام والتي حصرها سيبويه في ثلاث مواضع:

1- المجرور بحرف من حروف الجر المعروفة: نحو اللام وكاف التشبيه ومن وفي وعن ورُبَّ...، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾³، فكلمة «الليل» اسم مجرور بمن و علامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وكذلك كلمة «صدفة» من المثل المشهور «رُبَّ صُدْفَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِيعَادٍ».

* الجرُّ هو من عبارات البصريين أمّا الخفض فهو من عبارات الكوفيين. (ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، ص:123).

¹ ابن يعيش: شرح المفصل، ج 1، ص:196.

² سيبويه: الكتاب، ج 1، ص : 419-420.

³ سورة الإنسان، الآية: 26.

2- المجرور بظرف من ظروف الزمان أو المكان نحو: خلف، وأمام، وقدام، و وراء، و فوق، وتحت، وقبل، وبعد... نحو قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾¹، فكلية (كل) اسم مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

3- الأسماء :

وقصد بها: غير وكل وبعض ومثل، ومن ذلك قولنا حضر بعض الطلاب، وقد تكون بمعنى « الملك أو الاختصاص »²، نحو: (غلام زيد) أو (مال زيد).

أما التوابع فقد ذكرنا أنها مصطلحات نحوية؛ وتشمل الأسماء التي لا يمسّها الإعراب إلاّ على سبيل التبع لغيرها، وقد ذكرناها مع المنصوبات والمرفوعات، ونذكرها كذلك مع المجرورات، ومن صور التوابع التي لحقت متبوعاتها في الجرّ ما أشار إليه سيبويه في باب مَجْرَى النعتِ على المنعوتِ والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك، ومن ذلك قوله : « فأما النعت الذي جرى على المنعوت فقولك : مررت برجلٍ ظريفٍ قبلُ، صار النعت مجرورا مثل المنعوت لأتّهما كالاسم الواحد »³، وقال في موضع آخر: « هذا باب المُبدَل من المُبدَل منه والمبدل يشرك المبدل منه في الجرّ »⁴.

ومن مواضع النعت المجرور قوله جلّ ثناؤه في وصفه لأهل الجنة: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾⁵ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ⁶ وَظِلِّ مَمْدُودٍ⁷ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ⁸ وَفَلَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ⁹، فالكلمات: مخضود، منضود، ممدود، مسكوب، كثيرة، كلها صفات مجرورة بالكسرة الظاهرة على آخره.

ومن مواضع العطف قوله سبحانه و تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُؤٌ لَّيْلٍ وَنَهَارٍ﴾⁶.

¹ سورة يوسف، الآية: 76.

² ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج 2، ص: 126.

³ سيبويه: الكتاب، ج 1، ص: 421.

⁴ المصدر نفسه، ص: 439.

⁵ سورة الواقعة، الآيات : 28-29-30-31-32.

⁶ سورة سبأ، الآية: 33.

والجدير بالذكر أنّ المحدثين من صنف باب بأنّ الإضافة ضمن القرائن اللفظية حيث سمّاها تمام حسان بـ«التضام»، والمراد به: «أنّ يستلزم أحد العنصرين التحليلين التحوين عنصرا آخر فيسمّى التضام هنا (التلازم)»¹، وهذا على اعتبار أنّ المضاف والمضاف إليه متلازمان، ولا يمكن الفصل بينهما.

ونخلص مما سبق ذكره أنّ للكسرة وظيفة نحوية متميزة تكمن أساسا في كونها علم الإضافة، فهي ذات دلالة نحوية متعددة، غير أنّنا لاحظنا أنّ توظيفها قليل إذا ما قورن بالفتحة والضمة، خاصة مع انعدامها في الأفعال إلّا للضرورة كالتقاء الساكنين في مثل (لا تنكر الحق)².


ومجمل القول أنّ الصوائت العربية القصيرة تساهم في توضيح العلامات الإعرابية لمختلف البنى الصوتية، مما يسهم في بناء التراكيب وتحديد الدلالات النحوية، لذا فاللغة العربية تعتمد على هذه المورفيمات الصوتية؛ والتي هي بدورها عناصر صوتية دالة على معانٍ نحوية من شأنها إبراز المعنى المقصود، وهذا ما يثبت دور الصوائت العربية القصيرة في الإفصاح عن الإعراب، ومن ثمة كان لهذا الأخير علاقة وثيقة بعلم النحو لدرجة أنّه يصعب التفريق بينهما .

كما أنّنا سجلنا اختيار العرب صائت الفتحة لختته؛ فجعلوه للمنصوبات نظرا لكثرتها في الكلام، في حين اختاروا الضمة للمرفوعات؛ لثقلها وقتلتها، وفي المقابل كان توظيف الكسرة ضئيلا مقارنة بالفتحة والضمة كونه يعبر عن الإضافة والتوابع لا غير.

¹ تمام حسان: اللغة معناها و مبناها، ص: 217.

² ينظر: مكّي درار، الوظائف الصوتية و الدلالية للصوائت العربية، ص: 120.

المبحث الثاني: الدراسة الصرفية للصوائت العربية القصيرة

المطلب الأول: تعريف الصّرف 

المطلب الثاني: دور الصّوائت في تشكيل البنى الصرفية 

الاسمية والفعلية

المطلب الثالث: تعامل الصوائت فيما بينها 

المطلب الرابع: الاشتقاق 

اللغة العربية - كغيرها من لغات العالم - تعتمد في دراسة نظامها اللغوي على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ولا يمكن ضبط هذا النظام اللغوي وإحكامه إلا بالاستناد على المستوى الصوتي، وقد تنبه علماء العربية القدامى إلى العلاقة التي تجمع بين علمي النحو والصرف، حيث اعتبروا أن البحث الصرفي مقدّمة للبحث في ميدان النحو، قال ابن جنّي: «فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو، أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتقلبة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً، بُدئ قبله بمعرفة "النحو"، ثمّ جيء به بعد ليكون الارتياض في النحو موطناً للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال»¹.

وقال ابن عصفور (669هـ): «وقد كان ينبغي أن يُقدّم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركّب ينبغي أن تكون مقدّمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب إلا أنه أُخّر لُطْفِهِ ودِقَّتِهِ، فجُعِل ما قدّم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل إليه الطالب إلا وهو قد تدرّب وارتاض القياس»².

بناء على ما تقدّم يبدو أن دراسة علم الصرف أولى من دراسة علم النحو؛ وحتى عن باقي الدراسات اللغوية (الصوتية والنحوية والدلالية)، أمّا علّة تأخير دراسة هذا العلم فتعود لصعوبة وتشابك الدراسة الصرفية من جهة؛ ومن جهة أخرى فإنّ البحث في علم الصرف يعتبر مقدّمة البحث في مجال النحو أو خطوة تمهيدية له، غير أنّ وقوع علم الصرف في ذلك الموقع مرده إلى اعتماده في مسائله وقضاياها على نتائج البحث الصوتي، كما أنّه في الوقت ذاته يخدم النحو ويسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها، ومن ثمة فهو وسيلة وطريقة من طرق دراسة التركيب والنص اللذين يقوم بالنظر فيهما علم النحو، لهذا لا يجوز عزل أحد هذين العلمين عن الآخر

¹ ابن جنّي (أبو الفتح عثمان)، المنصف، شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث، القاهرة، مصر، ط 1، 1954م، ج 01، ص: 04-05.

² ينظر: ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن أحمد بن محمد الإشبيلي) [597-669هـ]، المتع الكبير في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص: 33.

في النظر والتطبيق؛ لأنّ مسائلهما متشابكة إلى حد كبير، كما أنّ قيمة البحث في علم الصّرف تظهر من خلال خدمته للجملة والتركيب¹.

وقد شغل موضوع علم التصريف تفكير علماء اللّغة منذ زمن سحيق؛ باعتباره ميزان العربيّة، وأشرف مجالات علومها، حيث اعتبره ابن جنّي العلم « الذي يحتاج إليه جميع أهل العربيّة أتمّ حاجة، وبهم إليه أشدُّ فاقة، لأنّه ميزان العربيّة، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الدّاخلية عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به²».

يكشف لنا هذا النقل عن ابن جنّي أنّ للتصريف دوراً كبيراً في دراسة مباني اللّغة العربيّة، وأنّه معيار معرفة أصول كلام العرب من فروعه، ولعلّ الضابط في هذا التصريف هو الصوائت العربيّة خاصة القصيرة منها على نحو ما سنرى، لما لها من دور أساسي في تلوين الصوامت التي تساهم في ضبط وتشكيل مختلف البنى الصّرفية. وعليه سأحاول من خلال هذا المبحث أن أسلط الضوء عن أبرز المسائل الصّرفية التي تتعلق بالصوائت العربيّة القصيرة؛ وذلك من حيث:

- دور الصوائت العربيّة القصيرة في تشكيل المباني الصّرفية بنوعيتها: الاسميّة والفعليّة.

- تعامل الصوائت في ما بينها، وما يطرأ عليها من تعليل بعض المسائل الصّرفية كالإعلال والإبدال.

- الاشتقاق ودور الصوائت العربيّة القصيرة في صياغة مختلف المباني الصّرفية.

وقبل الولوج في هذه المسائل الصّرفية يحسن بنا أن نعرّج على مفهوم علم الصّرف علماء اللّغة.

¹ ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، ص: 220.

² ابن جنّي: المنصف، ج 01، ص 02.

المطلب الأول: تعريف الصرف

أ- لغة: التقلب والتغيير والتحويل، وقد وردت مادة "صرف" في القرآن الكريم في مواضع عديدة تفيد كلهما معنى "التغيير والتحويل" منها قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾²، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾³، أي صرفها من جهة إلى جهة أخرى⁴.

ب- اصطلاحاً: فهو: «علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب»⁵.

بمعنى أنه علم يدرس التغيير الذي يطرأ على الكلمة وأبنيتها المختلفة .

غير أن من المحدثين من يرى أن القدماء يعتبرون كلاً من الصرف والتصريف بمعنى واحداً، يقول عبد الصبور شاهين في شرحه لتعريف الصرف عند القدماء السالف الذكر: « وهذا هو أيضا المراد بالتصريف عندهم بالمعنى العلمي، أمّا المقصود بالمصطلحين بالمعنى العلمي فهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلاّ بها »⁶، وفي تفريقه بين مصطلحي الصرف والتصريف يضيف قائلاً: «ونحن نرى أنّ المقصود بالمعنى العلمي هو مدلول (التصريف)، ومن ثم يتخصص كل من المصطلحين للدلالة واحدة، وبذلك يقترب معنى الصرف من معنى مصطلح (المورفولوجيا) في الدراسة اللغوية الحديثة»⁷.

¹ سورة يوسف، الآية: 24.

² سورة يوسف، الآية: 34.

³ سورة البقرة، الآية: 164.

⁴ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المجلد الرابع، مادة (صرف)، ص 2434.

⁵ رضي الدين الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 1، ص 01.

⁶ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 23.

⁷ المرجع نفسه، ص: 23.

وعلى أية حال فالصرف هو تحديد لهياة الكلمة، وما يطرأ عليها من تغيير عندما يتعلق الأمر بالأبنية والاشتقاقات، سواء في صوامتها أو في صوائتها، ولكنّه لا يدخل في إطار تحديد وظيفة الكلمة في الجملة أو التركيب، كالإبدال والقلب، والتعريف والتنكير...¹

ولعل الضابط في تغيير المباني الصرفية وتنوعها وتعدد دلالتها هو الصنف الثاني من الأصوات اللغوية (الصوائت).

فمن خصائص اللّغة العربية أنّها: « اعتمدت في تغيير معاني الكلمة المكوّنة من مجموعة الصوائت على تغيير حركات هذه الصوائت فالأحرف الثلاثة - غالباً - الصامتة ، هي التي تكون هيكل الكلمة، وتشتمل على مدلولها ، لكن هذا المدلول لا يبقى على حاله متى تغيرت الحركات، فالفرق بين عَلِمَ (alim) وَعَالِمٌ (alim) ليس إلاّ في طول الحركة الأولى؛ حركة العين ، ومع ذلك فإنّ هذا الطول قد غير معنى الكلمة من كونها فعلاً تام الحدّث؛ إلى كونها اسم فاعل يوصف به صاحب الحدّث».²

وما يزيد من وضوح هذا القول هو الأثر الواضح، الذي تجسده الصوائت في تشكيل مختلف المباني الصّرفية بنوعيتها (الاسميّة والفعليّة) انطلاقاً من الجذر اللّغوي الثلاثي الواحد (ف-ع-ل).

¹ ينظر: ديزيرة سقال ، الصرف وعلم الأصوات، ص10.

² عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د.ط ، د.ت، ص:283 .

المطلب الثاني: دور الصوائت في تشكيل البني الصرفية الاسمية

والفعلية

1- دور الصوائت في تشكيل البني الصرفية الاسمية:

إنّ لعلم الأصوات علاقة وثيقة بعلم الصّرف، حيث تسجل الظواهر الصوتية حضوراً متميّزاً في تحديد مختلف الوحدات الصّرفية، بل إنّ الدّراسات الصّرفية تبقى عاجزة ما لم تستند على علم الأصوات، فتعليل الكثير من الظواهر الصّرفية موقوف على هذا العلم.

والمتتبع لأثر الصوائت العربيّة - خاصة القصيرة منها - في تشكيل المباني الصّرفية الاسمية يقف على حقيقة هذه الوظيفة الصّرفية الهامّة، إذ يمكن التميّز بين مبني صرفي اسمي وآخر متفقين في الأصوات المكونة لهما (الصوائت)؛ من خلال التغيّر الذي تحدده الصوائت في كل واحد منهما.

ولنا في هذا المقام أن نورد بعض الأمثلة حول جموع التكسير باعتبارها: «من أهم الأبواب التي تتجلى فيها ظاهرة التحوّل الداخلي في الكلمة العربيّة، فهو ليس جمعا يعتمد على لاحقة كالجمع السالم، وإنّما يعتمد على تغيّر الحركات مع ثبات الصوائت في مواضعها، وهو بذلك يدل على مرونة اللّغة العربيّة، وخصوبتها في إنسال الصيغ المختلفة من المادة الواحدة».¹

يكشف لنا هذا النص أنّ جمع التكسير من بين الظواهر اللّغوية الصّرفية؛ التي تؤدي فيها الصوائت وظيفة بارزة عن طريق التحويلات الداخليّة للبنية الصوتية الواحدة، والتي من شأنها أن تساهم في توليد العديد من الصيغ انطلاقاً من جذر لغوي واحد، ولتوضيح هذا أكثر أورد عبد الصبور شاهين أمثلة عن جموع التكسير؛ صنّفها على شكل مجموعات تصنيفاً يخضع لأوزان التكسير، ومرتبة صوتياً، نذكر منها المجموعة الأولى التي تعتبر أبسط أنواع الجموع

¹ عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي في النية العربية ، ص 133

تكوينها؛ لأنها تقتصر على الصوامت الثلاثة مع التغيير في الحركات (الصوائت)، فتتحقق بذلك الصيغة المرادة.

وأوزان هذه المجموعة هي: [فُعْل - فَعْل - فُعْل - فُعُول - فَعَل - فِعَال]¹.

والمأمل في هذه المجموعة يلاحظ أن هذه الصيغ السالفة الذكر، تشترك في عدد صوامتها وتسلسلها، أمّا الفارق بينها يكمن في الصوائت وتوزيعها وصفتها من حيث القصر أو الطول، فالصيغ [فُعْل - فُعْل - فُعْل] هي مباني صرفية، لا يتغير فيها الجذر اللغوي، إذ يرد بنفس الصوامت المكوّنة له؛ بينما يتضح الاختلاف في عملية توزيع الصوائت القصيرة الثلاث من [ضم ، وفتح وكسر].

أمّا صيغتا (فُعُول، و فِعَال) فهما بنيتان صرفيتان شبيهتان بصيغتي (فُعْل و فَعْل) على الترتيب، وما الفارق بينهما إلا في طول ضمة العين (فُعْل و فُعُول)، وطول الفتحة بين (فِعَال و فِعَال).

- ومن أمثلة هذه الأوزان :

- 1- فُعْل : وهو جمع ل « أَفْعَلْ » أو « فَعْلَاء » نحو: أحمر أو حمراء، وجمعه حُمْرٌ.
- 2- فُعْل : ومفرده «فُعْلَةٌ» نحو: قُرْبَةٌ - مُدَّة - غُدَّة وجمعها على الترتيب: قُرْبٌ، مُدَدٌ، غُدَدٌ.
- 3- فُعْل : ومفرده نحو: فِعَال ، مثل : كِتَابٌ وجمعه كُتُبٌ .
- 4- فُعُول : ومفرده على وزن « فَعْل » نحو: كَبِدٌ، أو الثلاثي الساكن العين نحو: فُلْسٌ - كَأْسٌ وجمعها: فُلُوسٌ وكُؤُوسٌ.
- 5- فِعَال : ومفرده على وزن (فِعْلَةٌ) نحو : حِجَّةٌ و جَمْعُهَا : حِجَجٌ.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 134

6- فِعَال: ومن أوزان مفرده: « فَعَلَ » نحو: جَمَلَ و جَبَلَ، وجمعها: جِمَالٌ و جِبَالٌ.¹

يتضح من خلال الأمثلة السابقة أنّ عملية توزيع الصوائت القصيرة فيما بينها، أو بمشاركتها في هذه العملية أحيانا الصوائت الطويلة أعطتنا ست صيغ صرفية لجموع التكسير متحدة الجذر اللغوي [ف-ع-ل]، ولكل صيغة دلالتها الصرفية وخصوصيتها.

وإذا تأملنا المجموعة الثالثة؛ والتي تعمدت على الجذر «ف-ع-ل» مع زيادة لاحقة (التاء) على شكل [فعلة] نجدها تنقسم إلى أربعة أوزان وهي:

- 1- فِعْلَةٌ ← نحو: صَبِي ← صَبِيَّةٌ، فَتَى ← فَتِيَّةٌ.
- 2- فِعْلَةٌ ← نحو: قِرْد ← قِرْدَةٌ.
- 3- فِعْلَةٌ ← نحو: سَاحِر ← سَحْرَةٌ.
- 4- فِعْلَةٌ ← نحو: قُضِيَّةٌ ← قُضَاةٌ.

فالتأمل لهذه الصيغ الأربعة، التي هي على وزن «فعلة» يلاحظ تعدد صيغها الصرفية من حيث الأوزان، وهذا بواسطة تبادل الصوائت العربية القصيرة الثلاثة، دون أن تشاركها الصوائت الطويلة في هذا التبادل.

2- دور الصوائت في تشكيل المباني الصرفية الفعلية:

تؤدي الصوائت العربية وظيفة صرفية هامة في تشكيل المباني الفعلية، والتي من شأنها أن تساهم في التفرقة بين معاني الأفعال المتحدة الصوامت، فالصيغة الثلاثية [فعل] تتفرع منها أربعة أوزان مختلفة، أمّا الضابط في التمييز بين هاته الأوزان فهو توزيع الصوائت، قال ابن جني: « وأمّا الأفعال الثلاثية التي لا زيادة فيها فعلى ضربين: فعل مبني للفاعل، وفعل مبني

¹ ينظر: عبده الراجحي: المنهج الصوتي في البنية العربية، ص 134 إلى 136.

للمفعول، فالمبني للفاعل على ثلاثة أضرب [فَعَلَ و فَعِلَ و فَعُلَ] ، فمثال « فَعَلَ » يكون متعديا وغير متعد، فالمتعدى نحو: (ضَرَبَ و قَتَلَ)، وغير المتعدى نحو (جَلَسَ و نَهَضَ) و « فَعَلَ » يكون متعديا وغير متعدي ، فالمتعدى نحو (شَرِبَ و رَكِبَ)، وغير المتعدى نحو (سَلِمَ و قَدِمَ)، وفَعُلَ لا يكون أبدا إلا غير متعد؛ لأنه إنما جاء في كلامهم للهيئة التي يكون عليها الفاعل لا لشيء يفعلُه قصدا لغيره نحو (شَرُفَ و ظَرُفَ)¹.

وقال في موضع آخر: « فجميع الأفعال الثلاثية لا تكون عين الفعل منها إلا متحركة، وإن أسكنت فإلعة دخلتها وأصلها الحركة، فهذه الأمثلة هي المبنية للفاعل ».²

وقال في خضم حديثه عن الفعل المبني للمجهول: « وأما الفعل المبني للمفعول، فعلى مثال واحد وهو (فَعِلَ)، نحو (ضَرَبَ و قُتِلَ)، وهذا أصله (فَعَلَ أو فَعِلَ)، ثم نُقِلَ فَجُعِلَ حديثا عن المفعول، ألا ترى أن (ضَرِبَ منقول من ضَرَبَ ، ورُكِبَ منقول من رَكِبَ)، ولا يكون فَعِلَ منقول من فَعُلَ أبداً ؛ لأن فَعُلَ لا يتعدى ، والفعل لا ينقل إلى فَعِلَ حتى يكون متعديا قبل النقل ».³

يتضح من جميع الأقوال السالفة الذكر أن تغيير الصوائت القصيرة للصيغة الثلاثية [فعل] ينتج عنه أربعة تشكيلات صرفية، تنقسم بدورها إلى ثنائيتين مختلفتين:

الثنائية الأولى: وتعبّر عن ظاهرتي اللزوم والتعدى؛ حيث إن صيغتي [فَعَلَ و فَعِلَ] هما للفعل المتعدى، أما صيغة [فَعُلَ] فهي خاصة بالفعل اللازم.

¹ ابن حنّو (أبو الفتح عثمان): المنصف - شرح كتاب التصريف - للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، مصر، ط 1 ، 1954م، ج 1، ص: 20-21.

² المصدر نفسه، ص: 23.

³ المصدر نفسه، ص: 23 - 24 .

أمّا الثنائية الثانية: فتعبر على ظاهري بناء الفعل للمعلوم أو المجهول، فالفعل المبني للمعلوم تمثله الصيغ الثلاثية الثلاث [فَعَلَ فَعِلَ فَعُلَ]، أمّا الفعل المبني للمجهول فتعبر عنه صيغة [فَعِلَ] .

ولعلّ الحديث عن دور الصوائت العربية القصيرة في تشكيل البنى الفعلية يقودنا حتماً إلى الحديث عن قضية المغايرة بين الماضي والمضارع، حيث تنبّه علماء العربية القدامى لهذه الظاهرة، قال ابن جنّي: « وذلك أنّه قد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع، إذ الغرض في صيغ هذه المثل إنّما هو لإفادة الأزمنة، فَجُعِلَ لكل زمان مثال مخالف لصاحبه، وكلّما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوّة الدلالة على الزمان، فمن ذلك أن جعلوا بإزاء حركة فاء الماضي سكون فاء المضارع، وخالفوا بين عينيّهما ، فقالوا : ضَرَبَ يَضْرِبُ، وَقَتَلَ يَقْتُلُ، وَعَلِمَ يَعْلَمُ »¹.

وقال في كتابه المنصف متحدّثاً عن الفرق بين [فَعَلَ يَفْعَلُ] و [فَعَلَ يَفْعُلُ] : « لأثّهم أرادوا أن تخالف حركة العين في المضارع حركتها في الماضي؛ لأنّ كل واحد منهما بناءً على حياله، فجعلوا مضارع [فَعَلَ يَفْعَلُ] ومضارع [فَعَلَ] في أكثر الأمر [يَفْعُلُ]، لمقاربة الكسرة الفتحة، واجتماعهما في مواضع كثيرة، وإمالة كل واحدة إلى صاحبتهما »².

بناءً على ما تقدّم يبدو أنّ قدماء العربية قد أولوا عناية واضحة بما تؤديه الصوائت القصيرة في التفرقة بين صيغ الأفعال وأزمنتها وأوزانها الخاصة بها أثناء التحويل من بنية فعلية إلى أخرى. وغير بعيد عن هذه المسلمات، فقد ذهب الدارسون المحدثون إلى أنّ رأي ابن جنّي هذا «تؤيده القوانين الصوتية الحديثة التي تجعل الضمة والكسرة أصواتاً ضيقة close، يقابلهما

¹ ابن جنّي: الخصائص، ج 1، ص: 375.

² ابن جنّي: المنصف، ج 1، ص: 187.

الفتحة التي هي الصوت المتسع open، فإذا أردنا أن نخالف بين الماضي والمضارع اخترنا للأول الضمة أو الكسرة، و اخترنا للمضارع الفتحة، أو العكس بالعكس¹.

ونفهم من قول إبراهيم أنيس هذا أن الدارسين المحدثين قد تبعوا القدامى في الاعتماد على قانون المغايرة بين الصوائت العربية القصيرة؛ من أجل التحول بين الصيغ الصرفية من حيث الزمن من الماضي إلى المضارع، ولتوضيح هذا أكثر لنا أن نختار أبنية الأفعال الثلاثية المجردة، التي تخضع لستة أبواب ثابتة ذكرها الصرفيون العرب كما يأتي:

فَعَلَ ← يَفْعَلُ : فَتَحَ - يَفْتَحُ

فَعَلَ ← يَفْعُلُ : نَصَرَ - يَنْصُرُ

فَعَلَ ← يَفْعِلُ : ضَرَبَ - يَضْرِبُ

فَعَلَ ← يَفْعَلُ : فَرِحَ - يَفْرَحُ

فَعَلَ ← يَفْعِلُ : حَسِبَ - يَحْسِبُ

فَعَلَ ← يَفْعُلُ : كَرُمَ - يَكْرُمُ².

ومما لا شك فيه أن الدارسين الصرفين قد لجأوا إلى هذا التصنيف اعتمادا على السماع لا القياس، حيث إن هذه الأبواب لا تخضع حتما لقاعدة واحدة، بدليل أن الضابط لقواعد هذه الصيغ قد حفظته نصوص القرآن الكريم، لذا يجب النظر إلى أبواب الثلاثي كما رواها النحاة، منتقاة من العديد من اللهجات، وهو ما يؤدي حتما إلى العدول أحيانا عن هذه القواعد لسبب يتعلق غالبا باللهجة³.

¹ إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1978 م، ص: 49.

² ينظر: غالب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، ص: 253.

³ ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 2003، ص: 146.

المطلب الثالث: تعامل الصوائت العربية فيما بينها

للصوائت العربية دور كبير في تفسير بعض المسائل الصرفية، كمصطلح الإعلال والذي يقابله مصطلح الإبدال،* وكلاهما مصطلحان صرفيان يعبر كل منهما عن تغيير تتعرض له بنية الكلمة العربية .

وما يعنينا في هذه الدراسة هو مصطلح الإعلال الذي عرفه عبد الصبور شاهين بأنه يعبر عن: « ما تتعرض له أصوات العلة من تغييرات بحلول بعضها محل بعض، وهو ما يسمونه [بالإعلال بالقلب]، أو بسقوط أصوات العلة بكاملها، ويسمونه [الإعلال بالحذف]، أو بسقوط بعض عناصر صوت العلة، وهو ما يسمونه [الإعلال بالنقل] أو [التسكين]»¹.

ومن الأمثلة التي توضح أشكال الإعلال الثلاثة ما يلي:

1- الإعلال بالقلب: وذلك مثل : عَجَائِزُ ، جمع عجوز، إذ الأصل : عَجَاوِزُ، حيث قلبت الواو همزة.

2- الإعلال بالحذف: مثل يَعِدُ، مضارع (وَعَدَ)، إذ الأصل يَوْعِدُ، فحذفت الواو للثقل.

3- الإعلال بالنقل: مثل: يَقُولُ، والأصل: يَقُولُ.²

ومن الأمثلة التي أشار إليها علماء الصرف عن الإعلال بالحذف : فعل الأمر « قُلْ»، وأصله: قُولٌ من [أَقُولُ]، فنقلت الضمة من الواو إلى القاف، فاستغني عن همزة الوصل لتحرك

* مصطلح « الإبدال » أعم من مصطلح « الإعلال » ، لأنه يشمل جميع حالات التبادل بين الأصوات الصحيحة والمعتلة، فإذا خص التغيير في أصوات العلة بمصطلح « الإعلال » (الصوائت)، كان مدلول الإبدال فيما عدا ذلك، بمعنى الأصوات الصامتة ، وقد عالج قدماء العربية موضوع الإبدال و أفردوا له مؤلفات مستقلة نذكر منها كتاب (القلب و الإبدال) لابن السكيت ، و (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي [ينظر عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي في البنية العربية، ص: 167].

¹ عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي في البنية العربية ، ص: 167 .

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 167

الحرف الأول من الكلمة (القاف)؛ فصار الفعل [قُولُ] ، فلما التقى ساكنان وهما الواو و اللام ، حذفت الواو للالتقاء الساكنين، و عوض عنها بصائت قصير مماثل لها في المخرج والصفة وهو الضمة، فأصبحت الصيغة «قُلُّ».

كما أشار غالب فاضل المطلبي إلى أنه من مظاهر الإعلال بالحذف ما يحدث في حالة وقوع الواو نصف المد الساكنة؛ (بمعنى نصف صامت) بين ياء مفتوحة وصامت متبوع بكسرة في الأفعال المضارعة، وهي الأفعال التي فاءها واو، وهو وضع يشير إلى حالة تنافر بين هذه الأصوات فكان أن سقط صوت الواو، ومن أمثلة ذلك :

- يَزِنُ، من الفعل (وَزَنَ)¹ والأصل : يَوْزَنُ .

- يَرِدُ، من الفعل (وَرَدَ)، والأصل : يَوْرَدُ.

فالظاهر أنّ الواو قد حذفت من المضارع الأصلي للفعالين [يَوْزَنُ، يَوْرَدُ]؛ فتحولاً إلى [يَزِنُ، يَرِدُ]، تفادياً للثقل.

وفي هذا إشارة واضحة إلى ميل الناطق للانسجام بين الصوائت في بنية الكلمة العربية؛ قصد الخفة وكراهية الاستثقال في الأداء النطقي.

¹ ينظر : غالب فاضل المطلبي ، في الأصوات اللغوية ، ص : 269 .

المطلب الرابع: الاشتقاق

للسوائت العربية تأثير كبير في تنويع الصيغ الصرفية؛ فصيغة (فعل) مثلا تجعلها السوائت القصيرة فعلا أو صفة أو اسما؛ وذلك إذا قلنا : فَعَلَ - فَعِلٌ - فَعُلٌ.

وللسوائت الطويلة أيضا أثر بارز في تنويع الصيغ الصرفية انطلاقا من بنية لغوية واحدة على نحو : [فعل - فاعل - مفعول - و فعيل ...]، فدخول الصائت الطويل (الألف) بين الفاء والعين يؤدي إلى تكوين اسم الفاعل، وهو ما يندرج ضمن أساسيات علم الصرف، أو ما يسميه الدارسون المحدثون بالفونولوجيا [phonologie]، وهذا ما يقودنا حتما، إلى الإشارة إلى ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية.

تعريف الاشتقاق:

يراد بالاشتقاق: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة، كضارب من ضرب و حَذِر من حَذَرَ»¹، وهذا الصنف من الاشتقاق يعرف بالاشتقاق الصغير، وهو أهم أنواع الاشتقاق*.

ولم يختلف تعريف الاشتقاق عند الدارسين المحدثين عما سبق به علماء العربية، قال صبحي الصالح في تعريفه للاشتقاق بأنه: «توليد لبعض الألفاظ، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد»².

¹ السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص: 346.

* للاشتقاق صنفان آخران وهما: الاشتقاق الكبير و يسميه ابن جني الاشتقاق الأكبر، وهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه و على تقاليبه الستة معنى واحداً، أما الصنف الثاني فهو الاشتقاق الأكبر، وهو ما أورده ابن جني ضمن باب «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»، ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 134 و ص: 145.

² صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص: 174.

يتضح من القولين السابقين أنّ الاشتقاق وسيلة لتوليد مختلف المفردات بصورة أنواع متعددة من الألفاظ؛ من أسماء وأفعال وصفات ومصادر، لذا فهو وسيلة لإنشاء أنواع مختلفة من الأبنية العربية، فمن الدارسين المحدثين من صنّفه ضمن منابع الوحدة اللغوية.¹

وسنقتصر في حديثنا على الاشتقاق الصغير لكونه الأكثر ارتباطاً بعلم الصرف من جهة؛ ومن جهة أخرى فإنّ الضابط في تغيير بنية الكلمة من صيغة صرفية إلى أخرى هو الصوائت؛ سواء كانت قصيرة أو طويلة بالإضافة إلى حروف الزيادة*، والتي ترتبط مع الاشتقاق ارتباطاً وثيقاً: فتشكل مع الصوائت وسيلة لبناء الكلمات وصوغ أنواع مختلفة من المباني اللغوية انطلاقاً من مادة أصلية واحدة، وهذا وفقاً لما تقتضيه القوانين الصرفية.

أمّا أصل المشتقات فهو: «عند البصريين المصدر، لكونه بسيطاً، أي يدل على الحدث فقط، بخلاف الفعل، فإنّه يدل على الحدث والزمن، وعند الكوفيين: الأصل الفعل، لأنّ المصدر يجيء بعده في التصريف، والذي عليه جميع الصرفيين الأول».²

وبخصوص المشتقات فإنّه يشتق من المصدر عشرة أشياء: الماضي، المضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، اسماً الزمان والمكان، اسم الآلة.³

ولم يفرد علماء الصرف موضوع الاشتقاق بدراسة مستقلة، بل ورد موزعاً على الأبواب الصرفية التي تناولت أنواع الأبنية العربية، فانحصرت في معظم كتب الصرف وفقاً للتقسيم التالي:

¹ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص: 68.

* حروف الزيادة هي عشرة: الألف، والياء، والواو، والهمزة، والتاء، والنون، والسين، والهاء، واللام، والميم، وجمعها الصرفيون في قولهم: [سألتمونيها].

² أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، شرح و تعليق محمد بن عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر، الرياض، د.ط، د.ت، ص: 112.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص: 112.

أ - في الأسماء: المشتقات: - اسم الفاعل - اسم المفعول - الصفة المشبهة - صيغ المبالغة - اسم الزمان - اسم المكان - اسم الآلة - اسم التفضيل، بالإضافة إلى جموع التكسير - النسب - التصغير.

ب- في الأفعال: الفعل الماضي - الفعل المضارع - فعل الأمر.¹

1- اسم الفاعل:

ويراد به: «ما اشتق من مصدر المبني للفاعل، لمن وقع منه الفعل، أو تعلق به، و هو من الثلاثي على وزن فاعل غالباً، نحو ناصر وضارب، وقابل، ومادّ، وراق، وطاوع، وبائع، فإن كان فعله أجوف قلبت ألفه همزة ... ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة، وكسر ما قبل الآخر، كمُدحرج ومُنطلق ومستخرج»².

ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

من الأفعال الثلاثية: لعب - يلعب - لاعب (على وزن فاعل)

سأل - يسأل - سائل

وجد - يجد - واجد

قال - يقول - قائل

ومن غير الثلاثي على نحو:

- دحرج - يُدحرج ← مُدحرج

¹ ينظر: لطيفة النجار، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتفعيدها، دار النشر، عمان، الأردن، دط،

1993، ص: 92.

² أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص: 121.

- استغفر - يَسْتَغْفِرُ ← مُسْتَغْفِرٌ .

- استخرج - يَسْتَخْرِجُ ← مُسْتَخْرِجٌ .

- ناضل - يَنَاضِلُ ← مُنَاضِلٌ .

- أقبل - يُقْبِلُ ← مُقْبِلٌ .

- أحسن - يُحَسِّنُ ← مُحَسِّنٌ .

فاسم الفاعل من هذه الأمثلة السالفة اشتق من المضارع بإبدال ياء المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل آخره .

- ومن نماذج اسم الفاعل من الفعل الصحيح ، نحو (طلب ، طالب):

الفعل : طَلَّبَ - اسم الفاعل : طالبٌ				
ترتيب الأصوات	1	2	3	4
وزن الفعل	فَ		عَ	لَ
أصوات الفعل	طَ	.	لَ	بَ
وزن اسم الفاعل	فَ	ا	عَ	لُ
أصوات اسم الفاعل	طَ	ا	لَ	بُ

أ- التغيرات الصوتية :

1- زيادة الألف بين فاء الفعل و عينه .

2- قلب فتحة عين الفعل كسرة .

ب- التغيرات المقطعية : (طَلَّبَ) قبل التغيير مكونة من ثلاث مقاطع قصيرة هي : (طَ - لَ -

بَ) ، وبعد التحويل مكونة من ثلاث مقاطع أيضاً؛ ولكن على الشكل الآتي:

/ طَا / : مقطع طويل مفتوح، و يتكون من (ك+الألف الزائدة) .

/ ل / : مقطع قصير .

/ بُن / : مقطع طويل مغلق ، أو قصير / بُ / في حالة الإضافة .

ج- التغيرات الصرفية:

- 1- التغيّر في نوع الكلمة: (طلب) فعلٌ قبل التغيّر، واسم فاعل بعد التغيّر.
 - 2- التغيّر في وزن الكلمة: وزن (طلب) فعَلٌ، و وزنها بعد التغيّر (فَاعِلٌ).
- ومن أمثلة الفعل الثلاثي المعتل: (قال - قَوْلٌ - قَاوِلٌ - قَائِلٌ) بإبدال الواو همزة:

الفعل : قال - اسم الفاعل : قائل				
لَ	وَ		قَ	أصوات الفعل الأصلية
لُ	عَ	ا	فَ	وزن اسم الفاعل
لُ	وِ	ا	قَ	الحالة الأولى: أصوات اسم الفاعل
لُ	ئِ	ا	قَ	الحالة الثانية: أصوات اسم الفاعل

أ- التغيّرات الصوتية: من (قَوْلٌ) إلى (قَاوِلٌ) إلى (قَائِلٌ):

1- زيادة الألف بين فاء الفعل و عينه .

2- قلب فتحة عين الفعل كسرة.

3- إبدال الواو همزة .

ب- التغيّرات المقطعية: (قال) قبل التغيّر مكوّنة من مقطعين (قا: مقطع طويل مفتوح +

لَ: مقطع قصير)، و (قائل) مكوّنة من ثلاثة مقاطع (قا: مقطع طويل مفتوح + ئِ : قصير مفتوح

+ لُنْ: طويل مغلق أو /لُ/ : قصير مفتوح في حالة الإضافة .

ج- التغيّرات الصرفية: (قال) قبل التغيّر فعلٌ، وبعد التحويل (اسم فاعل)، ووزنها قبل

التحويل (فَعَلٌ)، وبعد التحويل (فَاعِلٌ).

ومن نماذج إبدال الياء همزة (بَاعَ، بَايَعُ، بَائِعٌ) :

بَاعَ _____ اسم الفاعل : بَائِعٌ				
4	3	2	1	ترتيب الأصوات
لَ	عَ		فَ	وزن الفعل
عَ	يَ	.	بَ	أصوات الفعل الأصلية
لَ	عَ	ا	فَ	وزن اسم الفاعل
عُ	يِ	ا	بَ	الحالة الأولى: وزن اسم الفاعل
عُ	ئِ	ا	بَ	الحالة الثانية: أصوات اسم الفاعل

أ- التغيرات الصوتية:

1- زيادة الألف بين فاء الفعل وعينه .

2- قلب فتحة عين الفعل كسرة.

3- قلب الياء همزة .

ب- التغيرات المقطعية: (بَاعَ) قبل التغير مكونة من مقطعين (بَأْ : مقطع طويل مفتوح + عَ: مقطع قصير). و (بَائِعٌ) مكونة من ثلاثة مقاطع (بَا: طويل مفتوح + ئِ: قصير مفتوح + عُنْ : طويل مغلق أو / عُ/ عند الإضافة .

ج- التغيرات الصرفية:

بَاعَ قبل التغير فعل، وبعد التحويل اسم فاعل، وزنه قبل التحويل (فَعَلَ)، وبعد التغير (فَاعِلٌ).

ومن أمثلة اسم الفاعل من غير الثلاثي: مُقْبِلٌ، من الفعل: أَقْبَلَ

أَقْبَلَ _____ اسم الفاعل: مُقْبِلٌ				
4	3	2	1	ترتيب الأصوات
لَ	عَ	فَ	أَ	وزن الفعل
لَ	بَ	قَ	أَ	أصوات الفعل
لُ	بِ	قُ	مُ	أصوات مبالغة اسم الفاعل
لُ	عَ	فَ	مُ	وزن اسم الفاعل

أ- التَّغْيِيرَاتِ الصَّوْتِيَّة:

1- إبدال حرف المضارعة بالميم المضمومة.

2- قلب فتحة عين الفعل كسرة.

ب- التَّغْيِيرَاتِ الْمُقَطَّعِيَّة: لم يحدث تغيّر في عدد المقاطع ، ولا في أنواعها، باستثناء حالة التنوين ، حيث يصبح المقطع الأخير طويلاً مغلقاً [لُنْ] .

ج- التَّغْيِيرَاتِ الصَّرْفِيَّة: حدث تغيّر في الوزن من (أَفْعَلَ) إلى (مُفْعِلٌ)، و تغيّر في تركيب الكلمة من فِعْلٍ (أَقْبَلَ) إلى اسم (مُقْبِلٌ) .

2- اسم المفعول:

وهو من أهم المشتقات، ويقصد به: « ما اشتق من مضارع مبني للمجهول لما وقع عليه الفعل، وهو من الثلاثي على وزن (مفعول) نحو : منصور، وموعود ، ومقول، و مبيع، و مرمى وموقى ، ومطوى ، أصل ما عدا الأولين ، مقوول ومبيوع ومرموي ... إلخ. وقد يكون

على وزن (فَعِيل) كَقَتِيل، و جَرِيح، ومن غير الثلاثي كاسم الفاعل، لكن بفتح ما قبل الآخر، نحو: مُكْرَم، و مُسْتَعَان¹.

ومن أمثلة ذلك:

من الثلاثي: يُصنع ← مَصْنوع، و يُفتح ← مَفْتُوح، شَدَّ ← مَشْدُود، سَأَلَ ← مَسْئُول، ومن المعتل: نحو: قال ← مَقُول، و باع ← مَبِيع، دان ← مَدِين، إذ الأصل: مَقُول، ومبيوع، ومديون على الترتيب.

ومن غير الثلاثي فيشتق عن وزن الفعل المضارع: مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر نحو:

أُخْرِج ← يُخْرِج ← مُخْرِج
اسْتَمَد ← يَسْتَمِد ← مُسْتَمِد
اسْتَرْجَع ← يَسْتَرْجِع ← مُسْتَرْجِع

ومن أمثلة ذلك :

الفعل : قَبِل _____ اسم المفعول : مَقْبُول					
4	3	2	1		ترتيب الأصوات
لَ		عَ	فُ		وزن الفعل
لَ		بِ	قُ		أصوات الفعل
لُ	و	بُ	قُ	مَ	أصوات اسم المفعول
لُ	و	عُ	فُ	مَ	وزن اسم المفعول

¹ هارون عبد الرزاق: عنوان الظرف في علم الصرف، شرح الشيخ محمد هارون و أبو الفضل محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده، مصر، ط3، د ت، ص: 29.

أ- التغيرات الصوتية :

- 1- زيادة الميم المفتوحة قبل فاء الفعل .
- 2- تسكين فاء الفعل .
- 3- قلب حركة عين الفعل ضمة لمناسبة الواو .
- 4- زيادة الواو بين عين الفعل و لامه .

ب- التغيرات المقطعية :

- 1- يتألف الفعل قبل التغير من ثلاثة مقاطع قصيرة ، ق/ب/ ل ، و بعد التغير من ثلاثة مقاطع طويلة (مق/ بو/ لن) في حالة التنوين .

ج- التغيرات الصرفية:

- 1- التغير في بنية الكلمة، حيث كانت فعلاً، وأصبحت اسماً مشتقاً .
- 2- التغير في الوزن حيث كانت بنية الكلمة على وزن (فَعَلَ)؛ وأصبحت على وزن (مفعول) ومن أمثلة الفعل المعتل : الفعل قال إذ الأصل : قُول- مَقُوْلٌ- مقُول .

الفعل : قُولَ _____ اسم المفعول : مَقُوْلٌ					
4	3	2	1		ترتيب الأصوات
لَ		ع	فُ		وزن الفعل
لَ		وِ	قُ		أصوات الفعل
لُ	و	وُ	قُ	مَ	أصوات اسم المفعول
لُ		وُ	قُ	مَ	
لُ	و	عُ	فُ	مَ	وزن اسم المفعول

أ- التغيرات الصوتية:

الحالة الأولى : (قَوْلَ) ، (مَقُولٌ)

1- زيادة الميم .

2- حذف حركة فاء الفعل .

3- قلب حركة عين الفعل ضمة .

4- زيادة الواو بين عين الفعل ولامه .

الحالة الثانية : (مَقُولٌ) ، وفي هذه الحالة تنتقل ضمة عين (مَقُولٌ) إلى الفاء ، لإلتقاء واوین

ساكتين؛ (واو الفعل الأصلية مع الواو الزائدة) ، فتحذف واحدة لتفادي الثقل.

ب- التغيرات المقطعية :

تتكون (قَالَ) من مقطعين، ثم من ثلاثة مقاطع في (مَقُولٌ)، والمقطع الأول (مَ) قصير، و

المقطع الثاني (قُو) طويل مفتوح، والثالث (لُنْ) طويل مغلق أو (لُ) في حالة الإضافة.

ج- التغيرات الصرفية:

التغير في بنية الكلمة حيث كانت فعلاً، وأصبحت اسماً، بعد التحويل.

التغير في الوزن: كانت الكلمة على وزن (فَعَلَ)، ثم أصبحت على وزن (مَفْعُولٌ).

ومن أمثلة الفعل المعتل كذلك الفعل بَاعَ — مَبْيُوعٌ — مَبِيعٌ.

الفعل : بَاعَ — اسم المفعول : مَبْيُوعٌ					
4	3	2	1		ترتيب الأصوات
لَ		عَ	فُ		وزن الفعل
عَ		يِ	بُ		أصوات الفعل
عُ	و	يُ	بُ	مَ	أصوات اسم المفعول
عَ		يِ	بِ	مَ	
لُ	و	عُ	فُ	مَ	وزن اسم المفعول

التغيرات الصوتية :

- 1- زيادة الميم .
- 2- حذف ضمة فاء الفعل .
- 3- قلب كسرة عين الفعل ضمة .
- 4- زيادة الواو بين عين الفعل و لامه.

التغيرات المقطعية :

- 1- كانت الكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة، ثم أصبحت مكونة من ثلاثة مقاطع (مَ بي عن).

ومن غير الثلاثي: الفعل استخرج ————— يُستخرج ————— مُسْتَخْرَجٌ.

الفعل : اسْتَخْرَجَ						اسم المفعول : مُسْتَخْرَجٌ
وِزْنُ	الْفِعْلِ	يُ	سَ	تَ	فَ	لُ
أَصْوَاتُ	الْفِعْلِ	يُ	سَ	تَ	خَ	جُ
أَصْوَاتُ	اسْمِ الْمَفْعُولِ	مُ	سَ	تَ	خَ	جُ
وِزْنُ	اسْمِ الْمَفْعُولِ	مُ	سَ	تَ	فَ	لُ

1- التغيرات الصوتية :

إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة.

3- التغيرات المقطعية :

لم يحدث تغيير في عدد المقاطع ولا في أنواعها ماعدا في حالة التنوين (مستخرجٌ) فيصبح المقطع الأخير طويلا مغلقا ، [جُنْ] وقصير [جُ] في حالة الإضافة.

3- الصفة المشبهة:

وهي: « لفظ مصوغ من مصدر اللازم للدلالة على الثبوت »¹ ، بمعنى أنها تدلّ على أنصاف الذات بالحدث على وجه الثبوت والدوام ، وقال سيوييه : « لم تقوى أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع ، فإثما شُبّهت بالفاعل فيما عملت فيه »². و قد حصر الصرفيون أوزان الصفة المشبهة في اثني عشر وزناً وهي:

1- «أفعل» الذي مؤنثه «فعلاء» نحو : أحمر ، حمراء

2- «فعلان» الذي مؤنثه «فعلى» نحو : عطشان ، عطشى

3- «فعل» نحو: حسن و بطل

4- «فُعْل» نحو: جنب، وهو قليل

5- «فُعَال» نحو : شجاع و فرات

6- «فَعَال» نحو: جبان

7- «فَعْل» نحو : ضخم و شههم

8- «فِعْل» نحو: صفر و ملح (من ملح)

9- «فُعْل» نحو: صلب من صلب

10- «فَعِلْ» نحو: فرح و نجس من فرح و نجس

¹ أحمد بن محمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف ، ص : 124-125 .

² سيوييه ، الكتاب ، ج 1 ، ص : 194 .

11- « فاعلٌ»: كصاحب و طاهر، من صحب، و طهر.

12- « فاعيلٌ» نحو: بخيل و كريم، من بخل و كرم.¹

ومن نماذج الصفة المشبهة باسم الفاعل نختار صيغة (أفعل) نحو [أَعَوْرَ] من [عَوْرَ]:

الفعل عَوْرَ _____ لصفة المشبهة: أَعَوْرَ				
4	3	2	1	ترتيب الأصوات
لَ	عَ	فَ		وزن الفعل
رَ	وِ	عَ		أصوات الفعل
رُ	وَ	عُ	أَ	أصوات الصفة المشبهة
لُ	عَ	فَ	أَ	وزن الصفة المشبهة

التغيّرات الصوتية:

1- زيادة الهمزة في أوّل الفعل.

2- حذف فتحة فاء الفعل واستبدالها بسكون.

3- قلب حركة عين الفعل فتحة.

التغيّرات المقطعية : (عور) قبل التغيّر كانت مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة (ع - و - ر)

وبعد التغيّر أصبح (أَعَوْرُ) ، فتحول المقطع القصير الأوّل إلى مقطع طويل مغلق (أَعُ).

أمّا التغيّرات الصرفية: فتحوّل الصيغة من (فعل) إلى (أفعل)، ومن فعل إلى اسم.

¹ ينظر : أحمد بن محمد الحملاوي :شذا العرف في فن الصرف، ص : 124-125 .

4- صيغ المبالغة:

وهي من الصيغ الصرفية والتي « تحوّل من صيغة (فاعل) للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث «، والغرض منها هو الكثرة والمبالغة في الوصف، ولها خمسة أوزان مشهورة وهي:

1- فَعَالٌ : بتشديد العين نحو: عَلَامٌ وَلَمَّاحٌ، هَمَّازٌ وَمَشَاءٌ من قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ

بِنَمِيمٍ﴾¹.

2- مِفْعَالٌ : نحو: مِقْدَامٌ .

3- فَعُولٌ : نحو: شَكُورٌ وَصَبُورٌ.

4- فَعِيلٌ : نحو: عَلِيمٌ وَقَدِيرٌ، وَسَمِيعٌ، نَصِيرٌ.

5- فَعِيلٌ : حَذِرٌ - فَطِنٌ - لَبِقٌ.

وأضاف الصرفيون أوزانا أخرى للمبالغة غير هذه الأوزان الخمسة منها :

فَاعُولٌ : نُحُو : فَارُوقٌ .

فَعِيلٌ : نُحُو : صِدِّيقٌ، سِكِّيرٌ.

مِفْعِيلٌ : نُحُو : مِعْطِيرٌ وَ مِسْكِينٌ.

فُعَلَةٌ : نُحُو : هُمَزَةٌ ، وَ لُمَزَةٌ .

فُعَالٌ : نُحُو : كُبَّارٌ²، من قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ كُبَّارًا﴾³.

¹ سورة القلم، الآية: 11.

² ينظر: عبده الراجحي، التطبيق، الصرفي، ص: 78.

³ سورة نوح، الآية: 22.

ومن أمثلة مبالغة اسم الفاعل: صيغة فَعِيلٌ نُحُو: عَلِيمٌ

الفاعل عَلِمَ ————— مبالغة اسم الفاعل : عَلِيم				
4	3	2	1	ترتيب الأصوات
لَ	.	ع	فَ	وزن الفعل
مَ	.	لِ	عَ	أصوات الفعل
مٌ	يْ	لِ	عَ	أصوات مبالغة اسم الفاعل
لُ	يْ	ع	فَ	وزن اسم الفاعل

التَغْيِيرَاتِ الصَوْتِيَّةِ : زيادة الياء بين عين الفعل ولامه .

التَغْيِيرَاتِ الْمُقَطَّعِيَّةِ :

1- الفعل قبل التغيّر مكوّن من ثلاثة مقاطع قصيرة، وبعد التغيّر أصبح مكوّنًا من ثلاث مقاطع: الأوّل قصير، والثاني طويل مفتوح، والثالث طويل مغلق في حالة التنوين.

التَغْيِيرَاتِ الصَرْفِيَّةِ:

حدث تغيّر في وزن الكلمة وفي تركيبها، وتحوّلت من فعل إلى اسم .

أمّا في صيغة المبالغة من " فَعِلَ إلى فَعِيلٌ " فنلاحظ أنّ اسم الفاعل: فَعِيلٌ، مثل: حَذِرَ، وقح...

التَغْيِيرَاتِ الصَوْتِيَّةِ: قلبت حركة عين الفعل كسرة.

التَغْيِيرَاتِ الْمُقَطَّعِيَّةِ : لم يحدث تغيّر.

التَغْيِيرَاتِ الصَرْفِيَّةِ: تغيّر وزن الكلمة من (فَعَلَ) إلى (فَعِلٌ)، وتحوّلت من فعل إلى اسم.

وهذا ما يثبت الأثر الواضح الذي تؤدّيه الصوائت العربية القصيرة في تلوين مختلف المباني الصرفية أثناء عملية التحول الداخلي للكلمة.

ومن أمثلتها أيضا: صيغة فعّال نحو: قتّال.

الفاعل : قَتَّلَ					مبالغة اسم الفاعل : قَتَّال				
5	4	3	2	1	ترتيب الأصوات				
لَ		عَ		فَ	وزن الفعل				
لَ		تَ		قَ	أصوات الفعل				
ل	ا	تَ	تُ	قَ	أصوات مبالغة اسم الفاعل				
لُ	ا	عَ	عُ	فَ	وزن اسم الفاعل				

أ – التغيّرات الصوتية :

1- تضعيف عين الفعل (زيادة التاء بين فاء الفعل ولامه)

2- زيادة الألف بين عين الفعل ولامه.

ب – التغيّرات المقطعية :

1- الكلمة قبل التغيّر مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة ، وبعد التغيّر أصبحت مكونة من ثلاثة مقاطع أيضا: الأول: (قَتْ) طويل مغلق ، والثاني: (تَا) طويل مفتوح ، والثالث: (لُنْ) طويل مغلق في حالة التنوين وقصير (لُ) في حالة الإضافة.

ج – التغيّرات الصرفية: الكلمة قبل التغيّر (فَعْلٌ) وبعد التغيّر اسم، ووزنها قبل التغيّر (فَعَلٌ)، وبعد التغيّر (فَعَّالٌ).

5- اسما الزمان و المكان:

وهما « اسمان مشتقان على وزن واحد، ويشتركان في بعض أبنيتهما مع المشتقات السابقة، ويدلان على زمن وقوع الفعل أو مكانه». ¹

ويصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي على وزن « مَفْعَل » بفتح الميم والعين إذا كان مضارعه مضموم العين أو مفتوحها، أو كان معتل اللام في مثل:

كتب	←	يكتب	←	مكتب
خرج	←	يخرج	←	مخرج
نصر	←	ينصر	←	منصر
سعى	←	يسعى	←	مسعى

وعلى وزن « مَفْعِل » ، بكسر العين إذا كان مضارعه مكسور العين أو كان مثالا نحو:

جَلَسَ ← يجلس ← مَجْلِس، ضَرَبَ ← يضرب ← مَضْرِب، وَعَدَ ← يعد ← مَوْعِد* .

أما من غير الثلاثي فيشتقان على وزن اسم المفعول، بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر، مثل: أخرج ← يُخْرِج ← مُخْرَج، استقبل ← يستقبل ← مُسْتَقْبَل

التقى ← يلتقي ← مُلتقى² .

¹ عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص: 85.

* وردت بعض أسماء الزمان والمكان على وزن «مَفْعَل» بالكسر مع أن المضارع منها مضموم العين، على نحو: مسجد، و مشرق و مغرب .

² ينظر: هارون عبد الرزاق، الطرف في علم الصرف، ص: 31-32، و عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص: 85-86.

6- اسم الآلة:

يصنّف اسم الآلة من المشتقات، وهو «اسم مصوغ من الثلاثي لما وقع الفعل بواسطته، وأوزانه القياسية ثلاثة: مَفْعَال، ومِفْعَل، ومِفْعَلَةٌ بكسر أوّلها، نحو: مِفْتَاَح، ومِحْلَب، ومِلْعَقَةٌ».¹

قال ابن الحاجب: «الآلة على مِفْعَل و مِفْعَال و مِفْعَلَةٌ، كالمِحْلَب والمِفْتَاَح والمِكْسَحَةُ»²، ومن أمثلة ذلك:

مِفْعَال : مَنشَار من نَشْر ، و مَزْمَار من زَمَر .

مِفْعَل : مَشْرَط من شَرَط ، و مِقْص و مِفْكَ من قَصَّ و فَكَّ .

مِفْعَلَةٌ : مِكْنَسَةٌ من كَنَس ، مِسْطَرَةٌ من سَطَّر ، مِبراة من بَرَى .

7- اسم التفضيل:

ويراد به: « ما صيغ على وزن أفْعَل، لموصوف بالزيادة على غيره، نحو: أَحْسَن، وَأَفْضَل، ولا يصاغ إلاّ من فعل ثلاثي، متصرف قابل للزيادة، تام غير منفي، ولا مبني للمجهول، ليس دالا على لون أو عيب».³

ولاسم التفضيل صيغتان هما: ما أفْعَله وأفْعِل به نحو: ما أَكْرَمَ محمداً، وأَكْرَمَ بمحمد.

8- التصغير:

ذكرنا سابقاً أنه من الملحقات بالمشتقات، والمراد به عند اللّغويين: التقليل، واصطلاحاً: تغيير مخصوص يأتي بيانه، ويلحق بالمشتقات لأنّه وصف في المعنى،⁴ ويستعمل لعدة أغراض نذكر منها:

¹ هارون عبد الرزاق، الظرف في علم الصرف، ص: 32

² رضي الدين الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 1، ص: 186 .

³ هارون عبد الرزاق، الظرف في علم الصرف، ص: 30، 31 .

⁴ ينظر: أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص: 172 .

- التحقير : شاعر ، شُويعر .
- تقليل الحجم: نحو: (لُقمة - لُقَيْمَة)، (كتاب - كُتَيْب) .
- تقليل العدد : نحو (ورقة - وُرَيْقات) ، (دراهم - دُرَيْهَمات) .
- تقريب الزمان: نحو: (قبل - قُبَيْل) في قولنا: قُبَيْل صلاة العصر .
- تقريب المكان : نحو : (دوُن - دوُين) ، (فوق - فُوق) .

9- النسب :

ويراد به المنسوب، وهو : « الاسم الملحق بآخره ياء مشددة مكسور ما قبلها ، علامة للنسبة إليه، كما ألحقت التاء علامة للتأنيث؛ وذلك نحو قولك : (هاشميّ) و (بصريّ) »¹.

ويرى ابن يعيش أن النسبة التي يقصد ها التحويون ما يُنسب إلى قبيلة أو بلدة أو صنعة أو غير ذلك²، ومن أمثلة ذلك :

- عَرَبٌ ← عَرَبِيٌّ

- جزائر ← جزائري

- عِلْمٌ ← عِلْمِيٌّ

10- جمع التكسير:

ويعد من الأبواب التي تتجلى فيها ظاهرة التحوّل الداخلي لبنية الكلمة العربيّة، فهو ليس جمعاً يعتمد على لاحقة، كجمع المذكر والمؤنث السالمين، بل يعتمد على تغيير الصوائت مع

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، ج 03 ، ص : 438 .

² ينظر: المصدر نفسه، ص: 438.

ثبات الصوامت في مواضعها،¹ وقد قسّم علماء الصّرف أوزانه إلى مجموعتين أساسيتين: مجموعة أوزان القلّة؛ ومجموعة أوزان الكثرة، ونكتفي بذكر أوزان القلّة المشهورة؛ وهي أربعة²:

1- أفعلة نحو: أعمدة - أطعمّة - ألبيسة .

2- أفعل نحو: أوجه، أعين.

3- أفعال نحو: أنواب، أقلام، أعلام.

4- فعلة نحو: صبيّة، فتية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض البنى تبقى ثابتة الترتيب ، فلا فرق بين مفردها أو جمعها سوى في ترتيب الصوائت القصيرة نحو: أسدٌ ← جمع أسد.

11- إسناد الأفعال إلى الضمائر:

إضافة إلى سبق ذكره، فإنّ دراسة إسناد الأفعال إلى الضمائر، والتي هي من اختصاص علم الصّرف؛ من شأنها أن تساهم في توليد العديد من البنى الفعلية، لما تحدثه من تغييرات تتعلّق ببنية الفعل أثناء عملية التصريف أو إسناده إلى الضمائر المختلفة باعتبار الزمن³، ولنا أن نمثل لذلك بالفعل الثلاثي الصحيح السالم (ذهب):

ذهبت ، أذهب.

ذهبنا ، نذهب.

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين المنهج الصوتي للبنية العربية، ص: 133.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 133.

³ ينظر: عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ، ص: 44 ، وينظر : صالح سليم الفاخري، تصريف الأفعال و الأسماء والمشتقات، ص: 145.

[ذهبَ ، ذهبِ ، ذهبتَ ، ذهبتِ ، ذهبتن]	} المخاطب
[تذهبُ ، تذهبين ، تذهبان ، تذهبون ، تذهبن]	
[اذهب - اذهبي - اذهبا - اذهبوا - اذهبن]	
[ذهبَ - ذهبتُ - ذهبا - ذهبتا - ذهبوا - ذهبن]	} الغائب
[يذهب - تذهب - يذهبان - يذهبن - يذهبون - تذهبن]	

يتضح من خلال عملية تصريف أو إسناد الفعل « ذهب » إلى الضمائر باعتبار الزمن الدور الأساسي الذي تؤدّيه الصوائت العربية في تغيير بنية الفعل من ضمير إلى آخر، وهذا بالاشتراك مع حروف الزيادة، كما نلاحظ من خلال التصريف أيضا أنّ البنية الصرفية [ذهبت] بدون إظهار الصوائت تحتل أربعة أوجه: ذَهَبْتُ، وَذَهَبْتِ، وَذَهَبْتِ، وَذَهَبْتُ، ولكن تحديد الوظيفة الصرفية يتضح من خلال إظهار الصوائت في آخر كل بناء هذه الأبنية .

12-المصدر:

ويراد به: « اللفظ الدال على حدث، مجرداً عن الزمان، متضمناً أحرف فعله ».¹

والمصدر يختلف عن الفعل في أنّه اسم، ويتفق مع الفعل في أنّه يدلّ على حدث، غير أنّ الفعل يدلّ على الحدث بالإضافة على دلالته على الزمان.

ولقد اختلف القدماء حول المصدر والفعل؛ أيهما أصل وأيها فرع؟ فذهب البصريون إلى أنّ المصدر أصل للفعل، وذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل أصل للمصدر.²

¹ علي بهاء الدين بوخودود ، المدخل الصرفي ، تدريب وتطبيق في الصرف العربي ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط 1، 1408 هـ ، 1988 م م.

² ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص: 66.

وينقسم المصدر إلى نوعين :

أ- مصدر الفعل الثلاثي: هو سماعي غير قياسي؛ لا تحكمه قاعدة عامة، وإنما الغالب فيه السماع نحو: كتب ← كتابة، على وزن «فعالة»، وطلع ← طلوع على وزن «فُعول».

وقد ذكر ابن يعيش أن أبنية المصدر في الثلاثي المجرد كثيرة مختلفة يرتقي ما ذكره سيويه منها إلى اثنين و ثلاثين بناء¹.

ب- مصادر الفعل فوق الثلاثي:

وهي قياسية نذكر منها:

- فَعَلَّلَةٌ نحو: دَحْرَجَةٌ، من دَحْرَجَ، و بَعَثَرَةٌ من بَعَثَرَ.
- إِفْعَالٌ نحو: إِخْرَاجٌ من أَخْرَجَ، و إِمْضَاءٌ أَمْضَى.
- إِفْعَلَةٌ نحو: إِقَامَةٌ من أَقَامَ، و إِدَارَةٌ من أَدَارَ.
- تَفْعِيلٌ نحو: تَوْحِيدٌ من وَحَّدَ، و تَعْظِيمٌ من عَظَّمَ.
- فِعَالٌ أو مُفَاعَلَةٌ نحو: قِتَالٌ أو مُقَاتَلَةٌ من قَاتَلَ، و وِصَالٌ أو مُوَاصَلَةٌ، من وَاصَلَ.
- تَفْعُلٌ: تَبَعَثُرٌ من بَعَثَرَ، و تَمَكَّنٌ من تَمَكَّنَ.
- تَفَاعُلٌ نحو: تَوَاصَلٌ من تَوَاصَلَ، و تَلَاعَبٌ من تَلَاعَبَ.
- انْفِعَالٌ نحو: انْقِسَامٌ من انْقَسَمَ، و انْطِلَاقٌ من انْطَلَقَ، أمّا مصدر الفعل السداسي فيكون على وزن الفعل مع كسر الحرف الثالث وزيادة ألف قبل الحرف الأخير، نحو:

استخرج ← استخراج، على وزن استفعال.


استرجع ← استرجاع².

¹ ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 4، ص:46.

² ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص: 69، 70، 71.

ونخلص مما سبق ذكره في ثنايا هذا المبحث أن للصّوات العربيّة القصيرة دورا كبيرا في توليد المباني اللّغوية المختلفة المتحددة الحروف الأصول (الصوامت)، مثلما لاحظنا مع صيغة (فعل)، والتي شكّلت لنا مختلف المباني الصّرفيّة المحتملة - الاسمية والفعلية - انطلاقا من الجذر الثلاثي (ف - ع - ل) ، إضافة إلى الاشتقاق الذي ساهم بشكل كبير في توليد الصيغ الصّرفيّة المتعددة؛ انطلاقا أيضا من جذر لغوي واحد، وهذا بفعل تعامل الصّوات العربيّة فيما بينها وفقا لما تقتضيه القواعد الصّرفيّة، وهذا ما يثبت أنّ اللّغة العربيّة تتميز عن باقي اللّغات بخاصية اشتقاقية مرنة، مما يساهم بشكل كبير في وفرة ألفاظها وغازة معانيها.

المبحث الثالث: الدراسة الدلالية للصوائت العربية القصيرة

المطلب الأول: مفهوم الدلالة 

المطلب الثاني: أثر الصوائت العربية القصيرة على المستوى الدلالي 

المطلب الثالث: أثر الصوائت العربية القصيرة على مستوى 

الدلالة اللغوية

المطلب الرابع: أثر الصوائت العربية القصيرة على مستوى الدلالة 

الاجتماعية

تمهيد:

اهتم علماء العربية بعلم الدلالة منذ القرون الأولى، ولعلّ أوّل بوادر هذا الاهتمام ظهر من خلال صنيع أبي الأسود الدؤلي عند ضبطه للمصحف الشريف بالشكل؛ إذ يعدّ في حد ذاته عملاً دلاليًا، وهذا بغية صون هذه اللّغة الشريفة - لغة القرآن الكريم - من اللّحن الذي يؤدّي إلى سوء الفهم لمعانيه ومراميه، ومقاصد الشريعة الإسلامية.

إضافة إلى هذا فقد عكف علماء اللّغة منذ ذلك الزمن على البحث في دلالات الكلمات وتصنيفها في شكل معجمي؛ يعتمد على حصر وجمع المشتقات والمعاني التي تندرج ضمن جذر لغوي واحد، وما هاته الأعمال إلّا خير دليل على اهتمام العرب بأهمّ بالقضايا الدلالية التي تتعلّق بلغتهم، حيث تعدّ المعاجم التي ألفوها في ذلك الزمن مدونة رئيسية يلجأ إليها أيّ دارس للّغة العربيّة قديم أو محدث.

ومما لاشك فيه أنّ للصوائت العربيّة بنوعيتها - الطويلة والقصيرة - أثر كبير في تحديد وتعدد دلالات المفردات والتلاعب بمعانيها وإيجائها المتعددة على نحو ما سنرى في هذا البحث، والذي سيكون محور الحديث فيه عن الجانب الدلالي للصوائت العربيّة القصيرة، وقبل الشروع في هذه الدراسة يحسن بنا أن نشير إلى بعض مفاهيم الدلالة عند علماء اللّغة وتحديد مجالاتها .

المطلب الأول: مفهوم الدلالة

1- لغة: الدلالة في اللغة تعني الإرشاد والهداية، جاء في لسان العرب: «الدليل ما يُستدلّ به، والدليل الدال، وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة، ودلالة ودلولة والفتح أعلى، وأنشد أبو عبيد: إني امرؤ بالطرق ذو دلالات، والدليل والدليلي الذي يدلّك»¹.

وقال الفيروز آبادي في تحديد للفظ (دلّ): «والدالة ما تدل به على حميمك، ودلّه عليه دلالة (ويثله) دلولة فاندل: سدده إليه... وقد دلت تدلّ والدال كاهدي»².

يتضح من خلال القولين أنّ المعنى اللغوي لـ (دلّ) يعني: هدى وسدّد وأرشد.

2- أما اصطلاحاً: فيعدّ علم الدلالة مستوى من مستويات الدرس اللغوي يهتم بدراسة المعنى، وقد أورد أحمد مختار عمر بعض تعاريف علم الدلالة بأنّه: «ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى». أو «ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى»³.

وقال بيارغيرو مشيراً لمفهوم الدلالة: «هي القضية التي يتم من خلالها ربط الشيء والكائن والمفهوم والحدث بعلامة قابلة بأن توحى بها: فالغمامة علامة المطر، وتقطيب الحاجب علامة الارتباك والغضب، ونباح الكلب غضبه، وكلمة حصان علامة الانتماء إلى فصيلة الحيوان»⁴.
بناء على ما تقدم يبدو أنّ مفهوم علم الدلالة يرتبط أساساً بالعلامة أو الرّمز، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق أو إشارة باليد أو إيماءة بالرأس، بمعنى رموز غير لغوية، وقد تكون رموزاً لغوية على شكل كلمات أو جمل⁵.

¹ ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، ص: 1414.

² الفيروزي آبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، د.ط، د.ت، ج3، ص377.

³ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 5: 1998، ص: 11.

⁴ بيارغيرو، علم الدلالة، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 1، 1986، ص: 15.

⁵ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 11-12.

وتقوم هذه العلامات أو الرموز اللغوية على ركيزتين أساسيتين هما: الدال والمدلول، وتربطهما علاقة اعتباطية؛ والتي هي بمثابة علاقة السبب بالمسبب، وتصدر عن توافق بين مستعملي العلامة الذين يقرون بوجود علاقة قائمة بين الدال والمدلول.¹

وقد حظيت مسألة الدال والمدلول باهتمام بالغ من علماء الدلالة وأقطاب الدراسات اللسانية، حيث خصص لها فردينان دوسوسير حيزاً واسعاً من الدراسة، وأطلق مصطلح الدليل اللساني على وجهي العملية الدلالية (الدال والمدلول)، فالدال هو القيمة الصوتية أو الصورة الأكوستيكية، أما المدلول فهو المحتوى الذهني أو الفكري (الصورة المرجعية)².

¹ ينظر: صفية مطهري، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2003م، ص: 31.

² ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2001م، ص: 57-58.

المطلب الثاني: أثر الصوائت العربية القصيرة على المستوى الدلالي

تؤدي الصوائت العربية على المستوى الدلالي وظيفة بارزة في تحديد معاني أو دلالات المباني اللغوية، بحيث: « يرتبط المعنى الرئيسي للكلمة في العربية بالحروف الأصول (الصوامت)، في حين يقتصر دور الحركات (الصوائت) على تحوير المعنى الرئيسي وتعديله »¹.

ولقد أدرك علماء العربية بفضل ما يملكونه من حس لغوي مرهف القيمة الوظيفية التي تؤديها الصوائت في تحديد المعاني المقصودة، فكانت لهم جهود كبيرة مشكورة تستحق الثمين والإكبار، كان من ثمرتها معاجم الأبنية في العربية، والتي يظهر من خلالها كيف يتغير معنى المبنى بتغير الصائت مثلما يتغير بتغير الصامت، إضافة إلى عنايتهم بالمباني التي تتفق في ترتيب الصوامت؛ وتختلف فيما بينها من حيث الصوائت، فتختلف معانيها تبعاً لاختلاف الصوائت²، وهو ما يتضح في مؤلفاتهم التي سمّوها بالمثلثات، أشهرها مثلثات قطرب (ت206هـ)*، والتي اهتم فيها بجمع الألفاظ الثلاثية الواردة على ثلاثة حركات مختلفة المعاني على نحو ما سنرى لاحقاً.

وقد سبق وأن أشرنا إلى ما تؤديه الصوائت العربية من وظائف لغوية وصرفية؛ والتي من شأنها أن تؤثر في تحديد الدلالة النحوية أو الصرفية لمختلف المباني اللغوية والتراكيب، وهذا تبعاً لتغير مواقع الصوائت في بنية الكلمة.

¹ محمد محمد داود: الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية ومعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2001 م، ص: 25.

² ينظر: المرجع نفسه، ص: 19-20.

* قطرب هو محمد بن المستنير أبو علي النحوي المعروف بقطرب، تلميذ سيبويه، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ العلم عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، من أشهر مؤلفاته: كتاب معاني القرآن، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب النوادر، كتاب الأزمنة، كتاب المثلث، كتاب العلل في النحو، كتاب الأضداد... إلخ، توفي سنة 206هـ/ 821م. ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1993م، ج6، ص: 2646.

أثر الصوائت العربية القصيرة في التمييز بين دلالة المفردات:

للصوائت العربية القصيرة دور هام في التمييز بين دلالة المفردات المتشابهة الصوامت، «فاللفظة (قاتلين) لا تدل على جمع من الناس قاموا بالقتل إلاّ بكسر اللام يليها صامت طويل من جنس الكسرة، أمّا إذا فتحت اللام ووليتها صامت فإنّها تدلّ على أنّ هناك شخصين قاما بالقتل».¹

كما تعدّ الصوائت القصيرة مميّزا هاما في الإشارة بالضمير إلى صاحبه، ففي حالة المخاطب تشترك صوامت محددة في تكوين صيغة الضمير (أنت)؛ هي الهمزة والنون والتاء، غير أنّ الصائت ونوعه يحدّدان الدلالة المقصودة، فهما يفرّقان بين المذكر والمؤنث، فأنت للمذكر وأنت للمؤنث.²

وقد تنبه علماء العربية لهذه الوظيفة التي تؤديها الصوائت القصيرة قال ابن فارس: «فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني، يقولون "مِفْتَح" للآلة التي يُفْتَح بها، و"مَفْتَح" لموضع الفتح و"مِقْص" لآلة القصّ، و"مَقْص" للموضع الذي يكون فيه القصّ...».³

ومن هنا نرى أنّ للصوائت البنائية القصيرة دورا مهما في الكشف عن الدلالات المختلفة بين مختلف المفردات اللغوية، فهي تؤدّي دورا كبيرا في التمييز بين اسم الفاعل واسم المفعول نحو (مُسْتَخْرَجٌ ومُسْتَخْرَج)، وكذا بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول نحو (سَمِعَ وسَمِعَ)، وبين الفعل والمصدر نحو (عَلِمَ وعَلِمَ)، وبين الوصف والمصدر نحو (حَدِرٌ وحَدِرٌ)، وبين المفرد والجمع نحو (أَسَدٌ وأُسَدٌ).

ومن أمثلة ذلك عبارة: "قاتل المرء طمعه"، فهذه العبارة من دون صوائت ما هي إلا جملة شبه مبهمّة، وبالتالي فإنّ الصوائت القصيرة هي الأساس الذي يعوّل عليه في تحديد الدلالة، وفي

¹ ممدوح عبد الرحمان، القيمة الوظيفية للصوائت، دراسة لغوية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1998م، ص: 186.

² المرجع نفسه: ص 194.

³ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة، ط 1328هـ-1910م، ص 161.

التفريق بين الصيغ المحتملة لكلمة (قاتل)، فلو قيل: "قَاتِلُ الْمَرْءِ طَمَعُهُ" لكانت الجملة اسمية، ولكانت صيغة (قَاتِلُ) اسم فاعل، ولو قيل: "قَاتَلَ الْمَرْءُ طَمَعَهُ" لكانت الجملة فعلية ولاختلفت دلالتها عن الجملة السابقة، وهو ما يؤكد خطر الصوائت في تحديد دلالة الصيغ.

ولأمن اللبس فإنه من الواجب إظهار الصوائت على صوامتها، خاصة فيما يتعلق بالكلمات المتشابهة، لتفادي الإخلال بالمعنى المقصود، ومن هنا تتضح جليا أهمية الصوائت ووظيفتها الدلالية، فهي تشكل بذلك مميزا أساسيا في التفرقة بين معاني المفردات المتحددة الحروف الأصول.

المطلب الثالث: أثر الصوائت العربية القصيرة على مستوى الدلالة

اللغوية

تنبه علماء العربية القدماء إلى دور الصوائت العربية القصيرة في التفرقة بين معاني الكلمات المتشابهة الحروف الأصول (الصوامت)؛ حيث تتفق هاته الكلمات من حيث الصوامت المؤلفة لها وبنفس الترتيب، في حين تتغير معانيها تبعاً لتغير الصوائت؛ سواء لحق هذا التغير صامتا واحداً أو أكثر، من أمثلة ذلك: (العجب و العُجب)، (الشعر، الشعْر)، (الجنة والجِنَّة والجُنَّة) ، (الجِدُّ و الجُدُّ)، (الجِدة و الجَدَّة)، (الآخر والآخر)... وهذا ما دفع علماء العربية إلى البحث والتأليف في المثلاث اللغوية.

1- مفهوم المثلاث اللغوي:

أ- لغة : كلمة المثلاث في اللغة لها معنى واحد، وهو الدلالة على ثلاثة أشياء، جاء في اللسان: « وأرض مثلثة : لها ثلاثة أطراف ... وشيء مثلث: موضوع على ثلاث طاقات ». ¹ وجاء في التهذيب: « المثلاث ما كان من الأشياء على ثلاثة أثناء ... والمثلوث من الحبال ما قُتل على ثلاث قوى ». ²

ب- اصطلاحاً: فيراد بالمثلاث اللغوي عند علماء اللغة بأنه: « اسم يُرى في الكتابة واحداً، ويُصرف على ثلاثة أوجه ». ³ فالمثلاث اللغوي عبارة عن مجموعة مكونة من ثلاثة ألفاظ تتفق في عدد الصوامت والترتيب، في حين تتخلف في الصوائت؛ وقد يترتب عن تغير حركة أحد صوامتها تغير في المعنى أو لا يترتب.

¹ ابن منظور: لسان العرب، مادة ثلث، المجلد الأول، ص: 498 .

² الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): معجم تهذيب اللغة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01، 1422هـ، 2001م،

ج01، ص: 494

³ قطرب (أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد) ، مثلثات قطرب، ص: 03.

وذكر ابن السيّد البطليوسي (ت 521 هـ) « أن المثلث: » ما اتفقت أوزانه وتعادلت أقسامه ولم يختلف إلاً بحركة فائه فقط، أو بحركة عينه فقط، أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحيتين أو كسرتين»¹.

يبدو من خلال هذا التعريف أن ابن السيّد قد وسع من مفهوم المثلث الذي أورده **قطرب**، وهذا بإضافته الكلمات المثلثة؛ والتي تشتمل على حركتين متقابلتين نحو: السّمسم والسّمسيم و السّمسّم، وهو ما يتضح من خلال قوله: « أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحيتين أو كسرتين».

وعلى العموم فإنّ المتصفح لجميع الكتب الموضوعية في المثلث اللّغوي، يجد أن المثلث عبارة عن مجموعة من ثلاث مفردات مركبة من الصوامت نفسها، وهذه الصوامت تتفق في ترتيبها، أمّا التثليث « فيكون بتحريك حرف أو حرفين بالفتح في المفردة الأولى، ونفس الحرف أو الحرفين يركان (بالكسر) في المفردة الثانية، وفي المفردة الثالثة بالضم»².

أمّا الكلمة المثلثة فتكون:

- 1-اسما نحو: الأبس، و الإبس، و الأبس.
- 2-فعلا ماضيا نحو: بثر، وبثر، و بثر.
- 3-فعلا مضارعا نحو: ينبع، ينبع، و ينبع.
- 4-وقد تكون إحدى الكلمات المثلثة حرفا، وتكون الثانية فعلا نحو: (عَنْ) حرف جر، وبالكسر (عِنْ) فعل أمر من الفعل عان يعين، بمعنى أصاب بالعين.³

¹ ابن السيّد البطليوسي، المثلث، تحقيق ودراسة صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، 1401هـ، 1981م، ص: 47-48.

² محمد بن عبد الله بن مالك الجبائي، إكمال الإعلام بتثليث الكلام، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1404 هـ، 1984م، ج1، ص: 46.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص: 46.

وقد يَحتَمِل الحرف المثلث أكثر من معنى في صورة واحدة مثل: (مَنْ) حرف شرط، وحرف استفهام، و اسم موصول، و (مِنْ) حرف جر، و (مُنْ) أمر من يمونه.

2- أقسام المثلث اللغوي:

يقسم المثلث اللغوي إلى قسمين رئيسيين:

أ- المثلث المتفق المعاني.

ب- المثلث المختلف المعاني.

والفرق بينهما واضح؛ فإذا صحب تغيير الصائت تغيير في معنى الكلمة المثلثة، فإنّ هذه الكلمة تعد من المثلث المختلف المعاني، وإذا لم يصحب تغيير الصائت تغيير في المعنى كانت الكلمة المثلثة من المثلث المتفق المعاني¹.

أولاً : المثلث المتفق المعنى : وينقسم بدوره إلى عدة أشكال:

أ - تغيير الصائت الواقع على الصامت الأول من الكلمة : وذلك نحو : المكث ، والمكث، والمكث ، بمعنى الإقامة.

فالظاهر في المثلث اللغوي "المكث" أنّ تغيير الصائت على الصامت الأول - رفعا ونصبا وجرّاً - لم يؤثر في تغيير معنى هذه الكلمة ، إذ المعنى المقصود في صورته الثلاث هو المكوث والإقامة.

ب- تغيير الصائت الواقع على الصامت الثاني من الكلمة نحو:

● من الأسماء : الوقل و الوقُل و الوقل ، والمراد به الصاعد أو الصّعاد في الجبل من الطير أو غيره.²

ما يلاحظ في هذا المثلث اللغوي هو اتفاق المعنى بين صور الكلمة الثلاث "الوقل"، رغم اختلاف موقع الصائت الواقع على الصامت الثاني (القاف)؛ المفتوح مرّة والمكسور

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 47.

² ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقل) المجلد السادس، ص: 4900.

تارة والمضموم مرّة أخرى، والمراد به في كل هذه الصور المتحوّلة للكلمة هو (الصاعد في الجبل من الطير أو غيره).

• من الأفعال : نحو : سَخَنَ ، سَخُنَ ، سَخِنَ .

ج - تغيير الصّائت الواقع على الصامتين الأوّل والثالث من الكلمة وذلك نحو : الأئمّلة والإئمّلة والأئمّلة ؛ بمعنى طرف الأصبع¹.

بالتأمل في هذا المثلث اللّغوي نلاحظ أنّ تغيير الصائت الواقع على الصامتين الأوّل والثالث (الألف والميم) من كلمة "الأئمّلة" لم يؤثر في المعنى؛ سواءً كان الصامتان الأوّل والثالث مفتوحين أو مكسورين أو مضمومين، لأنّ دلالة الكلمة في أشكالها الثلاثة تعني: طرف الأصبع.

ومن نماذج المثلث المتفق المعني:

الطَّبُّ، و الطَّبُّ، و الطُّبُّ، بمعنى : المداواة.

قال ابن منظور: «الطَّبُّ علاج الجسم والنفس، ورجل طَبُّ وطبيب: عالم بالطَّبِّ... والطَّبُّ والطُّبُّ لغتان في الطَّبُّ»².

ومن نماذجه أيضا:

النَّصْعُ ، و النَّصْعُ ، والنَّصْعُ ، شديد البياض.

قال ابن منظور: «نصع لونه نصاعة ونصوعا: اشتد بياضه ... والنَّصْعُ والنَّصْعُ والنَّصْعُ:

جلد أبيض ... وزعم بعضهم به كل جلد أبيض، أو ثوب أبيض»³.

وهذا ما يثبت أنّ المثلث اللّغوي [النَّصْعُ]، يدل في صورته الثلاث على شدة البياض .

وما يمكن الإشارة إليه في المثلث اللّغوي المتفق المعنى هو أنّ التغيّرات الواقعة على أحد

الصوامت المكوّنة للكلمة نفسها لا يؤثر في معناها، بدليل أنّها تبقى محافظة على دلالتها

¹ ينظر: ابن السيد البيلطوسي، المثلث، ج 1 ص: 304.

² ابن منظور: لسان العرب، مادة (طَبُّ)، المجلد الرابع، ص: 2630، 2631.

³ المصدر نفسه، مادة (نَصْع)، ص: 4442 - 4443.

المعجمية المتفق عليها وضعا، سواء أكان ذلك بخصوص أشكال الأسماء أو الأفعال، وكان تغيير شكل الصائت القصير على صامت واحد أو أكثر.

ثانيا : المثلث المختلف المعاني :

يرد المثلث المختلف المعاني في ست صور، حيث يقع تغيير شكل الصائت على :

1- الصّامت الأوّل من الكلمة المثلثة ، نحو :

الحَمَام: الطير المعروف، والحِمَام: الموت، الحُمَام : حمى الإبل.¹

2- الصامت الثاني من الكلمة المثلثة:

غالبا ما يقع في الأفعال ، مثل :

- قدّم القوم أي: صار أمامهم .
- قدّم أقدم الرّجل من سفره.
- قدّم، الشيء: صار قديماً² .

نلاحظ في هذا المثلث اللّغوي أنّ فتح "الدّال" في الفعل - قدّم - جعله بمعنى تقدّم القوم ، وأنّ تغيير هذا الصائت القصير إلى كسرة من الفعل قدّم يغيّر دلالته إلى معنى القدوم والحضور ، وتغيير الصائت القصير الكسرة على الدّال إلى صائت قصير آخر هو الضمة يغيّر دلالة الفعل إلى معنى البلى والقدّم .

3- الصامت الثالث من الكلمة، وهو قليل نحو:

- المُسْعَطُ : مفعول من أسْعَطه الدواء : أنشقه إياه، والرُّمَحَ أطعت به في أنفسه، والعِلْمُ : بالغ في تعليمه إياه .
- المُسْعِطُ : فاعل المعاني السابق الإشارة إليها.

¹ ابن منظور: لسان العرب، مادّة (حمم)، المجلد السادس، ص: 1006، 1007

² المصدر نفسه ، مادة (قدم) المجلد الخامس، ص: 3552، 3553.

- المُسْعَطُ : الإِنَاءُ الَّذِي يُسْعَطُ بِهِ الْعَلِيلُ¹.

يتجلى في هذا المثلث أن تلوّن الصائت على الصوت الصامت (العين)؛ والذي يمثل الصامت الثالث من كلمة "المسعط" ساهم في تغيير الدلالة وتباعدها، مما يعطي ثراءً معنويًا على البنية اللغوية التي تعيش فيها هذه الكلمة .

4-الصامت الأول والثاني من الكلمة: وهو قليل، ومثال ذلك:

- الأَبْدُ: الدهر.
- الإِبِيدُ: الولود من أمة وأتان .
- الأَبْدُ: التوحش، يقال أبدت البهائم بمعنى توحشت².

5-تغير الصامت الأول والثالث من الكلمة، وهو قليل أيضا مثل:

- السَّمْسَمُ: الذئب الصغير، وقيل الثعلب.
- السَّمْسِمُ: الجُلْجُلان .
- السُّمُسُمُ: الرجل الخفيف³.

6-تغير الصامت الرابع من الكلمة: وهو نادر جدًا، ولم يرد له إلا كلمة واحدة في كتاب

(إكمال الإعلام بتثليث الكلام) وهي: التَفَاوُتُ⁴.

3- أثر الصوائت العربية القصيرة في تلوين دلالة الأفعال:

هناك حالات أخرى تؤدي فيها الصوائت القصيرة دوراً هاماً في تلوين دلالة الأفعال

نذكر منها:

¹ ينظر: ابن مالك الجباني، إكمال الإعلام، بتثليث الكلام، ج 2، ص: 631، 632 .

² ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أبد) المجلد الأول، ص: 05.

³ ينظر: المصدر نفسه، مادة (سمم)، المجلد الثالث، ص: 2104.

⁴ ينظر: محمد محمد داوود، الصوائت والمعنى في العربية، ص: 28-30.

أ - حالة اتفاق صورة الماضي مع تعدد صورة المضارع واختلاف المعنى : وذلك نحو:

الفعل قَسَطَ : يَقْسِطُ : بمعنى عدل .

و يَقْسِطُ : بمعنى : جارٍ وحاد عن الحق .

ب- حالة تعدد صورة الماضي مع اتفاق صورة المضارع واختلاف المعنى : في مثل:

● خَلَقَ : يَخْلُقُ . بمعنى : خَلَقَ الشيء إذا أبدعه وصوّره .

● خَلُقُ : يَخْلُقُ . بمعنى : خَلُقَ الغلام ، يَخْلُقُ ، إذا حَسُنَ خُلُقُهُ .

ج - حالة تعدد صورة الماضي والمضارع مع اختلاف المعنى : ومثال ذلك

● حَسَبَ - يَحْسِبُ المال أي: عدّه وأحصاه .

و حَسِبَ - يَحْسِبُ الشيء كذا، اعتبره وظنّه .

وكذلك الفعل:

فَقِهَ - يَفْقَهُ، يقال: فَقِهَ الأمر يَفْقَهُهُ: فهمه وأحسن إدراكه .

وَفَقِهَ - يَفْقَهُ: صار عالماً فَطِنًا.¹

4- نماذج من صور المثلث المختلف المعاني:

1 - تغيير الصائت الواقع على الصائت الأوّل من المثلث اللّغوي:

ومن ذلك: الجُنَّاح .

● الجناح: ومن معانيه:

- جَنَاحًا الطائر : ما يَخْفِقُ به في الطيران .

¹ ينظر: محمد محمد داوود ، الصوائت والمعنى في العربية ، ص: 101-122-126.

- وجناحا الطائر: يده، وجناح الإنسان يده.

- ويراد به أيضا الجناح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾¹ بمعنى أن لهما جانبك .

الجناح: ومن معانيه الميل إلى الإثم، وقيل هو الإثم عامة، وقيل هو الجناية والجرم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾²، بمعنى: لا إثم عليكم.

● الجناح: يقال: جناح وجنح من الليل، طائفة منه، وقيل: قطعة من منه نحو النصف³.
فالتأمل في هذا المثلث اللغوي (الجناح) يجد أن فتح الصامت "الجيم" يعني: جناحي الطائر، وعند الإنسان يعني يده، وبضم الجيم (الجناح) تتغير الدلالة إلى معنى الإثم أو الجناية، وبكسر الجيم (الجناح) تتحول الدلالة إلى معنى الظلام أو جزء من الليل.

● ومن نماذج تغيير الصامت الواقع على الصامت الأول: كلمة الجَدُّ.

● الجَدُّ: فمن معانيه:

● أبو الأب ، و أبو الأم .

● الجَدُّ: عظمة الله جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ وَتَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾⁴.

● والجَدُّ: الحظ والغنى والجد: القطع.

● الجَدُّ: الاجتهاد في الأمر والمبالغة فيه.

● الجَدُّ: بالضم فهو: البئر.⁵

¹ سورة الإسراء، الآية: 23.

² سورة النساء: الآية: 24.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة جنح، المجلد الأول، ص: 696.

⁴ سورة الجن، الآية: 03.

⁵ ينظر: ابن فارس (أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكرياء)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1406، 1986، ص: 169.

يتجلى من خلال المثلث اللغوي (السجّد) أنّ تغير الصّائت على الصّامت الأوّل من هذه الكلمة وسع الدلالة وباعد فيما بينها، إذ أنّ فتح الجيم من (السجّد) جعله يحتمل عدة معاني منها : عظمة الله عز وجل، وأبو الأب أو أبو الأم، كما يحتمل أيضا معنى الحظ والغنى، أمّا بكسر الجيم فتتحول الدلالة إلى معنى الاجتهاد في الأمر والمبالغة فيه، في حين يدلّ معنى (الجُد) على البئر في حال ضم الجيم .

ومن أمثله أيضا: الحُلل

- الحُللُ: الفساد في الأمر وغيره، ويعني أيضا: الفرجة بين الشيئين.
- الحُللُ: جمع خِلَّة، وهي ما يبقى بين الأسنان من الطعام، ومن معاني الحِلل كذلك: جفون السيوف، ومفردتها: خِلَّة.
- الحُللُ: جمع خُلَّة، وهي الصداقة¹.

يتبدى من المثلث اللغوي (الحُلل) أنّ تغيير الصّائت الواقع على الصّامت الأوّل (الخاء) أسهم في تغيير دلالة الجذر اللغوي (الحلل) وإثراء معانيها؛ فبفتح الخاء دلّ على الفساد في أيّ شيء كان، كما احتل معنى الفرجة بين الشيئين، وبكسرها دلّ على بقايا الطعام بين الأسنان أو جفون السيوف، أمّا بضمها (الحُلل) فيتحول المعنى إلى الصداقة.

- ومن أمثله : النَكس.
- النَكسُ : مصدر نَكَسَ الشيء إذا قلبه على رأسه.
- ونَكَسَ رأسه : طأطأه ذُلاً.
- ونَكَسَ الفرس: لم يلحق الخيل في جريه.
- النَكسُ : السهم الذي ما ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله، أو المخيّب من رمى به.
- النُكسُ : عود المرض بعد النقه، وهو من الانتكاس.
- ومخفف النُكسُ : وهم الشيوخ المسنون¹.

¹ ينظر: ابن فارس، مجمل اللغة، ص: 276، وينظر: ابن السيد البطليوسي، المثلث، ج 1، ص: 507-508.

2- تغيير الصّائت الواقع على الصّامت الثاني من المثلث اللّغوي: وقد سبق أن ذكرنا أنّ أكثر وقوعه في الأفعال، ومن نماذج ذلك نختار مثلث الأفعال الذي تتفق صورة ماضيه وتتعدد صور مضارعه مع اختلاف المعنى نحو الفعل :

- حَدَّ: يَحُدُّ، بمعنى الفصل بين الشيئين، يُقال: حَدَّ الأَرْضَ يَحُدُّها: وضع فاصلا بينها وبين غيرها.
- وَحَدَّ السَّيْفَ، يَحُدُّه: شحذه .
- أَمَّا فِي قَوْلِنَا: حَدَّ، يَحُدُّ (بالكسر) فتحمل عدة معاني منها:
- حَدَّ السَّيْفَ يَحُدُّ: بمعنى صار قاطعاً.
- حَدَّ الرَّجُلُ عَلَى غَيْرِهِ يَحُدُّ: غضب أو اشتد غضبه .
- حَدَّتْ رَائِحَةُ الشَّيْءِ، تَحُدُّ: إذا صارت ذكية¹.

بالتأمل في مضارع الفعل (حدّ) نلاحظ أنّه يحتمل عدة معاني: يَحُدُّ بمعنى يفصل بين الشيئين، ويَحُدُّ الأَرْضَ بمعنى يضع فاصلا بين قطعتين منها، ويَحُدُّ السَّيْفَ بمعنى يشحذه، أمّا إذا تحول الصّائت الملازم لحرف الحاء في الفعل المضارع نفسه (يحدّ) إلى كسرة فإنّ معنى هذا الفعل يحتمل عدة دلالات منها: يغضب أو يشتد غضب الإنسان، ويحدّ السَّيْفَ إذا صار قاطعاً، وتحدّ الرائحة إذا انتشرت بقوة.

ومن نماذج اتّفاق صورة الماضي وتعدد صور المضارع مع اختلاف المعنى الفعل: هشّ.

- هشّ، يَهْشُ، هشاشة فهو هشيش، يقال: هشّ الشيء يَهْشُ إذا سرّ به وفرح.
- هشّ، يَهْشُ، إذا خبط الشجر فألقاه لغنمه ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾².
- بمعنى: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه الغنم.

¹ ينظر: ابن مالك الجيّاني، إكمال الأعلام بتلخيص الكلام، ج2، ص: 723، و ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط،

ج2، ص: 254، و ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ج 5، ص: 477.

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حدد)، المجلد 2، ص: 800-801، و ينظر: الفيروز أبادي، البحر المحيط،

ج1، ص: 284.

² سورة طه، الآية: 18.

● هَشٌّ، يَهْشُّ ، هشوشة إذا صار خوار ضعيفا ، وإِنَّه لَهَشٌّ الْمَكْسَرُ وَالْمَكْسَرُ، إذا كان سهل الشأن في طلب الحاجة¹.

إذا تتبعنا المثلث اللغوي للفعل المضارع (يَهْشُّ - يَهْشُّ - يَهْشُّ) المتفق الماضي (هَشٌّ) نجد أن دلالة بفتح الهاء "يَهْشُّ" بمعنى الفرح والسرور بالشيء ، وبضم الهاء "يَهْشُّ" يعني ضرب الشجر اليابس ليسقط ورقه ، وبكسر الهاء "يَهْشُّ" للدلالة على سهولة الشأن في طلب الحاجة.

● ومن نماذج تعدد صور الفعل الماضي واتفق المضارع مع اختلاف المعنى نلاحظ من الأفعال: نقب- لحن- لطف.

● نَقَبَ، يَنْقُبُ أي، يَنْقُبُ، والنَّقَبُ: الثَّقْبُ في أي شيء كان².

- ونُقِبَ، يَنْقُبُ، فهو نَقِيبٌ، بمعنى الأمين الكفيل³.

- ونَقِبَ في الأرض يَنْقُبُ إذا ذَهَبَ⁴.

- وبالضم: نَقِبَ، يَنْقُبُ على قومه إذا صار مقدمهم.

- وبالكسر: نَقِبَ، يَنْقُبُ، يقال: نَقِبَ البعير، إذا رقت أحفاهه، ونقبت الأقدام إذا رقت جلودها⁵.

ومن أمثله الفعل: لحن.

● لَحَنَ، يَلْحَنُ لَحْنًا إذا أخطأ في الكلام، وهو الخطأ في الإعراب⁶.

- ولَحْنٌ، يَلْحَنُ فهو لَحْنٌ؛ إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره، ولحنه هو عَنِّي أي فَهَمَهُ.

¹ ينظر: الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، ج4، ص: 3762، 3763.

² ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، مادة (نقب)، ص: 4513.

³ ينظر: الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، ج 4، ص: 3640.

⁴ ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص: 133.

⁵ ينظر: الأزهرى، معجم تهذيب اللغة، ج 4، ص: 3249، 3250.

⁶ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد 5، مادة (لحن)، ص: 4013.

- ولحِنَ، يلحَنَ لحنا: فطنَ لحجته وأنتبه لها.

• ومن نماذجه أيضا الفعل: لطفَ

- لَطَفَ، يَلُطِفُ، يقال: لَطَفَ فلان لفلان، يَلُطِفُ إذا رق لُطْفًا.

-لَطُفَ، يَلُطِفُ الشيء إذا صَغُرَ.¹

بناء على ما تقدم ذكره من أمثلة المثلث اللغوي المختلف المعنى؛ نستنتج أن تأثير الصوائت في الصوامت قوي جدًا في تعدد المباني اللغوية؛ حيث يؤدي تنوعها وتبدلها على الصامت الواحد أو أكثر داخل المثلث اللغوي الواحد إلى تلون دلالي معجمي؛ وتوسع مفاهيمي واضح الأثر، مما يضيف ثراء معنويًا في اللغة العربية وتوسيع ألفاظها .

¹ ينظر: الأزهرى، معجم تمذيب اللغة، ج 4، ص: 3267.

المطلب الرابع: أثر الصّوائت العربيّة القصيرة على مستوى الدلالة

الاجتماعية

تؤدي الصوائت العربية القصيرة وظيفة أساسية بارزة في التمييز بين مختلف اللهجات ، وهو ما يسمى بالدلالة الاجتماعية، والتي من شأنها أن تميز بين بيئة وأخرى، « فكما يظهر الفرق اللّهجي في صورة إبدال الصوامت، فإنّه كذلك يظهر في صورة إبدال الحركات (الصوائت) »¹، وهو ما يتّضح جليا من خلال الظواهر اللّهجية المتعددة من خلال القراءات القرآنية ، وقد سبق وأن أشرنا إلى بعض هاته الظواهر في المبحث الخاص بالصوائت عند علماء القراءات، فذكرنا منها : الإمالة والفتح والإشباع والإختلاس ...

ونشير الآن إلى بعض الظواهر اللّهجية الأخرى الخاصة بالصوائت القصيرة؛ والتي لها تأثير على الدلالة الاجتماعية ومنها:

1- كسر حروف المضارعة (التلتلة):

أو ما يعرف بتلتلة بهراء، وهي في اللّغة: من تلتل، قال ابن منظور: «والتّلتلة التحريك والإقلاق»²، وعرفها إبراهيم أنيس بقوله: « وهي التحريك والإقلاق والزعزعة »³.

فعلة التسمية يبدو أنّها جاءت لما في الكسر من إقلاق الصوت وزعزعته.

أمّا اصطلاحاً : فالأصل في حروف المضارعة أن تفتح أو تضم حسب القواعد المنظمة لذلك، فنقول مثلاً: أنا أعلم، وأنت تعلم، وأنا أقبل، وأنت تُقبل، وهذا هو المألوف في اللّغة النموذجية

¹ محمد محمد داوود ، الصوائت و المعنى في العربية ، ص : 31.

² ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأوّل، مادة تلتل، ص442.

³ إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص: 121.

العربية، وبهذا جاء القرآن الكريم، لكن هناك لهجة لقوم من العرب تكسر بعض حروف المضارعة في بعض الأفعال، وقد نُسبت لقبيلة "بھراء" التي عرفت لهجتها بكسر حروف المضارعة، فسميت هذه الظاهرة "بتلتلة بھراء"¹، قال ابن جني: « وأما تلتلة بھراء، فإنهم يقولون: تعلمون و تفعلون و تصنعون بكسر أوائل الحروف»².

ونسبها سيبويه والاستراباذي إلى جميع العرب إلا أهل الحجاز³.

وقال ابن منظور: « وتعلم، بالكسر: لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازِن وأزد والسراة وبعض هذيل فيقولون: تعلم، والقرآن عليها »⁴.

وقد أفرد سيبويه لهذه الظاهرة باباً كاملاً بعنوان: « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، كما كسرت ثاني الحرف حين قلت "فعل" »⁵، حيث نسبها لجميع العرب إلا أهل الحجاز، قال سيبويه: « وذلك قولهم (أنت تعلم ذلك) و (أنا أعلم) و (هي تعلم)، و(نحن نعلم ذلك)، وكذلك كل شيء فيه (فعل) من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين، والمضاعف وذلك قولك: (شقيت فأنت تشقى)، و(خشيت فأنا إخشى)، و(خلنا نحن نخال) و(عضضت فأتت تعضضن) و(أنت تعضضين)، وإنما كسروا هذه الأوائل، لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثواني (فعل)، كما ألزموا الفتحة ما كان ثانيه مفتوحاً في (فعل)، وكان البناء على هذا أن يجروا أوائلها على ثواني (فعل) منها... وجميع هذا إذا قلت فيه (يفعل)، فأدخلت

¹ ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص: 121.

² ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج 1، ص: 230، و ينظر: الخصائص، ج 2، ص: 11.

³ ينظر: رضي الدين الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 1، ص: 141، و ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4، ص:

110.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، مادة (وقى)، المجلد 6، ص: 4902.

⁵ سيبويه: الكتاب، ج 4، ص: 110.

الياء فتحت، وذلك أنهم كرهوا الكسرة في الياء، حيث لم يخافوا انتقاض معنى، فيحتمل ذلك ، كما يكرهون الياءات والواوات مع الياء وأشباه ذلك»¹.

ثم يضيف قائلاً: «واعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة، لما جاوز ثلاثة أحرف في (فعل)، فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، وذلك أنهم أرادوا أن يكسروا أوائلها، كما كسروا أوائل (فعل)، فلما أرادوا الأفعال المضارعة على هذا المعنى، كسروا أوائلها، لأنهم شبهوا هذا بذلك... وذلك نحو قولك: استغفر فأنت: تستغفر، وأحزهم فأنت: تحزنهم...، وكذلك كل شيء من (تفعلت وتفاعلت وتفعللت) يجري هذا المجرى»².

بناء على ما تقدم نستخلص أن الأفعال التي يكسر حرف مضارعها هي:

- أ- كل فعل ماضيه على وزن (فعل) سالما كان أو مضاعفا، أو أجوفاً، أو ناقصاً.
- ب- كل فعل تجاوز ثلاثة أحرف ماضيه مبدوء بهمزة وصل مكسورة نحو: ابيض، انطلق.
- ج- كل فعل ماضيه على وزن "تفعل" أو "تفاعل" أو "تفعلل" و ذلك نحو: (تَكَلَّم، إِتَكَلَّم، تغافل، نتغافل)، (تدحرج، نتدحرج).

تكسر جميع حروف المضارعة ما عدا الياء، وذلك لثقل الكسرة على الياء.

ومن نماذج كسر حروف المضارعة نورد بعض الأمثلة:

من الفعل الثلاثي السالم :

نحو الفعل: (ركب) في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبِقٍ﴾³.

¹ سيويه: الكتاب، ج4، ص: 110.

² سيويه: الكتاب، ج4، ص: 112.

³ سورة الإنشقاق: الآية 19.

جاء في تفسير البحر المحيط أنه: «قرأ ابن مسعود وابن عباس (لترَكِبْن) بكسر التاء، وهي لغة تميم».¹

ومن الفعل المضعف: قرأ يحيى والأعمش وطلحة عن حمزة ابن حبيب: "فتمسكم" من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُؤْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.²

قال ابن جني في كتابه المحتسب في شواذ القراءات: «هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور، نحو عَلِمْتَ، تعلم وأنا أعلم وهي تعلم ونحن نركب، وتقل الكسرة في الياء، نحو يَعْلَم، يركب استثقلا للكسرة في الياء، وكذلك ما في أول ماضيه همزة وصل مكسورة، نحو تَنْطَلِق، و﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾³،... فكذاك "فتمسكم النار"».⁴

ومن أمثلة كسر حروف المضارعة من الشواهد العربية قول حكيم بن معية الربيعي:

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْشِمِ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمِ

فالأصل في الفعل "تَيْشِمِ": تأثم، فكسر حرف المضارعة، ولما كان ما قبل الهمزة مكسورا، أبدلت ياء، وهذا لتسهيل النطق.⁵

وقال زهير ابن أبي سلمى:

وَمَا أَدْرِي سَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقُومُ آلَ حَصْنِ أُمِّ نَسَاءُ؟

الشاهد فيه كسر حرف المضارعة في الفعل (إخال إذا الأصل: أخال).

¹ أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج8، ص: 440.

² سورة هود: الآية 113.

³ سورة آل عمران: الآية 106.

⁴ ابن جني: المحتسب في شواذ القراءات، ج 1، ص: 330.

⁵ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 37.

وتجدر الإشارة إلى أن كسر حروف المضارعة شائع في الكثير من لهجاتنا العربية الحديثة في وقتنا الحاضر، وبخاصة لهجة الإقليم الشمالي، مثلما هو الشأن في اللهجة المصرية أو النجدية أو العراقية، فهي تتلثل، فتقول مثلاً: تسمع - ترجع - نعثر - نمشى - تزعل - نفهم - تحسب، بيد أننا نفقد تلتلتها للفعل المضارع المبدوء بالهمزة مثل: أدري، وألعب وأمشي، مما يدل على أن ظاهرة التلتلة في لهجة الإقليم الشمالي والعراقيين بشكل عام ترد بصفة خاصة في الفعل المضارع المبدوء بالتاء، والياء والنون دون الهمزة¹.

ويرى رمضان عبد التواب أن ظاهرة التلتلة سامية قديمة؛ توجد في العبرية والسريانية والحبشية، والفتح في أحرف المضارعة حادث في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية الحديثة².

وهذا ما يثبت قدم ظاهرة التلتلة في اللهجات العربية وشيوعها في عدة لهجات حديثة.

2-الوكم:

لغة: وكم الرجل وكماً: ردّه عن حاجته أشدّ الرد، ووكم من الشيء: جزع واغتم له منه³.
أمّا اصطلاحاً فهو: « عبارة عن كسر الكاف من ضمير المخاطبين المتصل: (كم)، إذا سبق بكسرة أو ياء، فيقولون: (بكم)، في (بكم)، و(عليكم) في (عليكم) »⁴.
وقد عزيت هذه الظاهرة اللهجية إلى قوم (ربيعة)، وهم قوم من (كلب)، وعزاها سيبويه إلى قوم (بكر بن وائل) حيث قال: « وقال ناس من بكر بن وائل: من أحلامكم، وبكم، شبهها

¹ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية في لهجة الإقليم الشمالي، ص: 89-90.

² ينظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص: 125.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وكم، المجلد السادس ص: 4911.

⁴ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط6، 1420هـ، 1999م، ص152.

بالهاء لأنها علم إضمار وقد وقعت بعد الكسرة، فأتبع الكسرة الكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخفَّ عليهم من أن يُضَمَّ بعد أن يكسر، وهي رديئة جدًا».¹

يبدو من خلال هذا النقل عن سيبويه أن سبب ميل الناطقين بظاهرة الوكم (كسر كاف المخاطب)؛ هو تفادي الثقل الناتج عن الانتقال من الكسر أو ما يجانسه (الياء) إلى الضم.

ومن أمثلة الوكم ما أورده سيبويه في الكتاب من قول الحطيئة:

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادِثٍ من الدهر رُدُّوا فضل أحلامِكُم رُدُّوا²

قال سيبويه: « سمعنا أهل هذه اللغة... يقولون: أحلامِكُم »³؛ يعني بكسر كاف المخاطب من (أحلامِكُم) بدلا (أحلامِكُم)، فحدث الانتقال من الضم إلى الكسر أو ما يجانسه (الياء)، وهذا ما يستدعيه قانون المماثلة أو الانسجام بين الأصوات المتجاورة.

3- الوهم:

لغة: الوهم: من خطرات القلب، والجمع أوهام، وللقلب وهم، ويقال: وهم الرجل في الصلاة وهما، كلاهما: سَهَا.⁴

اصطلاحا: هو « عبارة عن كسر الهاء من ضمير الغائبين المتصل: (هم) مطلقا، فيقولون - أهل هذه اللغة - " مِنْهُمْ " و" عَنْهُمْ " و" بَيْنَهُمْ " ، في " مِنْهُمْ " و" عَنْهُمْ " و" بَيْنَهُمْ " ».⁵
وقد نسب الدارسون اللغويون أمثال السيوطي ظاهرة الوهم إلى بني كلب.⁶

¹ سيبويه، الكتاب، ج4، ص:197.

² البيت للحطيئة نقلا عن سيبويه، الكتاب، ج4، ص197.

³ سيبويه، الكتاب، ج4، ص197.

⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وهم، المجلد السادس، ص: 4933-4934

⁵ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص152.

⁶ ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص222.

واللغة العربية الفصحى تبقى الحركة الأصلية لضمير الغائبين (هُم) - وهي الضم - إلا إذا وقع بعد كسرة قصيرة أو طويلة أو ياء؛ فتقول "بصاحبهم" و"قاضيهم" و"عليهم" في "بصاحبهم" و"قاضيهم" و"عليهم"، وهذا ما يستلزمه قانون المماثلة بين الحركات المتجاورة. ولا يحدث هذا في الفصحى في ضمير الغائبين المتصل (هم) فحسب، بل يحدث كذلك في ضمير الغائب المذكر (هُ)، وضمير الغائبات (هن)، وضمير المثني للغائبين (هما) بشرط أن تُسبق هذه الضمائر جميعها بكسرة طويلة أو قصيرة أو ياء.

أما بنو كلب فيكسرون الهاء من الضمير (هم) مطلقاً، سواء سبق بكسرة أو ياء، أم لم يسبق بواحدة منهما، فهم يجرون قانون المماثلة الصوتية حتى في ما لم يسبق بكسرة أو ياء عن طريق القياس.¹

وقد عدّ الدارسون اللغويون ظاهري "الوكم" و"الوهم" من اللغات المذمومة، حيث صنّفها السيوطي في باب « معرفة الرديء المذموم من اللغات »²، إذ اعتبره من أقبح اللغات وأنزّلها درجة.

وبناء على ما سبق ذكره نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ التلونات الصائتية السالفة الذكر ما هي إلا مظاهر صوتية لهجية؛ ظهرت في بيئات لغوية مختلفة؛ في فترة زمنية متقدمة من تاريخ اللغة العربية، وبقيت لها امتدادات في بعض الأداءات النطقية في بعض المناطق العربية حديثاً.

¹ ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص153.

² السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص221.

ونخلص مما سبق ذكره في ثنايا مباحث هذا الفصل أن الصوائت العربية القصيرة تساهم من الجانب النحوي في توضيح العلامات الإعرابية لمختلف البنى الصوتية، وهو ما يثبت دورها في بناء التراكيب وتحديد الدلالات النحوية، لذا فاللغة العربية تعتمد على هذه المورفيمات الصوتية؛ والتي تشكل بدورها عناصر صوتية دالة على معانٍ نحوية من شأنها إبراز المعنى المقصود، وهذا ما يثبت دور الصوائت العربية القصيرة في الإفصاح عن الإعراب الذي له علاقة وثيقة بعلم النحو لدرجة أنه يصعب التفريق بينهما .

أما الدراسة الصرفية فقد أثبتت أن للصوائت العربية القصيرة دورا كبيرا في توليد المباني اللغوية المختلفة الصوائت والمتحدة الحروف الأصول (الصوامت)، مثلما لاحظنا مع صيغة (فعل)، والتي شكّلت لنا مختلف المباني الصرفية المحتملة - الاسمية والفعلية - انطلاقا من الجذر الثلاثي (ف - ع - ل)، إضافة إلى الاشتقاق الذي ساهم بشكل كبير في توليد الصيغ الصرفية المتعددة؛ انطلاقا أيضا من جذر لغوي واحد، وهذا بفعل تعامل الصوائت العربية فيما بينها وفقا لما تقتضيه القواعد الصرفية، وهذا ما يثبت أن اللغة العربية تتميز عن باقي اللغات بخاصية اشتقاقية مرنة، مما يساهم بشكل كبير في وفرة ألفاظها وجزارة معانيها.

أما من الناحية الدلالية؛ فإضافة إلى ما تؤديه الصوائت من وظائف نحوية وصرفية ، فقد اتضح أنه من خلال ما سبق ذكره من أمثلة حول المثلاث اللغوية المختلفة المعاني؛ أن تأثير الصوائت في الصوامت قوي جدا، حيث يؤدي تنوعها وتبدلها على الصامت الواحد أو أكثر داخل المثلاث اللغوي الواحد إلى تلون دلالي معجمي؛ وتوسع مفاهيمي واضح الأثر، مما يضيف ثراء معنويا في اللغة العربية وتوسيع ألفاظها، كما تؤدّي الصوائت العربية القصيرة وظيفة أساسية بارزة في التمييز بين مختلف اللهجات، وهو ما يسمى بالدلالة الاجتماعية، والتي من شأنها أن تميّز بين بيئة اجتماعية وأخرى.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فأحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقني ويسر لي إتمام هذا البحث الذي عشت معه فترة ليست يسيرة، لذا فإنّه من المفيد إجمال أهم النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

● تعدّد مصطلح تسمية الصّوائت العربيّة عند علماء العربيّة من اللّغويين والفلاسفة المسلمين وعلماء التجويد والمحدثين بين الحركات، المصوّتات، الأصوات الذائبة، أصوات اللين، العلل، الطليقات، الصّوائت أو الأصوات الصّائتة، ومع ذلك فالمقصد واحد؛ فالحركات عند القدماء هي القسم الثاني للتصنيف الثنائي للأصوات اللّغوية (الحركات والحروف)، وهو ما أقرته الدّراسات الصّوتية الحديثة من خلال التصنيف الثنائي المشهور (الصوائت والصوامت).

● الصّوائت العربيّة ثلاثة من حيث النّوع: القصيرة وهي: (الفتحة والضمة والكسرة)، وستة بحسبان الطول والقصر، بإضافة نظيرتها الطويلة وهي: (الألف والواو والياء)، والتي اعتبرها علماء العربيّة حروف المد واللين .

● كان لعلماء العربيّة فضل السبق في دراسة أصوات اللّغة العربيّة خدمة للقرآن الكريم، وصونه من اللّحن الذي ذاع وانتشر نتيجة الاختلاط بالأعاجم، مما أدى إلى سوء فهم النّص القرآني، وهو ما دفعهم إلى ضبط قواعد لوضع حد لهذه المعضلة الدّخيلة على اللّغة.

● تمكّن علماء العربيّة القدامى من دراسة الصنف الثاني من أصوات اللّغة العربيّة (الصوائت)؛ بتحديد مخارجها وصفاتها وموقعها من الحرف بصورة مختصرة وردت في ثنايا أبواب وفصول مؤلفاتهم، ومع ذلك فقد اتّسمت بالدقّة والموضوعية والشمول .

● اعتمد علماء العربيّة في تحديد مخارج الأصوات الصّائتة أساسا على الوضع الذي تتخذه أعضاء النطق، وهو المنهج الذي سلكه أيضا الدّارسون المحدثون في تصنيف الأصوات.

● نسب الدّارسون اللّغويون القدامى مخرج الصّوائت العربيّة إلى الحلق أو الجوف فقط، ومرد ذلك عدم إحاطتهم لأعضاء النطق الدّاخلية، بسبب نقص المعرفة التشريحية عندهم، ومع

ذلك فقد استند الدارسون المحدثون على تلك المعطيات وطوّروها وفقا لمعطيات العلم الحديث.

- تنبه علماء العربية إلى العلاقة الجزئية التي تربط الصّوات العربية القصيرة بنظيرتها الطويلة، وهو ما أثبتته الدّراسات العلمية الحديثة بكل تأكيد.
- صنّف الدّارسون اللّغويون الصّوات العربية القصيرة من حيث الخفة والثقل؛ فعدّوا الفتحة أخف الحركات تليها الكسرة وأثقلها الضمة.
- اسقر رأي جمهور الدّارسين اللّغويين حول مسألة موقعية الصامت من الصّات على مذهب سيبويه و ابن جني، والذي يؤكّد وقوع الصّات بعد الصامت، وهو ما رجحه الدّارسون المحدثون فيما بعد من خلال تقسيمهم للمقاطع الصوتية.
- تبيّن من خلال البحث عن دراسة الصّوات على مستوى التركيب أنّ هناك تغيّرات نوعية تلحق الصّوات العربية القصيرة؛ وتشمل التفخيم والترقيق والإمالة والفتح.
- تطرأ على الصّوات العربية القصيرة على مستوى التركيب أيضا ظواهر كميّة تشمل الإشباع والإشمام والرّوم والاختلاس والإخفاء.
- كان للفلاسفة المسلمين فضل السّبق في الإشارة إلى المقطع الصوتي وتحديد ماهيته، وهو الأساس الذي بنى عليه الدّارسون المحدثون تقسيمهم للمقاطع الصوتية إلى خمسة أصناف؛ والتي ذكرناها في المبحث الخاص بدراسة المقطع الصوتي.
- أشرنا أثناء حديثنا عن المقاطع الصّوتية إلى بعض الظواهر الأدائية التي تساهم في تلوين الإيقاع الصوتي أثناء الكلام، ومن ثمة المساهمة في تعدد المستوى الدّلالي من خلال ما يلحق المقاطع الصوتية من نبر وتنغيم، فينشأ عن تنوع درجات الصوت خفضا وارتفاعا بالضرورة تنوّع في المعاني المقصودة التي تبرز أساسا من سياق الكلام .
- أمّا على مستوى الدّراسة النّحوية والصّرفية فقد خلص البحث إلى ما يلي:

- للصّوائت العربيّة القصيرة دور أساسي في الإفصاح عن الإعراب؛ والذي له علاقة وثيقة بعلم النحو.
- لكل صائت قصير من الصوائت الثلاثة وظيفته النحوية الخاصة؛ الفتحة علامة النصب والضمة علامة الرفع والكسرة علامة الجر، كما حصرنا أهم المنصوبات والمرفوعات والمجرورات التي يختص بها كل صائت.
- تساهم الصّوائت العربيّة في توضيح العلامات الإعرابية لمختلف البنى الصوتية، ومن ثمة المساهمة في بناء التراكيب اللغوية بناء سليما وتحديد الدلالات النحوية المقصودة. اختار علماء العربيّة صوت الفتحة لخفته فجعلوه للمنصوبات لكثرة شيوعها في الكلام، في حين اختاروا الضمة للمرفوعات لثقلها وقلة استعمالها بخلاف المنصوبات، وفي المقابل جعلوا الكسرة علامة الإسناد (الإضافة) لا غير، مما يفسر قلة نسبة توظيفها في الكلام بخلاف الفتحة والضمة.
- أمّا على المستوى الصّرفي فقد تبين أن الاختلاف بين بنية صوتية وأخرى يرتبط أساسا بتعليل صوتي؛ والمتمثل أساسا في تغيير أحد الصوائت أو بعضها من بنية صرفية إلى أخرى، كما تساهم الصّوائت العربيّة القصيرة في تحديد الدلالة الصّرفية للفظة الواحدة المتّحدة الصوامت، فصيغة (فعل) مثلا تحتمل أن تكون اسما (فعل) أو فعلا (فعل) أو وصفا بفعل تغيير الصوائت القصيرة وتبادلها فيما بينها، مما يغيّر حتما من وظيفتها الدلالية.
- أشرنا من خلال الدّراسة الصّرفية إلى دور الصّوائت العربيّة القصيرة في توليد المباني الصّرفية، المحتملة بنوعيتها (الإسمية والفعلية) للجذر الثلاثي (ف — ع — ل)، وهو ما لاحظناه من خلال حصر الأوزان الصّرفية للأفعال التي يمكن تكوينها من هذا الجذر، وكذلك الأوزان الصّرفية الاسمية لجموع التكسير.
- لم يغفل البحث الإشارة إلى الاشتقاق باعتباره من المسائل الصّرفية الهامّة التي تؤدي فيها الصوائت العربيّة بنوعيتها — القصيرة والطويلة — وظيفة أساسية بارزة في توليد الصيغ

الصّرفية المتعددة، انطلاقاً من جذر لغوي واحد، وهذا بفعل تعامل الصّوائت فيما بينها وفقاً لما تقتضيه القواعد الصّرفية، فينشأ بالضرورة من هذه الصيغ الصّرفية تعدّد في دلالة معانيها، وهو ما يثبت أنّ اللّغة العربية لغة اشتقاقية مرنة وفيرة الألفاظ غزيرة المعاني، وهذه خاصية تميّزها عن سائر اللّغات.

● أمّا على المستوى الدلالي فقد اتضح أنّ للصّوائت العربيّة القصيرة أثراً كبيراً في تحديد وتعدّد دلالات المفردات والتلاعب بمعانيها وإيجائها، كما اتضح أنّ للصّوائت أيضاً أثراً بارزاً في تحديد الدلالة من مستويين أساسيين وهما:

● **الدلالة اللّغوية:** ويظهر ذلك من خلال الوظيفة الدلالية التي تؤديها الصّوائت العربيّة القصيرة في التمييز بين معاني المفردات المتّحدة الحروف الأصول (الصّوامت)؛ نحو (الآخر والآخر) و(الجنة - الجنة - الجنّة)، ولأمن اللبس وتفادي الإخلال بالمعنى المقصود فإنّه من الضروري إظهار الصّوائت القصيرة على صوامتها، خاصة فيما يتعلق بهذه المفردات المتشابهة.

كما تناول البحث المثلث اللّغوي الذي يشمل الألفاظ الثلاثة المتّحدة الصوامت؛ المختلفة في ترتيب الصّوائت، مع التمييز بين نوعي المثلث اللّغوي (المتّفق المعاني والمختلف المعاني). كان لعلماء العربيّة فضل السبق في التأليف حول المثلثات اللّغوية أمثال: محمد ابن المستنير قطرب (206هـ)، وابن السيّد البطليوسي (521هـ)، وابن مالك الجياني (672هـ) ، حيث كانت لهم جهود ثمينة تستحق الإكبار والإجلال، وهي تنم عن مدى اهتمام العرب بدراسة أصوات لغتهم وما يملكونه من حسن لغوي مرهف مبني على ملاحظاتهم الذاتية فقط، أثناء ضبط أصوات لغتهم ومعاني مفرداتها .

● **الدلالة الاجتماعية:** حيث تبين أنّ للصّوائت العربيّة القصيرة وظيفة أساسية بارزة تكمن في التمييز بين بعض المظاهر اللّهجية؛ التي تميّز بين بيئة وأخرى مثل: الإمالة والفتح وكسر حروف المضارعة (التثنية)، والوكم والوهم، وهي في مجملها صوتية لهجية شاعت في

بيئات متعددة منذ زمن قديم، ولا يزال لها بعض الامتداد في الأداء النطقي عند بعض اللهجات الحديثة.

وتبقى الصّوائت العربيّة القصيرة بحاجة إلى من ينشلها ويخصها بدراسة أكثر استفاضة، مع ضرورة مواصلة البحث، لتجلية الكثير من الإشكاليات التي أُثيرت في ثنايا هذه الدراسة. فهذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها، فما كان من توفيق فمن المولى عزّ وجلّ، وما كان من خطأ فمن نفسي، وحسبي أنّي اجتهدت، والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين

تمت بحمد الله

مكتبة البحث

- القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

المصادر والمراجع

❖ إبراهيم أنيس:

- أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1978م.
- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، د.ت.
- في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط، د.ت، 2003م.

❖ ابن الأنباري (أبو البركات):

- البيان في غريب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، دار الكتاب العربي، مصر، د ط ، 1969م.

❖ ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد):

- النشر في القراءات العشر، مراجعة وتصحيح الأستاذ: محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

❖ ابن جني (أبو الفتح عثمان):

- الخصائص، تحقيق محمد علي التّجار، دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- سرّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ-1993م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم التّجار، مطابع الأهرام القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ، 1994م.

- المنصف، شرح كتاب التصريف، للإمام أبي عثمان المازني، تحقيق ابراهيم مصطفى، إدارة إحياء التراث، القاهرة، مصر، ط1، 1954م.

❖ ابن الحاجب:

- الكافية في النحو، شرح رضي الدين الأستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1979م.

❖ ابن السيد البطلوسي:

- المثلث، تحقيق ودراسة صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرّشيد للنشر، العراق، د ط، 1401هـ، 1981 م.

❖ ابن سينا (أبو علي الحسن بن عبد الله):

- رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسن الطيّان ويحيى مير علم، مراجعة وتقديم شاكر الفخام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، د ط.

❖ ابن الطّحان (عبد العزيز بن علي السّمائي):

- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار النشر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1419هـ، 1999م.

❖ ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن أحمد بن محمد الإشبيلي):

- الممتع الكبير في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

❖ ابن فارس (أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا اللّغويّ):

- الصّاحي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997م.

- مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ-1986م.

❖ ابن مالك: (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي):

- إكمال الإعلام بتلخيص الكلام، دراسة وتحقيق سعد بن حمدان الغامدي، مكتبة المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1404هـ-1984م.

- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق عبد الرحمان السيد، هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990م.

❖ ابن منظور (جمال الدين ابن محمد):

- لسان العرب، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دت.

❖ ابن النديم:

- الفهرست، تحقيق: رضا تجدد بن علي، مكتبة الأسد، طهران، دط، 1971م.

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، المطبعة الميرية مكة، السعودية، ط1، 1319هـ.

❖ ابن هشام (جمال الدين عبد الله):

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 2000م.

❖ ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش ابن علي):

- شرح المفصل، تحقيق د. اميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

❖ أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف):

- تفسير البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، شرح وتحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

❖ أبو علي الفارسي (أبو علي الحسن بن عبد الغفّار):

- الحجّة للقراء السبعة، تحقيق بدر الدّين قهوجي، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، د.ط، دت.

❖ أحمد بن محمد البنا:

- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمّى منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 140هـ/1987م.

❖ أحمد زرقة:

- أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط 1 ، 1993م.

❖ أحمد عفيفي:

- ظاهرة التخفيف في النّحو العربي، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1996.

❖ أحمد مختار عمر:

- دراسة الصوت اللّغويّ، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط، 1418هـ، 1997م.

- علم الدّلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط5: 1998م.

❖ الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد):

- معجم تهذيب اللّغة، تحقيق رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

❖ الاسترأاباذي (رضي الدين محمد بن الحسن):

- شرح شافية ابن الحاجب، شرح وتعليق محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط: 1402هـ-1982م.

❖ بسام بركة:

- علم الأصوات العام، الأصوات اللّغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

❖ تمام حسن:

- اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1994م.
- مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د.ط، 1990م.

❖ حسام البهناوي:

- الدّراسات الصوتية عند العلماء العرب والدّرس الصوتي الحديث، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

❖ حسام سعيد التّيمي:

- الدّراسات اللّهجية والصوتية عند ابن جنيّ، دار الرّشيد للنّشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، د.ط: 1980م.

❖ حلمي خليل:

- التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988م.
- مقدمة لدراسة علم اللّغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 2000م.

❖ الحملأوي (أحمد بن محمد بن أحمد):

- شذا العرف في فن الصرف، شرح وتعليق محمد بن عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر، الرياض، د ط، د ت.

❖ حفني ناصف:

- حياة اللغة العربية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى: 1423هـ، 2002م.

❖ خليل إبراهيم العطية:

- في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، د ط، 1983م.

❖ الخليل: (أبو عبد الرحمن الخليل ابن أحمد الفراهيدي):

- معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان د ط، د ت.

❖ الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف):

- مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2: 1409هـ-1989م.

❖ الخوارزمي (القاسم ابن الحسين):

- شرح المفصل في صناعة الإعراب الموسوم بالتحميم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م.

❖ الداني (أبو عمر عثمان بن سعيد):

- التحديد في الاتقان و التجويد، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1421 هـ ، 2000م.

- التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1404هـ، 1984م .

- المحكم في نقط المصاحف، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ، 1997م.

❖ ديزيرة سقال:

- الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

❖ رمزي منير بعلبكي:

- فقه اللغة المقارن، دراسات الأصوات العربية وصرفها ونحوها على اللغات السامية، دار الملايين للعلم، بيروت، لبنان، د ط، 1999م.

❖ رمضان عبد التوّاب:

- التطور النحوي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1414 هـ، 1994 م.
- فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط6، 1420هـ، 1999م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1417هـ، 1997م.

❖ الزركليّ خير الدين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس:

- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة 2002م، ج5.

❖ زيد خليل القرالة:

- الحركات في اللغة العربية - دراسة في التشكيل الصوتي -، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004م.

❖ سعد عبد العزيز مصلوح:

- دراسة السمع والكلام - صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك -، عالم الكتب، القاهرة، مصر، د ط، 1426 هـ، 2005م.

❖ السَّعِيدِي (أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي):

- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، تحقيق غانم قدوري، مستخرج من مجلة المجمع العلمي العراقي العدد السادس والثلاثون الجزء الثاني لعام 1985م.

❖ سيبويه، (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):

- الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1408 هـ، 1988م، ج4.

❖ السيوطي (جلال الدين):

- الإتيان في علوم القرآن، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط3، 1996م.

- الأشباه والنظائر في النحو، مطبوعات مجمّع اللّغة العربيّة، دمشق، سوريا، د.ط، د.ت.

- المزهري في علوم اللّغة و أنواعها، تحقيق: فؤاد عليّ منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى: 1418هـ، 1998م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط، د.ت.

❖ صالح سليم الفاخري:

- تصريف الأفعال و الأسماء و المشتقات، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 1996م.

❖ صبحي الصالح:

- دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، د.ت.

❖ صفية مطهري:

- الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 2003م.

❖ الطيب البكوش:

- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط3: 1992م.

❖ عبد البديع النيرباني:

- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، ط1، 1427هـ، 2006م.

❖ عبد الرحمن الحاج صالح:

- بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007م.

❖ عبد الرحمن أيوب:

- أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، القاهرة، مصر، ط 2، 1968م.

- محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، بغداد، د ط، 1966 م.

❖ عبد الصبور شاهين:

- أثر القراءات في الأصوات والتحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1 ، 1408هـ ، 1987م.

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ط، 2009م.

- المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د ط، 1980.

❖ عبد العزيز الصيغ:

- المصطلح الصوتي في الدراسات العربيّة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000م.

❖ عبد العزيز علي سفر:

- الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون ، دار التراث العربي، الكويت، دط، 2009م.

❖ عبد القادر عبد الجليل:

- الأصوات اللّغوية، دار صفاء، عمان، الأردن، 1998م.
- الدّلالة الصوتية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1417هـ-1997م.
- علم الصرف الصوتي، مطبعة أزمنة، د.ط، 1998م.

❖ عبده الراجحي:

- دروس في المذاهب التّحوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1988م.
- في التّطبيق التّحوي و الصّرّي، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، د.ط، 1992م.
- اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1996م.

❖ عصام نور الدين:

- علم الأصوات اللّغوية، الفونيتكا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.

❖ عليّ بهاء الدين بوخدود:

- المدخل الصّرفيّ، تدريب و تطبيق في الصّرف العربي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1408 هـ – 1988م.

❖ عليّ القاري (الملا علي بن سلطان محمد المكّي):

- المنح الفكرية في شرح المقدّمة الجزرية، تحقيق أسامة عطايا، مراجعة أحمد شكري، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط2: 1433هـ – 2012م.

❖ غالب فاضل المطلي:

- في الأصوات اللّغوية، دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د ط، 1984م.

❖ غانم قدوري الحمد:

- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1428 هـ، 2007م.

- علم التجويد – دراسة صوتية ميسرة – دارعمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ – 2005م.

- المدخل إلى علم الأصوات العربية، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1: 1425هـ – 2004م.

❖ الفارابي، (أبو نصر محمد):

- كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير محمود الحنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، د ط، دت.

❖ الفخر الرازي (محمد بن عمر أبو عبد الله):

- التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، د.ت.

❖ الفراء (أبو زكرياء يحيى بن زياد):

- معاني القرآن، تحقيق محمد عليّ التّجار وأحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3: 1983م.

❖ الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب):

- القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

❖ قاسم البرسيم:

- علم الصوت العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

❖ القرطبي (عبد الوهاب بن محمد):

- الموضّح في التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ، 2000م.

❖ القسطلاني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر):

- لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق الشيخ عامر عثمان وعبد الصبور شاهين، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، د ط، 1392هـ، 1972م.

❖ قطرب (أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد):

مثلثات قطرب.

❖ كمال محمد بشر:

- دراسات في علم اللّغة، دار المعارف بمصر، ط9، 1986م.

- علم الأصوات، دارغريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2000م.

❖ لطيفة النجار:

- دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعدها، دار البشير، عمان، الأردن، ط1، 1994م.

❖ المالقي (عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي محمد المالكي):

- شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

❖ المبرّد (أبو العباس محمّد بن يزيد):

- المقتضب، تحقيق محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3: 1403هـ- 1983م.

❖ محمّد الأنطاكي:

- دراسات في فقه اللّغة، دار الشّرق العربيّ، بيروت، لبنان، ط4، د.ت.

- الوجيز في فقه اللّغة، المطبعة الحديثة، حلب، سوريا، د ط، 1969م.

❖ محمّد محمّد داود:

- الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية ومعجمية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2001.

❖ محمّد محي الدين عبد الحميد:

- التّحفة السنية، شرح الأجروميّة، مطبعة مالك بن أنس، الجزائر، ط1، 2001م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

❖ محمود خليل الحصري:

- أحكام قراءة القرآن الكريم، المكتبة الملكية، دار البشائر الإسلامية، ط4، 1999م.

❖ محمود السعران:

- علم اللّغة ، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان ، د ط، د ت.

❖ محمود فهمي حجازي:

- مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

❖ مكّي بن أبي طالب (أبو محمّد القيسي):

- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 1417هـ، 1996م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق، سوريا، دط، 1974م.

❖ مكّي درار:

- الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط2، 2006م.

❖ ممدوح عبد الرحمن:

- القيمة الوظيفية للصوائت، دراسة لغوية، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 1998م.

❖ منصور محمد الغامدي:

- الصوتيات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.

❖ منقور عبد الجليل:

- علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2001م.

❖ مهدي المخزومي:

- في النحو العربي، نقد وتوجيه، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، 1964م.

❖ هادي نهر:

- علم الأصوات النطقي - دراسات وصفية تطبيقية - عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2011م.

❖ هارون عبد الرزاق:

- عنوان الظرف في علم الصّرف، شرح الشيخ محمد هارون وأبو الفضل محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط3، د ت.

❖ ياقوت الحموي:

- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1993م، ج6.

المراجع الأجنبية المترجمة

❖ برجشتراسر:

- التطور النحويّ للغة العربيّة، أخرجه وصحّحه: رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2: 1994م.

❖ بيار غيرو:

- علم الدلالة، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م.

❖ جان كانتينو :

- دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات الجامعية التونسية، تونس، د ط، د ت.

❖ دفيد أبركرومي :

- مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة محمد فتوح، كلية دار العلوم، القاهرة، مصر، ط 1، 1988م.

❖ فنديس:

- اللّغة، تعريب عبد الحميد الدّواخليّ ومحمّد القصّاص، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

❖ ماريو باي:

- أسس علم اللّغة، ترجمة و تعليق أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 8: 1419هـ، 1998م، ص 46.

❖ هنري فليش:

- العربيّة الفصحى (دراسة في البناء اللّغويّ)، تعريب وتحقيق عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، شارع إسماعيل سرى بالمنيرة، د.ط، د.ت.

الرسائل الجامعية والمجلات والدوريات

❖ إبراهيمي بوداود:

- فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف مكّي درار، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، وآدابها، السنة الجامعية 2011، 2012م.

❖ أمينة طيبي:

- الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة، إشراف الدكتور محمد بلوحي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الجليلي اليباس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004-2005 م.
- علم أصوات اللغة العربية، حامل بيداغوجي، جامعة الجليلي اليباس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2005-2006 م.

❖ سميرة رفاص:

- نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الصوتيات، إشراف مكّي درار، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جليلي اليباس، سيدي بلعباس، 2007، 2008م.

❖ مكّي درار:

- الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف الدكتور عبد المالك مرتاض، جامعة السانية، وهران، 2002-2003م.

❖ مكّي درار وسعاد بسناسي،

- المقرّرات الصوّتيّة في البرامج الوزاريّة للجامعة الجزائريّة (دراسة تحليليّة تطبيقية)، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، د.ت.

المجلات والدوريات:

– مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، العدد الرابع، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 1426هـ، 2005 م.

- مقال: الصوائت في التراث العربي، إعداد الدكتورة أمينة طيبي.

– مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، العدد الرابع، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 1427هـ، 2006 م.

- مقال: القيمة اللسانية في الظواهر الإعرابية إعداد : أ.د بلبشير لحسن.

- مقال: أثر العلامة الصوتية (الإعرابية) في دلالة الصيغة الوصفية إعداد : د. رفاص سميرة.

– مجلّة اللّغة العربيّة، دار الخلدونيّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، العدد الثّاني والعشرون، د.ت.

- التّعليميّة اللّغويّة في المثلّثات العربيّة بين الاستقراء والتّحليل – تطبيقات عن مثلث قطرب – إعداد : د. سميرة رفاص.

– المجلّة الثّقافيّة الشهريّة (عود النّد)، العدد 95، السّنة الثّامنة،

<http://www.oudnad.net/spip.php>

- الصّوائت في التّراث العربيّ، إعداد الدكتورة أمينة طيبي.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
أ	يوسف	02-01	﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾
43	التَّمَل	42	﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾
43	هود	49	﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴿٤٩﴾﴾
54	الضحى	01	﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾﴾
54	طه	01	﴿طه ﴿١﴾﴾
60	آل عمران	125	﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾
101	هود	28	﴿أَنْزَلْنَاهُ مَكْمُوهًا﴾
101	الأنبياء	103	﴿لَا يَحْزَنُهُمْ﴾
129	البقرة	259	﴿وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾
141	الإسراء	23	﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾
142	البقرة	15	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾
142	البقرة	39	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾
142	البقرة	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
143	طه	123	﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾﴾
143	يوسف	23	﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
143	يوسف	05	﴿ قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصَصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾
144	البقرة	182	﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
144	البقرة	29	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
145	يس	20	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾
145	الشعراء	61	﴿ فَلَمَّا تَرَأَ الْجَمْعَانَ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرَكُونَ ﴾
146	النحل	01	﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
147	البقرة	08	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
157	يوسف	11	﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾
158	القيامة	40	﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾
158	النساء	154	﴿ لَا تَعْدُوا ﴾
158	البقرة	54	﴿ بَارِيكُمْ ﴾
167	البقرة	137	﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
184	مريم	04	﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسَ شَيْبًا﴾.
184	القمر	12	﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾.
185	القصاص	21	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.
185	الصافات	-134 135	﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾.
187	آل عمران	71	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾.
187	الأعراف	77	﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَصْلِحْ أُنْتِنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾.
187	الأعراف	19	﴿وَيَنَادِمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.
188	البقرة	19	﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾.
188	البقرة	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.
190	التساء	152	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾.
190	التور	30	﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.
191	الفاتحة	07-06	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.
194	مريم	38	﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾.
194	الحديد	16	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
195	القيامة	09	﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾.
195	الفتح	29	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾.
196	القصص	10	﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ﴿١٠﴾﴾.
196	النور	30	﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.
197	التور	21	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.
197	ص	73	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.
198	الإنسان	26	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾.
199	يوسف	76	﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.
199	الواقعة	-28 32	﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَلَكَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾.
199	سبأ	33	﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.
204	يوسف	24	﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾
204	يوسف	34	﴿فَنَصْرِفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾
204	البقرة	164	﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾.
227	القلم	11	﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾.
227	نوح	22	﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾﴾.
251	الإسراء	23	﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
251	النساء	24	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾
251	الجنّ	03	﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾
253	طه	18	﴿ وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾
258	الانشقاق	19	﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾
259	هود	113	﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾
259	آل عمران	106	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾



فهرس الموضوعات

إهداء:
شكر وعرفان.....

مقدمة:..... أ

وهو 1

17 الفصل الأول: الدراسة التاريخية للصوائت العربية.....

19 المبحث الأول: الصوائت عند اللغويين القدامى:

21 المطلب الأول: أبو الأسود الدؤلي (69هـ)

23 المطلب الثاني: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)

27 المطلب الثالث: سيبويه (ت 180 هـ)

32 المطلب الرابع: ابن جني (ت 392هـ)

39 المبحث الثاني: الصوائت العربية عند علماء التجويد

41 المطلب الأول: من حيث التسمية

44 المطلب الثاني: عدد الأصوات الذائبة عند علماء التجويد

45 المطلب الثالث: علاقة أصوات المد بالحركات عند علماء التجويد

48 المطلب الرابع: مخارج الصوائت وصفاتها عند علماء التجويد

51 المطلب الخامس: التغيرات الصوتية للصوائت العربية عند علماء التجويد

62 المبحث الثالث: الصوائت عند الفلاسفة المسلمين

64 المطلب الأول: الصوائت عند الفارابي

68 المطلب الثاني: الصوائت عند ابن سينا (428/370هـ)

71 المطلب الثالث: الصوائت عند الفخر الرازي (ت 606هـ)

74 المبحث الرابع: الصوائت عند علماء الأصوات المحدثين

74 المطلب الأول: الصوائت عند دانيال جونز (Daniel.Jones)

77 المطلب الثاني: الصوائت عند "إبراهيم أنيس"

83.....	المطلب الثالث: الصّوائت عند " كمال بشر "
87.....	المطلب الرابع: الصّوائت عند " أحمد مختار عمر "
93	الفصل الثّاني: الدراسة الصوتية للصوائت العربية القصيرة
97.....	المبحث الأول: دراسة الصوائت على مستوى الأفراد
98.....	المطلب الأول : من حيث مخارج الصوائت
99	1- علاقة الحلق والجوف بإنتاج الصوائت:
103	2- علاقة اللسان بإنتاج الصوائت:
106	3- دور الشفتين في إنتاج الصوائت:
	المطلب الثاني: عدد الصوائت القصيرة و علاقتها بالطويلة وتصنيفها من
108.....	حيث الخفة و الثقل
108	1- عدد الصوائت والعلاقة بينها:
113	2- أقسام الصوائت القصيرة من حيث الخفة و الثقل:
115.....	المطلب الثالث: إشكاليّة التنوين و السّكون
115	1- التنوين:
118	2- السّكون:
122.....	المبحث الثاني: دراسة الصوائت العربية القصيرة على مستوى التركيب
123.....	المطلب الأوّل: موقعية الصائت من الصامت
129...	المطلب الثّاني: التغيّرات النوعية التي تلحق الصوائت على مستوى التركيب
130.....	1- الترقيق والتفخيم:
135.....	2- الإمالة والفتح:
	المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لصورة الإمالة بحسب تصنيف الدارسين
143.....	المحدثين
143.....	1-إمالة بسبب الكسرة المتقدمة:
144.....	2-إمالة بسبب الياء المتقدمة:
144.....	3-الإمالة للكسرة المتأخرة:
145.....	4-إمالة لأجل الياء بعد الألف:

- 5-إمالة لأجل الكسرة المقدرة في المحل المال: 145.....
- 6-إمالة بسبب الياء المقدرة في المحل المال: 146.....
- 7-إمالة لكسرة تعرض في بعض أحوال الكلمة: 147.....
- 8-إمالة لأجل إمالة: 147.....
- 9-إمالة لأجل الشبه: 148.....
- 10-إمالة لأجل كثرة الاستعمال: 149.....

المطلب الرابع: الظواهر الكمية التي تلحق الصوائت العربية القصيرة على

- مستوى التركيب 150.....
- 1 - الإشباع: 151
- 2- الإشمام و الروم: 154.....
- 3- الاختلاس والإخفاء: 157.....
- المطلب الخامس: المقطع الصوتي (SYLLABLE) 161.....
- 1-تعريف المقطع الصوتي: 162.....
- 2-أنواع المقاطع الصوتية: 165.....
- 3-عدد المقاطع الصوتية المحتملة في النسيج اللغوي العربي: 168.....
- 4-النبر و التنغيم: 170.....

الفصل الثالث: الدراسة النحوية والصرفية والدلالية 176

المبحث الأول: الدراسة النحوية للصوائت العربية القصيرة 177.....

- المطلب الأول: تعريف الإعراب وأقسامه 179.....
- 1-تعريف الإعراب: 179.....
- 2- أقسام الإعراب: 180.....
- 3-الوظيفة النحوية للصوائت العربية القصيرة: 182.....
- المطلب الثاني: الوظيفة النحوية للفتحة / َ / : 184.....
- المطلب الثالث: الوظيفة النحوية للضمة / ُ / : 194.....
- المطلب الرابع: الوظيفة النحوية للكسرة / ِ / : 200.....
- المبحث الثاني: الدراسة الصرفية للصوائت العربية القصيرة 203.....

- 206.....المطلب الأول: تعريف الصرف
- 208.....المطلب الثاني: دور الصوائت في تشكيل البني الصرفية الاسمية والفعلية.
- 208.....1- دور الصوائت في تشكيل البني الصرفية الاسمية:
- 210.....2- دور الصوائت في تشكيل المباني الصرفية الفعلية:
- 214.....المطلب الثالث: تعامل الصوائت العربية فيما بينها
- 216.....المطلب الرابع: الاشتقاق
- 218.....1- اسم الفاعل:
- 222.....2- اسم المفعول:
- 227.....3- الصفة المشبهة:
- 229.....4- صيغ المبالغة:
- 232.....5- اسما الزمان و المكان:
- 233.....6- اسم الآلة:
- 233.....7- اسم التفضيل:
- 234.....8- التصغير:
- 234.....9- النسب :
- 235.....10- جمع التكسير:
- 235.....11- إسناد الأفعال إلى الضمائر:
- 236.....12- المصدر:
- 239.....**المبحث الثالث: الدراسة الدلالية للصوائت العربية القصيرة**
- 241.....المطلب الأول: مفهوم الدلالة
- 243.....المطلب الثاني: أثر الصوائت العربية القصيرة على المستوى الدلالي
- المطلب الثالث: أثر الصوائت العربية القصيرة على مستوى الدلالة اللغوية
- 246.....
- 246.....1- مفهوم المثلث اللغوي:
- 248.....2- أقسام المثلث اللغوي:
- 251.....3- أثر الصوائت العربية القصيرة في تلوين دلالة الأفعال:

252.....	4- نماذج من صور المثلث المختلف المعاني:
المطلب الرابع: أثر الصّوائت العربيّة القصيرة على مستوى الدلالة	
258.....	الاجتماعية.....
258.....	1- كسر حروف المضارعة (التلتلة):
262.....	2- الوكم:
263.....	3- الوهم:
264.....	خاتمة.....
272	مكتبة البحث.....
291	فهرس الآيات القرآنية.....
297	فهرس الموضوعات.....

تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على موضوع الصوائت العربية القصيرة (الحركات)، من مختلف جوانبها الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية، قصد تحديد الوظائف الصوتية التي تؤديها على مستوى الأفراد والتركيب، والنحوية من خلال بيان أثرها في تحديد الوظائف الإعرابية لأبنية اللغة العربية الاسمية والفعلية، أما الوظيفة الصرفية فتتجلى من حيث الكشف عن دور الصوائت القصيرة في توليد مختلف البنى المحتملة (الفعلية والاسمية) للجذر الثلاثي (ف، ع، ل)، في حين يظهر أثرها البارز على المستوى الدلالي في توليد مختلف المباني اللغوية للمفردات المتحدة الصوامت (الحروف الأصول)، والتميز بين معانيها، وكذا الدلالة الاجتماعية التي تتضح من خلال التمييز بين التلونات الصائتية الناشئة عن بعض الظواهر اللهجية، نحو الإمالة والفتح والتلثة...، والتي من شأنها أن تميز بين مختلف البيئات العربية، مع التمثيل لها والتحليل من القرآن الكريم وأسماء العرب. كلمات مفتاحية: الأصوات، الصوائت، الصوامت، الأبنية الصرفية، النسيج اللغوي، النحو، الصرف، الدلالة ...

Abstract:

This study attempts to highlight the subject of short Arabic vowels (actons), from its various phonetic, grammatical, morphological and semantic aspects, in order to identify the phonetic functions performed at the level of individuals and composition, and grammatical by showing its effect in determining the grammatical functions of the structures of the verbal and nominal Arabic language. , and then the morphological function manifests itself in terms of detecting the role of short vowels in the product of various possible structures (verbs and nouns) of the root (do).

Prominent at the semantic level is evident in the generation of various linguistic structures of the united vocabulary of vowels original letters (ل، ع، ف)

The distinction between its meanings and the socio semantic that manifests itself in the distinction between the diversity of vowels that arise from certain dialects phenomenon, such as el IMALA , EL FATH ,EL TALTALA

Who will distinguish the various Arabic environments and then represent them with the analysis and quotation of the Holy Quran and the words of the classical Arabs.

Keywords:

Sounds, vowels, consonants, morphological structures, linguistic texture, grammar, morphology, semantics

Résumé :

Cette étude tente de mettre en évidence le sujet des voyelles arabe court (les actons), à partir de ses divers aspects phonétique, grammatical, morphologique et sémantique, afin d'identifier les fonctions phonétique exécutées au niveau des individus et de la composition, et grammaticale en montrant son impact sur la détermination des fonctions grammaticales des structures de la langue arabe verbale et nominale, et puis la fonction morphologique se manifeste en termes de détection du rôle des courtes voyelles dans la produit de diverses structures possibles (verbes et noms) de la racine (faire).

Proéminent au niveau sémantique est évident dans la génération de divers structures linguistiques du vocabulaire uni des voyelles) lettres d'origines(ل، ع، ف).

La distinction entre ses significations et la socio sémantique qui se manifeste par la distinction entre la diversité de les voyelles qui né de certains phénomènes dialectique, tels que el IMALA , EL FATH ,EL TALTALA

Qui fera la distinction entre les différents environnements arabes et les représentera ensuite avec l'analyse et la citation du Saint Coran et les paroles des Arabes classique.

Mots-clés:

Sons, voyelles, consonnes, structures morphologiques, texture linguistique, grammaire, morphologie, sémantique ...